شرح لمعة الاعتقاد

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف-رحمه الله تعالى -: مقدمة صاحب المتن (ابن قدامة) قال الشيخ الإمام العلامة، موفَّق الدين، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي -عليه رحمة الله-: " الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزَّه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد، لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، له الأسماء الحسنى والصفات العلى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ﴾ .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله أوقاتكم بكل خير.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا شك أن أمْر العقيدة (العقيدة الإسلامية عقيدة المسلمين) من أهم الأمور، وأن شأنها عظيم، والاهتمام بأمرها أكيد؛ لأجل ذلك اهتم بها العلماء قديمًا وحديثا، وكتبوا فيها، وألَّفوا المؤلفات التي ضمَّنوها المعتقد المأخوذ من الكتاب والسنة، والذي درج عليه سلف الأمة، وبسطوا في ذلك واختصروا وكتبوا ودرسوا وقرروا؛ وكل ذلك نصحا منهم للأمَّة أن تثبتَ على عقيدةٍ صحيحة، وأن ترسخ هذه العقيدة في قلوبها.

في هذه الأمسية نحبُّ أن نتكلم على مبدأ العقيدة، وعلى تطوراتها بحسب الزمان إلى زماننا هذا، وعلى الإشارة إلى بعض ما كتب في العقيدة، في "باب الاعتقاد"، وفي الليالي القادمة -إن شاء الله- نبدأ

في القراءة، في العقيدة التي اختيرت لهذا الدرس.

نقول: العقيدة التي منها هذه الرسالة: "لُمْعَة الاعتقاد"، ومنها مثلا: "العقيدة الواسطية" وغيرها... مشتقة من العَقْد؛ وذلك أن العقد: هو ربط الشيء بعضه ببعض.

تقول: عقدت الحبْل ببعضه، أي: وثّقته وربطته؛ وسميت بذلك لأن القلب يعقد عليها عقدا محكما مبرما لا سبيل إلى انفكاكه؛ وذلك لأن أدلتها جليَّة صحيحة واضحة ،لا يعتريها شكٌّ ولا تغير، أدلتها نصوص قطعية الثبوت، وقطعية الدلالة؛ فلأجل ذلك يعقد عليها القلب، ولا يمكن أن يتزعزع هذا الاعتقاد من القلب، إلا إذا كان العقد غيرَ محكمٍ، وغيرَ قوي؛ فإنه عُرضة للتزعزع؛ ولأجل ذلك كان العلماء –والمسلمون عموما– يربُّون أولادهم على العقيدة منذ الطفوليَّة، يلقنونهم كيف عرفوا ربهم، وبأي شيء عرفوه، ولأي شيء خلقوا، وبأي شيء أمروا، وأول ما فُرِض عليهم، وأهم الفرائض، وما إلى ذلك..حتى إذا تلقَّاه الطفل في صِغَره وتربى عليه؛ نبت لحمه وعظمه وعصبه وعقله على هذه العقيدة؛ فأصبحت راسخة لا تتزعزع، بحيث لو عَرَضت عليه بعد ذلك شبهات، ولو أتي بزعم ما يزعزع وبما يفتن، ولو فُتِن، ولو عُذِّب أو أوذي، لم يتغير اعتقاده.

أولا: أنه تربى عليه منذ صغره وتلقَّنه وهو طفلٌ.

ثانيا: أنه ألفى عليه أبويه، وأبواه أنصح الخَلْق له، وأحبوا أن يتربى على الخير.

ثالثا: أن الأدلة التي تؤيد هذه الاعتقاد، أدلة جلية واضحة في ظهور معناها، وأدلة صحيحة قطعية الثبوت، لا يمكن أن يعتريها شكٌّ، أو يعتريها تغيُّر.

فهذا ونحوه مما يبين أهمية هذه العقيدة.

بعد ذلك نقول: "تطور أمر هذه العقيدة"، قبل أن نبدأ في شيء من تفاصيلها. معروف أن الرسل كلهم بدءوا رسالتهم بأمر العقيدة، التي هي عبادة الله، بقولهم: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره". تقرير للإلهية أن الله تعالى هو الإله، بحيث يعترفون أن لهم ربًّا، وأن ربهم هو الله، وأنه الذي له الإلهية وحده، ولا تصلح الإلهية إلا له، وهذا مبدأ العقيدة وأساسها كما سيأتي.

فالرسل بدءوا بأمر العقيدة، ومنهم نبينا -محمد صلى الله عليه وسلم- بدأ بأمْرِ العقيدة، وبقِيَ عشْرَ سنين بمكة -بعد أن أُوحِي إليه- لم يدع إلا إلى العقيدة، لم يدع إلا إلى معرفة الله وعبادته، وأداء حقِّه، وترك عبادة ما سواه، وإقامة الأدلة التي تثبت لله وحده العبودية، وتنفي عن غيره أن يكون معبودا، أو أن يكون إلها، وتقيم الأدلة على ذلك، ففي كثير من السور التي تتوالى (في السور المكية) يذكر الله ﷻ ما يدل على أنه سبحانه هو الرب، وهو الإله، فنجد مثلا في سورة الإنسان قوله تعالى:

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ إلى آخِرِ الآيات. أليس هذا تقريرًا للإلهية أن الذي خلق الإنسان بعد أن كان معدوما هو الخالق المنفرد بالخَلْق؟.

تقرير؛ لأنه هو الخالق وحده، وأنه الذي يستحق أن يعبد، ولا يجحده إلا معاند. السورة التي بعدها فيها أيضا تقرير ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ۝٢٦ ﴾ إلى آخر الآيات. يذكر الله آيات ودلالات على أنه هو المنفرد بالإلهية، وأنه المنفرد بالتصرف وبالربوبية وحده؛ لأن هذا تصرفه وحده الذي انفرد به، فهو أهل أن يكون معبودا وحده دون ما سواه، كذلك السورة التي بعدها: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ ﴾ إلى آخر الآيات.

تقرير من الآيات والمعجزات والبراهين التي من تأملها وتعقلها رسخت العقيدة في قلبه، حيث يعرف أن الذي أوجد هذه الكائنات على هذا الإحكام، غاية الإحكام، أنه أهْلٌ أن يُعَظَّم، وأهْلٌ أن يُعْبَد وحده، وأن يشكر ويذكر، وأن تكون الطاعة له دون ما سواه، وأهل أن يطاع رسله الذين أرسلهم وحملهم رسالته.

وفي السورة التي بعدها يقول تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ ﴾ إلى آخر الآيات، يحتج عليهم بهذا الخَلْق المُحْكَم العظيم، الذي لا يستطيع أي مخلوق أن يغيره عن وضعه، فالذي أوجد هذه المخلوقات أهل أن يكون هو الإله، وهو الرب، وهو المعبود وحده.

وفي السورة التي بعدها يقول تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ إلى آخرها، يذكر الإنسان بأن الذي فعل هذا هو الله وحده، ولا يستطيع مخلوق –مهما كانت قدرته– أن يأتي بمثل هذا الأمر الذي يأتي به الله سبحانه.

إذن فهذا يبين أن العقيدة هي أول ما بدأ به نبينا ﷺ ولما بينه للصحابة اعتقدوا ما اعتقدوه بأمر الإله وحده، وبأمر الربِّ –سبحانه وتعالى– من أسمائه وصفاته، ومن براهينه وآياته، ومِن نعمه وآلائه على خلقه، واعتقدوا أنه الذي هو أهل أن يعبد وحده، وأن يشكر، وأن يثنى عليه، اعتقدوا ذلك ولم يكن فيهم مَن ينكر شيئا من أمر هذا الاعتقاد.

اعتقدوا أن الله تعالى هو ربهم وخالقهم ومدبرهم، اعتقدوا أن الله –سبحانه– فوق عباده، وأنه على عرشه مستوٍ عليه كما يشاء، اعتقدوا أن له الأسماء والصفات العلا...إلى آخر أمر العقيدة، ولم يظهر فيما بين الصحابة من ينكر شيئا من أمر هذا الاعتقاد، ولا ظهر فيما بينهم مَن يردُّ شيئا من دلالات النصوص، وهذا من تزكية الله تعالى لصحابته (لصحابة نبيه صلى الله عليه وسلم).

لما زكاهم الله تعالى وفضلهم على غيرهم؛ ظهر أثر ذلك: فلم يظهر فيهم –والحمد الله–مبتدع، ولا خارجي، ولا قَدَري، ولا رافضي، ولا معتزلي، ولا أشعري، ولا قَدَري، ولا جبري، ولا مرجئ، لم يظهر فيهم أحد من هذه البدع، بل كلهم على عقيدة واحدة، هي عقيدة أهل السنة. هذا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

وبعدهم (بعد عهد الصحابة أو بعدما دخل في الإسلام غيرُ الصحابة) بدأ ظهور البِدَع، ولَّما بدأت اهتم الصحابةُ بإظهار السُّنَن، وأوضوحها بالأدِلَّة.

فأول البدع: بدعة الخوارج الذين خرجوا عن الطاعة، وكفَّروا الصحابة، وكفَّروا المسلمين، وقتلوا الأبرياء...قصتهم معروفة، لما خرجوا وظهروا كثرت الأحاديث التي تبين قصتهم وشأنهم، ومبدأ أمرهم وصفاتهم، أحاديث صحيحة، مخرَّجة في الصحيحين وفي غيرهما.

أنكر الصحابة عليهم، وبينوا خطأ طريقتهم، ولما كتب المؤلفون فيما بعد، كتبوا في الرد عليهم ما يبين خطأهم، وضمَّنوا ذلك كُتُب العقيدة. وبعد ذلك خرجَت القَدَرية. في آخر عهد الصحابة أدركهم بعض الصحابة: كعبد الله بن عمر بن الخطاب، وغيره من الذين تأخر موتهم، منهم: غَيْلان القَدَري، ومعبد الجُهَني. خرجوا في آخر عهد الصحابة، وأنكروا عِلْم الله السابق للأشياء قبل وجودها، وقالوا: إنما يعلمها بعدما تحدث. وهذا معنى قولهم: إن الأمر أُنُف. فشنَّع عليهم الصحابة، واحتجوا عليهم بالأدلة (بالآيات وبالأحاديث)، وحذَّروا من طُرُقهم ومن شأنهم.

وكانوا قلة مغمورين لا يُتَفطن لهم، ولا يأبه لهم، وإنما الغلبة لأهل السنة، والظهور لهم، والكثرة لهم والحمد لله. إنما هم أفراد لا يَسْمع منهم إلا مَن هو ضعيفُ الإدراك وضعيفُ العقل.

بدأ القرن الأول يعني في أول القرن الثاني ظهرت بدع أخرى: فظهرت المعتزلة في أول القرن الثاني، اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وكان رئيسهم الذي يقال له: واصل بن عطاء. وجلس يقرِّر مذهبه، وأخذ يشير إليهم الحسن ويقول: "هؤلاء معتزلة، اعزلنا واصل". فمِن ثَمَّ اشتهر هذا المذهب الذي هو مذهب الاعتزال. ولعله يأتينا بعض الإشارات إليه فيما بعد، عندما نبدأ في الرسالة إن شاء الله. ومع ذلك فإن أهله قلة، منهم معبد هذا، ومنهم عمرو بن عبيد الذي هو في وسط القرن الثاني، يُظْهِر التنسُّك ولكنه مبتدع منحرف في باب الاعتقاد.

ثم ظهرت أيضا بدعة التعطيل، وما أدارك ما هو؟ البدعة الشنيعة، البدعة العظيمة، البدعة المنكرة، وهي بدعة الجهمية الذين أنكروا الصفات (أنكروا صفات الله تعالى) وتأولوا نصوصها، وبالغوا في إنكارها، وكان أولُّ مَن أنكر بعضها: الجَعْد بن دِرْهم، وهو الذي قَتَله خالدٌ القصري في يوم عيد الأضحى، وقصته مشهورة، ثم إنه تلقاها عنه الجَهْم بن صَفوان السَّمرقندي، وهو الذي نشرها ونُسِبت إليه، وكثر الذين تلقوها عنه وإن كانوا قلة في ذلك الزمان، ولكن ظهر لهم بعد ذلك أنصار وأعوان، فمنهم بِشْر المِرِّيسي الذي أعلن هذه البدعة (إنكار الصفات) ومنها إنكار صفة العلوِّ لله تعالى، وإنكار كلامِه أنه متكلمٌ، وأنَّ القرآن ليس كلامه، ونحو ذلك من التعطيل.

ولما كان في آخر القرن الثاني وأول القرن الثالث، كان وزراء الملوك أغلبهم من اليونان، ومن الترك، وكانوا غالبا من المجوس -في عقيدتهم- ومن النصارى، وعندهم مِن كتب النصارى وكتب الفلاسفة بقايا؛ فزينوا للخلفاء أن ينقلوها إلى العربية (يترجموها إلى اللغة العربية)؛ فترجموا كتبا كثيرة من كتب الفلاسفة والملاحدة، ومن كتب اليونان: من نصارى ومجوس ونحوهم، ولما انتشرت تلك الكتب كان في طياتها التشكيك في الخالق، وفي مبدأ الخَلْق، وفي منتهاه؛ مما كان سببا في كثرة الزندقة.

ظهر في ذلك الوقت مذهب الزندقة، وهو الذي يسمى عندنا بالشيوعي (مذهب الشيوعية)، تمكن الشيوعية وظهروا، ولكن فَطِن لهم الخليفة المهدي -رحمه الله، سموا في ذلك الوقت زنادقة-؛ فقتل منهم خلقا كثيرا، كل مَن اتُّهم بأنه زنديق ينكر الخَلْق والخالق، ويذهب مذهب الفلاسفة في إنكار بَدْء الخَلْق وإعادته، وفي أن الأمر مسندٌ إلى الطبائع ونحو ذلك-قربه وقتله، و لم يكن يستتيبهم؛ لعلمه أنهم منافقون، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وأنهم أظهروا الإسلام وقصدوا من إظهاره إفساد العقائد، أن يثق الناس بهم، وأن يأخذوا منهم، فإذا أخذوا منهم أعطوهم ما يريدون من التشكيك، ومن الارتباك في أمْر العقيدة؛ حتى يزعزعوا عقيدة الكثير من الناس؛ فهذا هو السبب في فشوِّ هذا المذهب الشيوعي.

ذكر المترجمون له: أنه أحضر أحدهم، لما ثبت عنده أنه زنديق حكم بقتله؛ فقال ذلك الزنديق: "كيف تفعل بأربعة آلاف حديث كذبتها ودسستها للمسلمين". أربعة آلاف كذب "كذبتها"؛ فقال له المهدي: "تعيش لها نقادها". أي أن الله تعالى قيض علماء ينقحون الأحاديث، ويبينون زيفها، ويظهرون ما هو مكذوب ودخيل على السنة، يعني: أمثال الأئمة الذين كتبوا في الأحاديث وبينوا عللها، وبينوا الكذب منها، والموضوع والصحيح والضعيف، يعني أن هذا مثال.

وبكل حال هذا وقت انتشر فيه هذا المذهب الشيوعي الخبيث؛بسبب تعريضه للفتن. ومن أثر انتشارها كثر الخوض في علوم جديدة، سماها السلف -رحمهم الله- "علم الكلام"، هكذا أطلقوا عليه، وقصدوا به العلم الذي يخوض في غير دليل، يخوض في الأمور الخفية: في الجواهر والأعراض والأبعاض والافتراضات وما أشبه ذلك، وهذا الكلام (علم الكلام) هو الذي شغل كثيرا من أهل القرون المتأخرة،

بحيث أنهم كرسوا جهودهم في هذا الكلام، وأخذوا يفترضون افتراضات: إن كان كذا فماذا يكون كذا وما هو جوابه؛ حتى ملئوا صدور الناس بما لا فائدة فيه، وملئوا الكتب بما لا أهمية له؛ فكان ذلك مما حمل العلماء على التحذير من علم الكلام.

تذكرون قول الشافعي -رحمه الله-: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك القرآن وأقبل على الكلام". وغيره ++ في كتب الأشاعرة، وفي كتب المعتزلة حشدوا الكثير منه، وفي كتب العقائد، وفي كتب الأصول وما أشبهها، وافترضوا افتراضات لا دليل عليها، فإذن لا شك أن هذا مما حمل السلف -رحمهم الله- على أن ينقحوا العقيدة، لما رأوا في القرن الثاني وفي القرن الثالث وما بعده، تغير الناس في بعض الاعتقاد -لم يكن بد من أن يكتبوا في ذلك، ويقرروا ويبدءوا ويعيدوا، ويظهروا المذهب الصحيح، والعقيدة السلفية السليمة، ويبينوها علنا حتى لا يقع في خلافها من قصده الحق، كتب السلف في باب العقيدة كثيرة وشهيرة، منها ما سمي "بكتاب الإيمان" متقدما ومتأخرا، مختصرا ومبسوطا، مثل: كتاب "الإيمان" لابن أبي شيبة ++++++ومنها ما سمي بأسماء أخرى: "كالرد على الجمهية" للإمام أحمد لما شك فيه من متشابه القرآن، و"الرد على الجمهية" لعثمان بن سعيد الدارمي، و"الرد على بشر المرِّيسي" للدارمي أيضا، ومنها ما له أسماء خاصة: "كالشريعة" للآجرِّي، و"الإبانة" لابن بطة (الإبانة الصغرى والإبانة الكبرى)، و"شرح أصول أهل السنة"، أو"اعتقاد أهل السنة+ من أوسعها" للالكائي، هذه كتب ضمنها مؤلفوها العقيدة، وأرادوا بذلك أن يخلصوا أمْر المعتقد؛ حتى لا تنمحي أو تضمحل عقيدة أهل السنة.

ومع ذلك، ومع كثرة هذه الكتب -مما ذكرنا ومن غيرها كثير- لما انقضى القرن الثالث (القرون المفضلة)؛ أميتت هذه الكتب -مع الأسف- وأصبحت مختفية مخزونة لا يعترف بها، ولا تقرأ ولا تدرَّس إلا نادرا وبصفة خفية، وتمكن مذهب الأشاعرة، ومذهب المعتزلة، تمكَّن أيَّما تمكُّن، وصار الإقبال عليه، وصار الدرس والكتاب، أوالكتب التي تؤلف فيما يتعلق بهذه العقائد -عقيدة الأشعرية وعقيدة المعتزلة، وكادت السنة وكتبها ألا يكون لها ذكر، بل كاد مذهب الإمام أحمد أن يضمحل، و لم يبق أحد عليه إلا

أفرادٌ قلة، وفي آخِر القرن الرابع وأول القرن الخامس بدأ يظهر مذهب الإمام أحمد؛ بسبب القاضي أبي يعلى -رحمه الله- فإنه لما اعتنق هذا المذهب وتولى القضاء، وكان عالما جليلا، وكان من أبرز أهل زمانه، ولم يجدوا للقضاء مَن يتولاه مثله -أظهر هذا المذهب، ومع ذلك فإنه هَو وتلامذته الذين قرأ عليهم في بعض الكلام، قد تأثروا بشبه المتكلمين، ولكن لَمَّا كان على مذهب الإمام أحمد؛ لم يردَّ ما روي عنه، فألف رسالة فيما يتعلق بصفة العلوِّ وأملاها على تلامذته، ولَمَّا كتبها وأملاها قامت عليه الدنيا، وأنكر عليه أهل زمانه، وقالوا: "القاضي أبو يعلى ممثِّل، القاضي مشبِّه". وكادوا أن يسعوا في إبعاده، وفي فصله؛ فاعتذر بأنه إنما نقل كلام غيره، والرد لا يكون عليه بل يكون على غيره (على الذين نقل عنهم)، تولوا أنتم الردَّ عليهم، وأما هو فإنه ناقل. ولا شك أن هذا دليل على غُربة السنَّة في تلك في القرون (القرن الرابع والقرن الخامس وما بعده أيضا).

بالتتبع لهذه القرون: الرابع والخامس والسادس وأغلب السابع، إنك لا تجد فيها مَن هو على مذهب السنة إلا مَن هو مستخفٍ، ولو كان حنبليًّا؛ وما ذاك إلا أنهم قرءوا على مشائخَ لهم، أولئك المشائخ، أولئك العلماء قرءوا عِلْم الكلام على علمائهم؛ ولَمَّا قرءوه تمكَّن من نفوسِهم، وتمكَّنت هذه الشبهة -التي هي إنكار صفة العلو، وإنكار الصفات الذاتية، وإنكار كثير من الصفات الفعلية- تمكَّنت من النفوس؛ فصار ذلك سببا في انحرافهم عن عقيدة أهل السنة، وعن عقيدة السلف والأئمة.

الأئمة الأربعة الذين يُقتدى بهم في الفروع، هم كلهم -والحمد لله- على معتقدٍ واحدٍ في الأصول، يعني: في العقيدة، ومع ذلك يفتخر كثير بانتمائهم إليهم، ويخالفونهم في أصل الأصول الذي هو باب العقيدة، فتجدهم يقولون: "نحن على مذهب الشافعي، ولكن في باب العقيدة على مذهب الأشعري". ولا يتمسكون بمذهب الأشعري الصحيح، ولا بمذهب غيره من السلف، وإنما بمذاهبَ تلقَّوْها عن علمائهم، وعن مشائخهم المتأخرين الذين تلقوا هذه العلوم عن علم المتكلمين.

ولا شك أن أولئك لَمَّا كثر الخوف منهم في علم الكلام، وفي التدقيق في تلك المسائل الخفية؛ كانت لها نتيجة سيئة وهي أنها أوقعت كثيرا منهم في الحيرة. تحيروا، ماذا يعتقدون؟ وما هي العقيدة التي

تنجيهم؟ ذكر شيخ الإسلام في "أول الحموية"، وابن أبي العز في "شرح الطحاوية"، قصصا لبعض أولئك الحيارى المتهوكين، قصصا لهم منها قصة للرازي (من علماء المتكلمين) أبو عبد الله، ويقال له: ابن الخطيب. صاحب "التفسير الكبير"، وصاحب "تأسيس التقديس"، الذي رد عليه الشيخ في كتاب "نقض التأسيس"، ذكر أنه: "إما أنشأ ذاته وإما استشهد بها"، وهي التي يقول فيها:

نهاية إقبال العقول إطال — وأكثر سعي العالمين ضلال

وقلوبنا في وحشة من جسومنا — وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا — سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم يقول:

"لقد تأملتُ الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلا ولا ترضي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ واقرأ في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي".

ليته بقي على هذا، وليته كتب في هذا، ولكنه أضلَّ كثيرا من مؤلفاته، مع سعة ما فُتِح عليه من العلوم.

ومنهم: الجويني، الذي يُقال له: "إمام الحرمين"، له الكتاب المطبوع المشهور في باب، في علم الكلام اسمه "الإرشاد"، وله كتب غيره، ذكروا عنه أنه لما حضره الموتُ تأسف على حياته وقال: "لقد تأملت

الطرق الفلسفية" وقال: "لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل العلوم (أهل الإسلام وعلومهم)، وخضت في الذين + عنه، والآن إن لم يتداركني رحمة ربي فالويل لابن الجويني، وهأنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور".

تمنى في آخر حياته أنه ما خاض في هذه العلوم أصلا، وكذلك الشهرستاني صاحب "الملل والنِّحل"، ذكروا عنه أنه يقول: "أكثر الناس شكًّا عند الموت أهل الكلام". وغيرهم كثير .

هذا نهاية هؤلاء المتكلمين، ونهاية معلوماتهم، ومع ذلك –وللأسف– هم متمسكون بهذه العقائد ويألفون فيها المؤلفات، ويسمونها "بمؤلفات التوحيد" (نظمًا ونثرًا) مثل: العقائد النسفية. على مذهب الأشاعرة، مطبوعة في "مجموع المتون"، ومثل: "نظم الجوهرة"، و"منظومة الشيباني" وإن كانت أخف، ولكن فيها بعض التحريف، أو الانحراف قليلا، ومثل: "بَدْء الأمالي" .

تجدون هذه العقائد –من عقائد الأشاعرة– مطبوعة في "مجموع المتون"، ولها شروح مشهورة، شروح على هذه المتون. هذه عقائد اعتقدوها وألفوا فيها، واشتهرت بينهم وبين تلامذتهم، ومن كان منهم من أهل الحديث ألف في العقيدة، ولكن لا يجرؤ أن يصرِّح بمذهب السلف، ويفصح بما عليه الأئمة.

من أقربهم وأحسنهم: الطحاوي، صاحب هذه العقيدة، هو كان شافعيًّا، ثم تحول حنفيًّا، وتعصب للمذهب الحنفي، وألَّف هذه الرسالة "العقيدة الطحاوية"، وتجدون أنه ذكر فيها بعض العبارات المنكرة، التي اشْتَهرت في زمانه عن المتكلمين، مثل قوله: "إن الله منَّزه عن الحدود والغايات والأبعاد والأعراض، لا تحويه الجهات الستُّ كسائر المبتدعات والمحدثات" .

الشارح –رحمه الله– الذي شرحها (ابن أبي العز) كان من أهل السنة، ولعلنا نشير إليه فيما بعد، ولكن شرحها كثير من الأشاعرة، وسلكوا فيها مسلك المعتزلة، أو مسلك الأشاعرة، وحمَّلوها ما لا تطيق، وصرَفوا مدلولاتها، وهكذا الرسالة التي كتبت عن الإمام أبي حنيفة، أبو حنيفة مكتوب له رسالة يمكن أنه أملى بعضها، أو أنه أملاها عليه وأخذها بعض تلامذته، وتسمى "الفقه الأكبر"، نقل منها شيخ

الإسلام بعض النقول في "الحموية"، وكذلك ابن أبي العز في "شرح الطحاوية"، ولكن يظهر أنها دخلها التغيير من بعض المتأخرين، الذين انحرفوا في باب الاعتقاد؛ فأدخلوا فيها كثيرا من التأويلات وشرحها، كثير منهم على مذهب الأشاعرة، أو مذهب منكري الصفات، وأنكروا ما كان عليه السلف -رحمهم الله-ولا شك أن سبب ذلك كثرة ما تقلوه عن مشايخهم، الذين كانوا على هذا المذهب، الذي هو تأويل وتحريف الصفات وما أشبهها.

وهكذا بقيت هذه العصور وهذه القرون، السائد فيها والمنتشر هو هذا المذهب (مذهب الأشعري)، وتعرفون أن الأشعري هو أبو الحسن، من ذرية أبي موسى، عالم مشهور ظهر في القرن الثالث، كان في أول أمره معتزليًّا على طريقة أبي هاشم الدبائي، وأبي الهذيل العلاف، ونحوهم من المعتزلة، ثم نزل عن هذه العقيدة لما ظهرله تهافتها، وانتحل مذهب الكُلَّابية (أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب) وكان ابن كلاب هذا عالما جدليًّا، سمي بذلك لأنه إذا احتج إن حجته قوية، بمنزلة كُلَّاب الصانع (كلاب الصناع الحدادين التي تمسك الحديد) يقولون: "إنه في قوة جدله وفي قوة احتجاجه بمنزلة هذه الكُلَّاب". فسموه بذلك.

ومع ذلك فإنه قد تأول كثيرا من الصفات، ولم يثبت إلا بعضها؛ فانتحل أبو الحسن الأشعري عقيدته في الإقرار بسبع صفات وإنكار ما سواها، وألف كتبا كثيرة -أبو الحسن- على هذا المذهب وقضى عليها أكثر عمره، يمكن أنه بقي له أربعون سنة وهو يؤلف على هذا المذهب، حتى اشتهرت كتبه وتلقَّاها الجمُّ الكثير والجمع الغفير، وفي آخر حياة أبي الحسن مَنَّ الله عليه وقرأ بعض كتب السلف؛ فرجع عما كان يعتقده، ورجع إلى مذهب السلف، وألَّف رسالته المطبوعة التي تسمى "الإبانة في أصول الديانة" (رسالة مختصرة ألفها على مذهب السلف)، وألف أيضا كتابه الذي جعله في الفِرَق، ولما أتى على مذهب أهل السنة، في كتابه هذا الذي اسمه "مقالات الإسلاميين"، ذكر مذهب أهل السنة صريحا، وذكر عقيدتهم التي يمكن أنه نقلها عن كتب الإمام أحمد، أو غيره، مما يدل على أنه انتحل عقيدة أهل السنة أخيرا.

فمقالته في "مقالات الإسلاميين" عن أهل السنة، تدل على أنه من أهل السنة، بدرجة أنه صرح بمذهب الإمام أحمد: "نقول بما قاله إمام أهل السنة ، أحمد بن حنبل نضَّر الله وجهه". وجملة ما قال: "إننا نقول كذا وكذا". لعلكم قد قرأتم ما كتبه في المقالات، وقد نقله أيضا ابن القيم، وقال كلامه هذا في أول كتابه، أو في آخر كتابه "حادي الأرواح"، وفي بعض كتبه، وبكل حال هذا المذهب الذي عليه إلى الآن الأشاعرة هو مذهب الكُلَّابية، ليس هو حقًّا مذهب الأشعري، الأشعري قد رجع عنه، إنما هو مذهب الكلابية، هذا بعض ما كان عليه هذا المعتقد في هذه الأزمنة .

الحنابلة طوال هذه الأزمنة قالوا بأنهم يتتلمذون على أشاعرة، ومنهم الإمام ابن قدامة، يمكن أن تلامذته ومشائخه وزملاءه في باب العقيدة –من شافعية ومن حنفية ومن مالكية– على المذهب الأشعري، ولكن لا بد أنها وصلت إليه كتب الإمام أحمد، وكذلك كتب السلف، فلم يوافق أهل زمانه، بل وافق شيخَه، ووافق مذهبَه الذي هو مذهبُ الإمام أحمد، فألَّف كتبًا كثيرة فيما يتعلق بالعقيدة، منها رسالة في إثبات صفةِ العلوِّ، صريحة في أنه يرى إثباتَ هذه الصفة لله تعالى، ولو أنكرها مَن أنكرها، ومنها رسالة في ذم التأويل، الذي ابتلي به زملاؤه وأساتذته من الأشاعرة ونحوهم، من الشافعية ونحوهم، ومنها هذه الرسالة التي نحن بصددها "لُمْعَة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد"، سماها لُمْعة؛ لأنها ذات أدلة صحيحة صريحة مضيئة، تلمع لمعانا كلمعان السُّرج القوية، وكلمعان النجوم في الليلة المظلمة، يعني أنها: ذات أدلة واضحة الدلالة، لا خفاء فيها في باب الاعتقاد. لُمْعَة الاعتقاد أي: أدلة الاعتقاد التي هي صحيحة ذاتُ لَمَعان وضياءٍ لا يحتمل الخفاء، ولا يجوز أن يَخفى ، أو تَخفى دلالتُه إلا على عُمْي البصائر، وهذا هو قصده.

ولكن إذا قرأتها تجد أنه –رحمه الله– لم يجرؤ أن يُفْصِح بالأدلة وبدلالته، بل هو يذكر الأدلة ويرد بعض المعاني، حيث إن أهل زمانه لا يحتملون الإفصاح، وإلا هو قد أفصح في كتابه العلو (إثبات صفة العلو) ونحو ذلك، ولكن يخشى أن يشنع عليه، أن يشنع عليه أهل زمانه بأنه مشبه، وبأنه ممثل، وبأنه وبأنه...، فألفها واقتصر –كما سنقرؤها إن شاء الله– على ذِكر الأدلة ، ولكنه مع ذلك ذكر أدلة

صريحة، واضحة الدلالة، لا تحتمل تأويلا، وقد أبطل هو التأويل في رسالته الأخرى، وكذلك أيضا تتبَّع عقيدةَ أهلِ السنة في باب الصفات، وفي باب الإيمان، وفي باب القدر، وفي بعض الصحابة، وفي إثبات الرؤية، وغير ذلك مما هو من أصل العقيدة، مما يدل على أنه –رحمه الله– استوفى ما هو عقيدة لأهل السنة.

كانت هذه رسالة مع اختصارها واضحة المعاني، التعليق الذي، أو التعلقات التي كتبناها عليها، كنا أمليناها في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف على طلاب المعهد (معهد إمام الدعوة)، لما قمت بتدريسها في تلك السنة، وفي السنة التي قبلها، وكان الطلاب في ذلك الوقت طلاب المتوسطة، والغالب أنهم لا يتحملون الإطالة، ولا يتحملون الإيضاح بكثرة؛ فأمليتها عليهم كمرجع (مرجع لهم)؛ ليكون موضحا لدلالتها ونحو ذلك، ثم لم يقدر لي أني أراجعها طوال هذه السنين، وأخذها بعض الإخوة وطبعها، ووقع فيها بعض الأخطاء، وبعضها يحتاج إلى تنبيه، وقد صححنا بعض الرسائل (بعض النسخ)، النسخ التي فرقنا الآن عشر نسخ، الذين أخذوها من المكتبات، لعلهم يصححون النقص الذي فيها، والإلحاقات التي فيها على هذه النسخ.

أما يعني بقية العلماء فما أذكر أنها شرحت، إلا شرح الشيخ ابن عثيمين متأخرا، طوال هذه القرون ما ذكروا أن أحدا شرحها، في القرن السابع، والقرن الثامن وما بعده، ما ذكر أن أحدا اعتنى بها ولا شرحها؛ ولعل السبب أن علماء الحنابلة –رحمهم الله– كان جُلُّ عملهم، وجُلُّ انشغالهم بالمسائل الفقهية، لم يشتغلوا بالعقائد إلا القلة منهم+ إلى عهد شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– لما أن الله تعالى وهبه علما وقوة وجرأة وحفظا وذكاء وقوة تعبير ووهبه أيضا شهرة +++.

ونحو أحد عشر مجلدا، وهو أوضحها وأدلها، كذلك "نقض التأسيس" والذي طبع بعضه، ولعله أن يطبع بقيته، كذلك رسائله الكثيرة في "المجموع" نحو: أربعة مجلدات، كلها في الأسماء والصفات، من الثالث إلى السادس، وهكذا أيضا غيرها. لا شك أنه ما أفصح بذلك، إلا لأن الله تعالى وهبه علما وقدرة على البيان، لم يستطع أهل زمانه أن يقاوموه، فهو الذي جدد مذهب أهل السنة، ومع ذلك ألف

رسالته التي هي "العقيدة الواسطية"، ومع ذلك ما شرحت طوال هذه القرون حتى شرحت قبل عشرين سنة، أو قبل ثلاثين سنة، شرحها -لما اشتهر تدريسها- شرحها مشايخنا، أو زملاؤنا، هذا دليل على أن علماء الحنابلة لم يكن فيهم من تخصص في مذهب العقيدة، وبرع في علم الكلام، أو أنهم يخشون من تشنيع أهل زمانهم عليهم؛ لأن أكثرهم على المذهب الأشعري.

تجدون أن نتوقف الآن. لنتكفي بهذا، وفي درس يوم الأحد -إن شاء الله- نبدأ في درس هذه العقيدة، ونحب أن كل من له همة (همة رفيعة) يطالع هذه الرسالة (هذه العقيدة) ويحفظ المتن؛ ليكون ذلك سببا في بقاء معلوماته ورسوخها في ذهنه. فعند القراءة نبدأ بقراءة مقطع من المتن، ونتكلم عليه بحسب ما يتسع له الوقت، وبعد كل أذان نجاوب على ما تيسر من الأسئلة. الآن معنا هذه الأسئلة.

س: سائل يقول: ما معنى قوله تعالى "حتى يعلم الله الذين صدقوا"؟.

ج: هكذا كتبها، كأنه يريد آية "العنكبوت": ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ كأنه يستشكل أن الله ذكر أنه فعل هذا ليعلم هذا، ومثله أيضا في سورة "البقرة": ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ فإنه يوهم أن الله لا يعلمهم إلا بهذا الفعل، والجواب: أن المراد ظهور معلوم الله (بروزه) يعني: حتى نعلمه عند ظهوره، وإلا فالله عالم به قبل أن يحصل هذا الابتلاء ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ ﴾ يعني: حتى يظهر من علمنا أنه من المجاهدين والصابرين ، ومن هو من غيرهم ، هذا الابتلاء بهذه الأوامر وهذه النواهي وهذا الجهاد وما أشبه ذلك؛ ليظهر معلوم الله، ليظهر من علمه، وكذلك قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ المعنى: حتى يظهر من علم الله أنه مؤمن، ومن علم أنه ليس بمؤمن إنما هو منافق أو نحو ذلك، فالعلم هنا علم ظهور.

س: وسائل ثان يقول: ما الفرق بين تأويل الجهمية وتأويل المعتزلة؟.

ج: يظهر أن مذهب الجهمية أشبه بالمضمحل المتلاشي، ما بقي لهم من يتصدى لأنه يقال جهمي، بل تفرق وأغلبه عند المعتزلة؛ وذلك لأن الجهم عنده ثلاث بدع: بدعة التعطيل، أخذها المعتزلة فعطلوا الأسماء وعطلوا الصفات. الأسماء يقولون: "إنها أعلام"، ويصرحون بنفي معناها، ويقولون: "إن الله سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، قدير بلا قدرة... إلى آخر ذلك".

البدعة الثانية: بدعة الإرجاء، أخذها طائفة من المرجئة الذين يغلبون جانب الرجاء. البدعة الثالثة: للجهم، بدعة الجبر، أخذها المجبرة والجبرية؛ فتفرق مذهب الجهمية في هذه البدع، والحاصل أن الجهمية تأولوا آيات الصفات، وأخذها عنهم المعتزلة؛ فتأولوها وبالغوا في تأويلها.

س: وسائل ثالث يقول: أفتونا في حكم تعلم المنطق؟ وما نصيحتكم لمن سلك طريق هذا العلم؟ وما ردكم فيمن يقول: إننا نتعلم المنطق حتى نرد على المبتدعة، حتى نفهم كلام شيخ الإسلام؟.

ج: نصيحتنا أنك في مندوحة عن هذا العلم؛ وذلك لصعوبته أولا، ولعدم الأمن ممن تعلمه، ولعدم الفائدة فيه، لكن من رزقه الله قوة ذكاء وقوة فهم، فلا مانع أن يتعلم مصطلحات المتكلمين حتى يفهم كلام شيخ الإسلام، أو يفهم كلام المنتقدين؛ حتى يرد عليهم، وأما إذا أراد النجاة، فالأولى له ألا يقرأ في كتبهم، وألا يتعلمه، كثير من الذين تعلموه يمدحونه ويسمونه "علم الميزان"، يقولون: إن به يقدر صاحبه أن يشرح تلك الاصطلاحات، ويفهم تلك العبارات والتعبيرات، وما أشبهها، ولكن لما كان شغل بتلك الاصطلاحات لا أهمية له؛ رأينا أن الأولى عدم الانشغال به.

س: وسائل آخر يقول: هل يحكم على مَن مات كافرا أنه من أهل النار؟ ويلحقون الشخص الكافر بعينه بعد أن يموت ؟.

ج: يظهر أن الحكم يختلف باختلاف الأشخاص، إذا عرف مثلا: أن هذا يهودي مثلا، أو نصراني، أو مشرك شركا صريحا، وقامت عليه الحجة وبلغته الدعوة، ولكنه استمر وأصر؛ فلا مانع أن نقول: إنه من أهل النار. كما نقول: إن أبا جهل وأبا لهب ونحوهما من أهل النار، وأما إذا لم تبلغه الدعوة ، أو

كان عنده شبهات، أو ما أشبه ذلك، قد يتوقف العلماء ويقولون الله أعلم بحالته.

س: هذا يقول: هل يقال عن الأشاعرة أنهم من أهل السنة والجماعة في أبواب الإيمان الأخرى ؟.

ج: الأشاعرة تعرفون أن منهم علماء مشهورين، انتحلوا هذا المذهب في باب العقيدة، وخالفوا في أمور كثيرة: كالإمام النووي –رحمه الله– فإنه يوافق أهل السنة بالإيمان (بأسماء الإيمان والدين) وموافق لهم في العدل (القضاء والقدر وما أشبهه)، إنما فقط في باب الصفات يتأولها، وذلك ما تلقاه عن كثير من مشايخه، فنقول: "إن الأشاعرة الذين هم على مذهب أهل السنة في الإيمان ، وفي أسماء الإيمان والدين، وفي القضاء والقدر، وفي الصحابة، وفي الإيمان بالبعث والنشور واليوم الآخر، وما أشبه ذلك، وفي بعض الصفات حيث يقرون ببعضها، وفي الأسماء حيث يقرون بها –إنهم أقرب إلى أهل السنة، وإن كان المعاند منهم يعتبر مبتدعا، وإن كانوا معذورين بما تلقوه عن مشايخهم".

س: وسائل يقول: هناك مادة تسمى "علم الفلسفة" وكذلك "علم الاجتماع" فهل تدخل في علم الكلام وعلم النفس؟.

ج: علم الكلام الذي نهى عنه السلف، غالبا أنه يتكلم في الجزئيات التي يوردونها على البعث، وعلى الأسماء والصفات، وعلى الذات وما أشبهها، فهذا الذي أوقعهم في حيرة. فأما علم النفس فيظهر أنه علم، وكذلك علم الاجتماع أنه من العلوم الخاصة، التي هي فنون ذات مواد خاصة، فلا تلحق بهذا. أما علم الفلسفة، فالغالب أنه –ولو مدحه من مدحه، ولو أثنوا عليه– أنه لا يخلو من علم الكلام، من اصطلاحات المتكلمين، وبيان بعض العبارات التي يعبرون بها؛ ويكون سببا في كثير من الانحرافات.

س: وهذا يقول: ما أحسن الشروح للمبتدئ ؟ "الطحاوية" "الواسطية" "لمعة الاعتقاد"؟.

ج: "الطحاوية" عليها تعاليق كثيرة للألباني ولغيره، ويعني مختصرة وفيها فائدة، و"الواسطية" عليها أيضا تعليق لشيخنا (الشيخ ابن باز) لا بأس به، وهناك أيضا شرح لبعض علماء مصر مثل: الهراس وغيره لا بأس به. "لمعة الاعتقاد" ذكرت أن ما أحد شرحها غير (قبل) ابن عثيمين، ولا بأس به أيضا.

س: يقول: ما هو رأيك فيمن يقول: "إن الإنسان حيوان ناطق" ؟ كذلك "كل كائن حي فهو

حيوان: كالنبات وغيره..."، واستدل بقوله: ﴿ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ؟.

ج: الجواب أن هذا من الاصطلاحات، يعني: اصطلح العلماء، أو أهل الزمان، على أن على تقسيم المتحرك إلى قسمين: إنسان وحيوان. فجعلوا الإنسان اسما لهذا الجنس من المخلوقات، فسموه إنسانا، وجعلوا البهائم والطيور والدواب ونحوها حيوانا (اسم للحيوان) ولما كان اشتقاقه من الحياة؛ قالوا: "لا يدخل فيه اسم حيوان؛ لأنه حي مشتق من الحياة، وهو حي متحرك، فتعالوا نسميه حيوانا لكونه حيا، ونسميه ناطقا لنميزه". بهذا لا يستنكر على من قال ذلك، ولكن يفضل التفريق بين الدواب والبهائم وبين الإنسان، هذا هو الأفضل، والنبات لا شك أيضا أنه حي؛ لأنه ينمو شجرة حية شجرة ميتة، فلا مانع بأن يسمى النبات حيًّا، وأما ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ ﴾ فلا دلالة فيها؛ لأنها فيما يعني: إن الدار الآخرة هي دار الحياة التي ليس بعدها موت.

س: هذا سائل يقول أيضا: ما هي الأشعرية؟ وما رأيك فيها بصفة عامة؟.

ج: لقد تكلمنا على هذا الكلام وقلنا: "إن الأشاعرة هم الذين انتحلوا مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، وأنهم أخذوا مذهب الكلابية الذي هو إقرار بسبع صفات، والغالب أنهم ينكرون حقائقها" ولعلنا نأتي على ذلك في شرح العقيدة إن شاء الله.

س: ويقول: يوجد في كتاب "علم النفس" المرحلة الثانوية حديثا فما صحته: "أعلمكم بنفسه أعلمكم به أو بربه"؟.

ج: هذا الحديث ليس بصحيح، ولا أصل له، فلا يلتفت إلى هؤلاء، يعني هم يكتبون ما سمعوه دون أن يكون لهم علم بمادة الحديث.

س: وهذا يقول: ما أحسن كتاب تكلم على هذه الفرق، ورد عليها بالأدلة بأسلوب بسيط ؟.

ج: يظهر أن كتاب أبي الحسن الذي هو المقالات (مقالات الإسلاميين) -ولو كان فيه شيء من التوسع- أنه من أحسنها، وهناك أيضا كتاب "الفرق بين الفِرَق" له أيضا أهميته.

س: وهذا كتب أبياتا في علم المنطق وكأنه يمدحه:

وقال في الإشارة الصحيحة جوازه لكامل القريحة

ممارس السنة والكتاب ليهتدي به إلى الصواب

ج: في مدح علم المنطق هذا قاله صاحب "السلم"، وبكل حال هذا جعله خاصا لكامل القريحة، يعني قلنا: "إن هذا إذا كان الإنسان عنده ذكاء وقوة، بحيث أنه لا يتأثر بهذه الاصطلاحات -كما حصل لشيخ الإسلام- فإنه جائز، ولكن مثلما قال ابن القيم:

فانظر ترى لكن نرى لك تركها حذر عليك مصائد

الشيطان

س: وهذا يقول: ذكرت كثيرا من البدع ولم تذكر الرافضة؛ فأرجو إعطائنا فكرة عن هذه البدعة؟.

ج: الرافضة بدعتهم مشهورة، ولا تحتمل التوسع والإطالة؛ لكونهم مذاهبهم مشهورة، وكذلك أفرادهم معرفون ومعلومون، والله حسيبهم، وبكل حال كتبهم موجودة والردود عليهم، ولعلها يمر علينا بعض من كلامهم في هذه العقيدة.

س: ما رأيك في إتيان النساء لحضور الدروس في هذه الأيام وفي غيرها؟ وهل المكث في البيت وسماع الأشرطة أستر وأفضل؟.

ج: كثير من الإخوة قد يكون لهم أخوات أو زوجات لهن الرغبة، لا مانع -إن شاء الله- إذا أتوا بهن وهن متحجبات ومتحفظات في مكان مختص بالنساء، ولا مانع أيضا... أو قد يفضل إذا اقتصرت على سماع الأشرطة في بيتها، وكان في ذلك ما يكفي.

س: وهذا يقول: ما معنى قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ ؟ .

ج: المقصود أن الجنة تفنى.

س: وكيف ترد على من قال: "إن أهل النار من الكافرين يخرجون" واستدل بحكايات، بقوله تعالى: ﴿ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ أي حقبا بعد حقب؟.

ج: أما أهل الجنة فلا شك أنهم يبقون، وأنها دائمة ليس لها نهاية، وأما أهل النار فالمذهب الصحيح الذي تؤيده الأدلة، أنهم ماكثين فيها أبدا كما قال: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ هذا القول الصحيح، وأما قوله: ﴿ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ فلم يقدر عدد الحقب، وما قال الله: لابثين فيها مائة حقبة، ولا عشرة أحقاب، ولا ألف حقبة، ولا مائة ألف حقبة؛ ولذلك يقول بعض العلماء: "كلما انتهى حقب بدأ حقب إلى ما لا نهاية له". فهي أحقاب لا عدد لها، والحاصل أن المذهب الصحيح أنها دائما سرمدا كما أخبر الله تعالى.

س: يقول هذا السائل: إن بعض الإخوة -هداهم الله- يأتون متأخرين ويضايقوننا في الصف الأول، مع عدم وجود فرجة مما يذهب خشوعنا؟.

ج: كأنه يريد نصيحتهم، وهذا هو الحق: أن الذي يأتي متأخرا يصف من حيث وجد، ولا يضايق من قبله إلا إذا وجد فرجة، فإن وجد فرجة فله أن يسدها ولو تخطى الرقاب؛ لأنهم أسقطوا حقهم بترك هذه الفرجة في الصفوف الأولى.

وهذا يحث على تشجيع الأخوة الذين جاءوا لطلب العلم من دول الخليج وغيرها.

ج: لا شك أنهم على خير -إن شاء الله- الذي تجشموا المشقة وصبروا على العنت، وعلى الصعوبات، وفارقوا أهلهم وبلادهم، وأنفقوا الأموال التي أنفقوها رغبة في التزود، ومحبة للعلم، فيرجى لهم أن يكونوا ممن يحصل لهم ثواب العالم، أو المتعلم. ورد الحديث بقوله ﷺ من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة بشارة كبيرة، هذا الطريق الذي سلكته -سواء قصيرا أو طويلا- لك فيه أجر: خطواتك، والمسافات التي قطعتها، والزمن الذي قطعته، لك -إن شاء الله الأجر- على قدر نصبك، وقدر تعبك، وقدر تحصيلك، ثم هو أيضا وسيلة إلى التزود. الغالب أن من جاء راغبا محبا؛ فإنه يكون متفجر القلب، ويكون محبا للتزود فيثيبه الله تعالى.

س: وهذا يقول: تقديم السؤال بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل هذا موضع سلام؟ هل يشرع هذا وإن كان الصحابة وهم جالسون في مجلس رسول يصدرون أسئلتهم بالسلام عليه السلام؟ .

ج: نعم السلام مشروع عند كل لقيا وكل مقابلة، كما شرع للخطيب إذا تقدم أمام الجماعة في الجمعة والعيد ونحوها، أن يبدأ مخاطبتهم بالسلام؛ وذلك لتحصل التحية التي قال الله فيها قال تعالى: ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ ﴾ ﴿ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ فإذا تقابل المسلمان فإنهما يحرص -كل منهما- على البداءة بالسلام؛ لقوله ﷺ وخيرهما الذي يبدأ بالسلام والله أعلم وصلى الله على محمد.

السلام عليكم ورحمة الله، الحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سنبدأ في الشرح لهذه المقدمة، ثم نقرأ ما بعدها. الإمام المؤلِّف، قد ذكرنا بالأمس سبب تأليفه لهذا، وهو أنه فقيه واشتغل وقتَه بالفقه، كما يظهر ذلك في مؤلفاته، ولكن لم يحسب أن يكتب في العقيدة؛ فألَّف فيها مؤلفات ولكنها نبذةٌ صغيرة، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي -رحمه الله-، صاحب المؤلفات في الفقه: "كالمغني" و"الكافي" و"المقنع" و"العمدة" و"الروضة" وغيرها من

المؤلفات.

يقول في هذه المقدمة: " الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأنٌ عن شأن". نقف عند هذه المقدمة قليلا.

فأولا: ابتدأ كغيره بالبسملة؛ اقتداءً بكتاب العزيز، حيث بُدِء بالبسملة، وبدء بالحمدلة؛ وعملا بالحديث المشهور: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله -وفي رواية بالحمد لله- فهو أبتر، أو أقطع، أو أجزم والمعنى: أنه ناقص البركة. ذكر المؤلفون هذا الحديث، يذكرونه في مقدمات شروحهم، كما ذكره البهوتي في مقدمة شرحه على "زاد المستقنع"، وشرحه على "الإقناع"، وشرحه "المنتهى" وغيره، ثم بعد ذلك ابتدأ بالحمدلة (الحمد لله).

الحمد: هو غاية الثناء ، الثناء على الإنسان يسمى حمدا، الثناء عليه بخصاله الحميدة، الثناء عليه بعقله وبديانته وبأمانته وبكرمه وجوده وبحلمه وصفحه وبصدقه وأمانته... يعني: بالخصال التي يحمد عليها، التي يبالغ في الثناء عليه لأجلها، هذا الثناء يسمى حمدا.

فإذا أثني عليه بأشياء لا صنع له فيها: أثني عليه بأنه جميل أو طويل أو قصير، أثني عليه بأشياء خلقية من خلقته: كجمال صورته وطول قامته، ومثلا بفصاحته (فصاحة لسانه) وذكائه ونحو ذلك، هذا الثناء يسمى مدحا. فالفرق بين المدح والحمد: أن الحمد الثناء بالصفات التي يتخلق بها: كالصدق والأمانة والعلم والحِلم... وما أشبهها، وأمَّا المدح: فهو الثناء عليه بالصفات التي جُبِل عليها (لا صُنْع له فيها): كالجمال والخلقة والطول والقصر... وما أشبه ذلك.

الله تعالى يثنَى عليه بكل الصفات: فيثنى عليه بصفات الكمال، ويثنى عليه بصفات الجمال، ويثنى عليه بصفات الأفعال، يستحق أن يثنى عليه بكل الصفات؛ فهو أهلٌ للحمد وهو المستحق له، ولأجل ذلك حمد نفسه في كثير من السور: كالفاتحة وسورة الأنعام وسورة الكهف وسورة سبأ وسورة فاطر ابتدئت بالحمد، ابتدأها الله ب ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ إلى آخرها، وكذلك أخبر بأنه المستحق للحمد، وبأنه يثنى عليه بالحمد، كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ وقوله: ﴿ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ وغير ذلك.

فكثرة ذكر الحمد دليل على أنه ذكر يذكر به الله، ويمدح به، ويثنى عليه به، وأنه يحبه، يحب مَن يحمده، ويحب من يثني عليه، ويثيبهم على ذلك، وأنه أهلٌ للحمد وأهلٌ للثناء.

أما تعريف الحمد في الاصطلاح، فأذكر له تعريفين:

أحدهما قولهم: "إن الحمد فعل ينبئ عن تعظيم المنعِم؛ بسبب كونه منعِما على الحامد وغيره". "فعل ينبئ عن تعظيم المنعم؛ بسبب كونه منعما على الحامد وغيره". وهذا كأنه يختص بحمد المنعم، يعني: إنه لا يحمد إلا بسبب كونه منعما، وأن الحمد تعظيم، فعل ينبئ عن تعظيمه (أن الحمد تعظيم له)، ولا شك أنه مستحق للتعظيم، ولا شك أن الحمد تعظيم، ولكن الصحيح أن الله تعالى يُحْمَد على كل حال: يحمد على الخير ويحمد على الضَّرر؛ وذلك لأنه إنما يسلِّط الضرر على الشر أو البلاء، لحكم هو أعلم بها، فلأجل ذلك يحمد على الخير ويحمد على الشر، ولا يحمد على الشر سواه، وما ذاك إلا أنه ما يبتلي بالشر: كالمصائب والآفات والفقر والأذى والأمراض ونحوها، إلا لحكم ولمصالح؛ فلأجل ذلك نحمده.

إذا أصابك ضرر وألم فإنك تحمده على ذلك، وإن أصابك فقر أو أذى فإنك تحمده على ذلك، وإن أصابك سجن أو جلد أو حبس أو أذى مِن خلق سلطهم الله عليك، فإنك تحمد الله على ذلك، وإن كان ذلك لا يستدعي الفرح بذلك، ولا الرضا به.

وبكل حال فهذا يبين أن في هذا التعريف شيئا من الخلل، وهو قولهم: "إنه فعل ينبئ عن تعظيم المنعم؛ بسبب كونه منعما على الحامد وغيره". الله تعالى يعظم بسبب كونه منعما، وبسبب كونه مبتليا.

أما التعريف الثاني: في الحمد، الذي يقولون فيه: "إن الحمد ذكر محاسن المحمود، مع حبه وتعظيمه

وإجلاله". ولعلَّ هذا التعريف أسلم، ولكن الحمد لا يستلزم أن تذكر المحاسن كلها، ولكن إنما يحمد حمدا مطلقا، فتقول: الحمد لله. ولو لم تذكر محاسنه التي حمدته عليها، فقولهم: "ذِكْر محاسن المحمود" كأنهم يقولون: إن ذلك على وجه الإجمال، نحمده أي: نذكر محاسنه سواء بالقلب أو باللسان.

مثلا في أول سورة الفاتحة: ابتدأها الله بقوله: "رب العالمين" هذا من محاسنه، "الرحمن الرحيم" هذا من محاسنه، "مالك يوم الدين" هذا من محاسنه، وكذلك في أول سورة الأنعام: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ هذا من محاسنه، ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ﴾ هذا من محاسنه، وفي أول سورة الكهف: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ هذا من محاسنه، ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ هذا من محاسنه، وأشباه ذلك.

فالحمد: هو ذكر محاسن المحمود، وذكر فضائله، وذكر صفاته الحميدة، مع حبِّه وتعظيمه وإجلاله، أي إن الحمد يستدعي من الحامد هذه الثلاثة: الحب والتعظيم والإجلال .

فهذان تعريفان اصطلاحيان للحمد، ولا شك أنه سبحانه أهل الحمد كما شرع ذلك في الصلاة . المصلي إذا رفع من الركوع، يقول الإمام: "سمع الله لمن حمده". المأمومون والإمام كلهم يحمدون الله ويقولون: ☜ ربنا ولك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد ☜ وفي بعض الروايات: ☜ الحمد لله حمدا كثيرا كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ☜ كل ذلك من صفة الحمد .

لا شك أن حمد الله تعالى عبادة، إذا حمد الله العبد كان قد عبده بهذه الكلمة (الحمد لله)، ما دام أنه اجتمع كونه معظما له ومحبا ومجلا بهذه الكلمة، فقد أدى عبادة –وأي عبادة– وإن كان للحمد+، إذا تجددت نعمة فإنك تحمده عليها. ونعم الله تتجدد بالغدو والآصال.

تذكرون قوله –صلىالله عليه وسلم–: ☜ إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها ☜ وأينا يستغني عن الأكلة والشربة في اليوم عدة مرات ؟! إذن فإذا

تجددت هذه النعمة فإنك تحمده عليها، كذلك أيضا على السلامة من البلاء، بعد الأكل تقول: "الحمد لله الذي أذاقني لذته (يعني: بعد الفراغ من التخلي) الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى في منفعته وأذهب عني أذاه " . أو بعد الخروج من الخلاء يقول: " الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني" . فلا يستغني أن يحمد الله في كل الحالات، إذًا فالله تعالى محمود دائما: إما بلسان الحال، وإما بلسان المقال.

هنا يقول: "الحمد لله المحمود بكل لسان". قد تقول: كيف يكون ذلك مع أن كثيرا من الألسن لا يعرفون الله، أو لا يعترفون بفضله فضلا عن أن يحمدوه؟ والجواب أن الألسن ناطقة بحمده: إما بلسان الحال، وإما بلسان المقال. فألسنة الكفرة ولو كانت لا تذكر الله، ولو كانوا ينسبون النعم إلى غير الله، ولو كانوا يكفرون بنعمه، ولو كانوا يصرفون العبادة لغيره، ولكن لسان حال أحدهم معترف بأنه محتاج إلى رب، وأنه لا يستغني عنه طرفة عين، لسان حال أحدهم معترف بأنه مخلوق مفتقر إلى خالق، وذلك الخالق له الفضل عليه، فلا بد أن يكون صاحب الفضل أهلا أن يثنى عليه، وأهلا أن يحمد، إذن فهو حامد بلسان حاله شاء أم أبي، فالحق أن الله تعالى محمود بكل لسان: لسان حال، أو لسان مقال.

وقد ذكر الله تعالى أن جميع المخلوقات ذليلة له، كما في قول تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى آخر الآيات.

السجود والتسبيح لا شك أنه عبادة، وأنه دلالة على أنها مطيعة ولو كفر؛ ولهذا قال في آية الرعد: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم ﴾ يعني: من لم يسجد فإنه يسجد ظله. إذن فهم معترفون شاءوا أو أبوا بأنهم خاضعون وذليلون لله تعالى.

"الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان". لا شك أنه سبحانه مستحقٌّ أن يعبد في كل زمان، وما ذاك إلا أنه رب العباد في كل الأزمنة، والرب هو المعبود؛ ولأجل ذلك أمر عباده بأن يعبدوه

لكونه ربًّا، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ ما دام لكونه ربا، وما دام أن الخلق كلهم مربوبون؛ فإن عليهم أن يعبدوا ربهم، فالرب تعالى معبود في كل زمان، وإن كان هناك من لا يعبد الله عبادة حقيقة: كالكفار والمنافقين ونحوهم، ولكنهم في الأصل عبيد لله، لا يستغنون عن التعبد له، وأيضا فمعلوم أن كل زمان من الأزمنة، لا تخلو فيها الأرض عن أن يوجد فيها عباد عابدون، ولو خليت بلاد لم تخل بلاد أخرى، ولو يوم لم يخل اليوم الثاني، فلا بد في زمان، وفي ساعة، وفي شهر، ونحوه من وجود من يعبد الله، فالله تعالى معبود في كل زمان، أما قوله: "الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شان"، هذا مبدأ الدخول في الصفات، أول ما بدأ في صفات الله تعالى بهذه الجملة: "لا يخلو من علمه مكان".

معلوم لكل مؤمن أن ربَّنا –سبحانه وتعالى– مطَّلع علينا، وعالِم بأحوالنا، ويعلم أسرارَنا وعلانيتنا؛ فلأجل ذلك يذكرنا دائما هذا الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ ﴾ يعلم الله خطرات النَّفْس، ووسواس الصدر، وهواجس القلب، يعلمها بل يعلم أخفى من ذلك.

فسر بعض علماء المفسرين قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ﴾ أن السِّرَّ: ما أضمره العبد في قلبه و لم يحرك به شفتيه، فضلا عن أن يتكلم به عند أحد. وأخفى من السرِّ: هو ما سوف يخطر له فيما بعد قبل أن يحدث به نفسه، ولكن يعلم الله أنه سيفعله فيما يستقبل، أو سيخطر بباله. إذن فالله لا يخلو من علمه مكان أية مكان: صغير أم كبير، يعلم ما يكون فيه، يعلم من يكون في هذا المسجد وعددهم ونياتهم وأسرارهم وعلانيتهم، ولا يشغله هذا عن المسجد الثاني، عن البلاد الثانية، وعن المكان الثاني، وعن أهل السماوات، وعن أهل الأرض، فإنه كل يوم هو في شأن، لا يشغله شأن عن شأن، يعلم كل مكان وما يحدث فيه.

قلت: إن هذا هو أول بدئه في الصفات، حيث ذكر علم الله تعالى وأنه واسعٌ، وأنه محيط بالأشياء

وعالِم بها، ويفسر ابنُ قدامة –رحمه الله– بهذه الكلمة الآيات التي فيها المعية، يشير إلى أنها محمولة على العلم، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ أن ذلك معية العلم والاطلاع والقرب والهيمنة والقدرة والنظر والرؤية: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ يراكم ويطلع عليكم، يعلم أسراركم ويعلم أعمالكم. وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ النجوى: الكلام الخفي بين ثلاثة. يعلمهم فكأنه رابعهم. ﴿ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ ﴾ يعلم ما يسرونه وما يتناجون به.

ولعل ابن قدامة –رحمه الله– يرد بهذه الجملة على المعتزلة، وعلى الحلولية، وعلى الفلاسفة، وعلى الكثير من الصوفية، وعلى الجهمية، هؤلاء عقيدتهم –والعياذ بالله– إنكار صفة العلو، وادعاء أن الله بذاته في كل مكان؛ فلذلك قال: "لا يخلو من علمه مكان"، ردًّا على الذي يقول: "إنه بذاته في كل مكان". وهذا قول الحلولية الذين يدعون أنه حالٌّ بذاته في المخلوقات كلها، وهذا عين الكفر وعين الجحود، فإن الرب تعالى بائنٌ من خَلْقِه مع كونه مستويا على عرشه.

وقوله: "ولا يشغله شأن عن شأن". يقول بعض الخطباء: "إنه في الثناء على الله تعالى، لا تشتبه عليه اللغات، ولا تغلطه كثرة المسائل مع اختلاف اللغات وتفنن المسئولات". وهذا معنى لا يشغله شأن عن شأن: لا يشتغل بسماع هذا عن هذا، بل يدعوه مئات الألوف وألوف الألوف في لحظة واحدة، ويسمع دعاءهم ويعرف حاجاتهم ويعرف مطالبهم، ويجيب مَن يجيبه منهم ويعطيه سؤله، ولا شكَّ أن هذا يستلزمُ أنهم يعظمونه إذا عرفوا أنه مستحق لهذا التعظيم، وأنه بهذه الصفة –بحيث لا يشغله شأن عن شأن– فإن ذلك يحملهم على أن يطيعوه ويعظموه ويجلُّوه، ويعتقدوا أنه ربهم ومالكهم، وأنه هو المعبود.

هذه جملة من الجمل انتهت بقوله: "ولا يشغله شأن عن شأن". نود قراءة الجملة التي بعدها.

صفات النفي

جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد، لا تمثله العقول... .

هذه الجملة يؤخذ منها صفات السلب (صفات النفي)، فإن صفات الله تعالى: صفات سلبية، وصفات ثبوتية. ولكن إذا أتت الصفات السلبية استلزمت الصفات الثبوتية، وإلا فالسلب (النهب) لا يمدح الله به نفسه، حتى يتضمن صفة ثبوت يمدح بها، فإن المدح... إن الله يمدح بالصفات المثبتة لا بالصفات المنفية، فإذا كان مثلا: جَلَّ عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد. فهذا نفي، وقد نفى الله ذلك عن نفسه.

ورد في آيات كقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾ وكقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا ﴾ وكقوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ وكقوله: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ وكقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وكقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ هذه كلها نفي سلب، ولكن بماذا يمدح ؟ يمدح نفسه بهذا السلب، وكذلك قوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ .

كل ذلك يستدعي صفة الثبوتية، ما هي؟ هي التفرد، هي الواحدانية التي تستلزم الكمال. فإنه إذا كان واحدا فردًا أحدا صمدًا تصمد إليه القلوب، وتتوجه إليه الرغبات، ومع ذلك هو محيط بالمخلوقات وعالم بها، ومع هو خالقها ومدبرها وحده، أليس ذلك ليس دليل العظمة؟ أليس ذلك دليل الكبرياء؟ لا شك أنه إذا تنزه عن أن يحتاج إلى صاحبة (يعني زوجة) لا يحتاج إلى ولد. ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾ وقد نزه الله نفسه عن الولد، وأخبر بأن هذه فرية قالها المشركون، وأنها أعظم فرية وأكبرها حتى قال: ﴿

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ .

يعني: إن مقالتهم هذه تكاد أن تتفطر لها الأرض، وأن تخر لها الجبال، وأن تتفطر لها المخلوقات العظيمة؛ لعظم شناعتها، حيث جعلوا لله تعالى ولدا، مع أنه مستغنٍ عن الولد والوالد والشريك والنظير والمثيل والند والكفو، لماذا ؟.

لأن هذه الأشياء تستلزم الحاجة، أو تستلزم المثلية، تستلزم أنه بحاجة إلى الولد، كالإنسان الذي بحاجة ولده، يسانده ويساعده ويقوم مقامه ويعينه عند عجزه ويخلفه بعد موته. الرب تعالى ليس كذلك، وليس بحاجة إلى ولد ولا إلى زوجة ولا إلى شريك، فهو له الكمال المطلق.

إذن فنفي الصاحبة يستلزم عدم الحاجة وإثبات+ ، وكذلك نفي الولد يلزم منه إثبات الكمال، وكذلك نفي الشريك ونفي الند ونفي المثيل وما أشبه ذلك، ورد الله على من أثبت ذلك من المشركين ونحوهم، كقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ ﴾ وقولوا تعالى: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ وقوله: ﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ وكقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبًاۚ ﴾ زعم بعض العرب –من جهلة العرب– أن الملائكة بنات الله، وأن بينه وبين الجنة نسبا، تعالى الله عن قولهم، فأبطل ذلك كله وأثبت واحدانيته.

فبذلك نعرف أن كل نفي يستدعي ثبوتا، وإلا فالنفي المحض ليس بنفي.

رد شيخ الإسلام –رحمه الله– في رسالته "التدمرية" (في قاعدة من القواعد) على من يصف الله تعالى

بالصفات السلبية التي هي عدم المحض، وكذلك في كثير من كتبه، وأخبر في "الحموية" أن الله بعث رسله بنفي مجمل وإثبات مفصل، وأن الإثبات يقصد بذاته الصفات الثبوتية مقصودة بذاتها، وأما الصفات السلبية فمقصودة لغيرها، فالله تعالى نزه نفسه بقوله كما ذكر كما ذكرنا الأدلة: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ﴾ ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ ﴾ فإذا نزهَّ نفسه عن مثل هذا؛ دلَّ على صفات الكمال، تنزه عن الشركاء والأمثال، وذلك يُثبت وحدانيته حتى لا يعبد غيره، ففي الآية التي في سورة سبأ يقول ابن القيم -رحمه الله-: "إنها قطعت جذور الشرك (جذوره: أي عروقه) وهي قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ .

الملك لله وحده ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ فنفى أربع حالات:

الحالة الأولى: الملك ملك استقلال، فإن ما تملكه أنت من متاعك ومن منزلك ليس ملك استقلال؛ لأنك أنت وهو ملك لربك وخالقك أي: لا يملكون ولو مثقال ذرة، فكيف يعبدون؟!

قد يقول قائل: نسلِّم أنهم لا يملكون، وأن الملك لله ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦ ﴾ يمكن أن يكون لهم شركة، يمكن أن يكونوا شركاء. فنفى ذلك: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ ولو شراكة في مثقال الذرة، قد يقول قائل: "نسلم أنهم لا يملكون وليسوا شركاء، ولكن أن يمكن أنهم أعوان لله، أنهم أعانوا الله في إيجاد الموجودات. فنفى ذلك بقوله: ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ ﴾ أي: من معين.

ليس لله تعالى مظاهر ولا مساعد ولا معيد في إيجاد الموجودات، بل هو المنفرد بذلك وحده، وإذا

كان كذلك فإنه المستحق بأن يعبد وحده، فإذا انتفى الشريك، وانتفى الولد، وانتفى المعين، ونفيت الصاحبة، ونفي الندُّ والنظير والمثل والكفؤ؛ ثبتت الصفات الوحدانية والتفرد. فهذا مقتضى هذه الصفة، وهي أننا ننفي هذه الصفات، حتى نثبت الوحدانية التي هي صفة كمال، لا يشاركه في هذا الكمال ولا في هذه الواحدانية أحد؛ ولأجل ذلك من أسماء الله: الواحد، ومن أسمائِه: الأحد.

فقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ إثبات للوحدانية. وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ إثبات للأحدية، والأحد مبالغة في الوحدانية، يعني: هي أبلغ من أن يقول: قل هو الله واحد. أحد أي: منفرد بالأحدية لا يشاركه في هذه الصفة غيره. فإذا اعتقد المسلم ذلك ؛ عرف أنه المستحق لأن يعبد ، جلَّ وتنزه عن الشريك، وعن الصاحبة، وعن الند والنظير والمثيل.

نقرأ الجملة الثانية.

الصفة الثبوتية

ونفذ حكمه في جميع العباد، لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

يقول: نفذ حكمه في جميع العباد، هذه أيضا صفة ثبوتية، بعدما ذكر الصفة السلبية ذكر الصفة الثبوتية، وهي أن حكمه لازم لجميع العباد ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ ﴾ حكمه: أمره وتدبيره وتصرفه، لا رادَّ لحكمه ولا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ ﴾ حكمه: أمره وتدبيره وتصرفه.

لا راد لحكمه ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، فمن حكم عليه بالغنى استغنى، ومَن حكم عليه بالفقر افتقر، ومن حكم عليه بالمرض، ومن حكم عليه بالصحة، ومن حكم عليه بالهداية، ومن حكم عليه بالضلال، ومن حكم عليه بالعلم، ومن حكم عليه بالجهل، ومن حكم عليه بالطاعة، ومن حكم

عليه بالمعصية، نفذ حكمه في جميع البلاد، وفي جميع العباد، وله الحجة في ذلك، ولله الحجة البالغة: ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ ﴾ .

فكونه يحكم فيه بما يشاء، معناه أنه يتصرف في ملكه؛ لأنه خلقه ،ولأنه ملكه، ولأنه المتصرف فيه وحده.

فإذا كانوا ملكه فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وحكمه نافذ فيهم شاءوا أم أبوا. هذا الأصل في أن حكم الله تعالى نافذ في الخلق كلهم (أولهم وآخرهم)، هذه كما قلنا: "صفة ثبوتية" تثبت أن الحكم لله.

يعرف الفقهاء والأصوليون الحكم بأنه: "إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه".

لو قلت: حكمت بأن هنا ++. فهذا الحكم، أين حكم الله تعالى؟ فهو تقديره، تقديره وتنزيل قدره، فإذا قدر على هذا أمرا نفذ قدره، أيًا كان تقديره وتدبيره وتصرفه، هذا هو حكمه. ويمكن أن يكون حكمه: أمره ونهيه. وإن كان قد يأمر من لا يفعل: أمر الكفار بالإيمان وما آمنوا، أمر العصاة بالطاعة فعصوا.

فهل يسمى هذا حكما؟ نسميه حكما شرعيا لا حكما قدريا. بمعنى أن الحكم النافذ الذي لا بد من وجوده هو الحكم القدري: هو الحكم الذي قضاه وقدره في الأزل وحكم بوجوده فلا راد له. وأما الحكم الشرعي: وهو أنه شرع هذه الأحكام، وشرع الأوامر والنواهي، وشرع الطاعات وتحريم المحرمات، فهذا حكم شرعي ينفذ فيمن قدر الله إيمانهم، ولا ينفذ فيمن قدر الله عصيانهم. هذا معنى قوله: "ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير".

من هنا أخذ أيضا يبدأ في الصفات (الصفات السلبية). نعرف قبل ذلك أن قاعدة أهل السنة: إن الله تعالى لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله -صلى‌الله عليه وسلم-؛ وذلك لأنه أعلم بنفسه وأعلم بخلقه، ورسوله أعلم بمن أرسله، فإذا اقتصر في باب الصفات -ثبوتية أو سلبية- على ما

ورد... وقوله: "لا تمثله العقول بالتفكير". معناه: إن العقول والقلوب تعجز عن أن تصل إلى مثله، إلى مثل تبديله.

ولعل الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ أي: مهما فكروا ومهما سألوا لا يحيطون به علما. يعجزون عن أن يحيطوا به، يعني: أن يحيطوا بمعرفته أو يحيطوا بذاته. يعجزون عن أن يمثلوا بعقولهم ذاته سبحانه.

كذلك لا تحيط به الظنون ولا العقول بالتفكير. من أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي: لا يصلون إلى علم من صفته إلا بما أوصله إليهم. فإذا لم يشأ لم يستطيعوا أن يصلوا إليه. وكيف يعلمون صفة ذاته -سبحانه- مع أنه قد حجب نفسه عن أن تصل إليه العلوم، الأوهام، التفكيرات أو نحوها؟!

وأخبر بعدم مماثلته لمخلوقاته بقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مثلين في "التدمرية"، يبين فيهما عجز الإنسان عن أن يصل تفكيره إلى تكييف الذات الربانية.

المثل الأول: مخلوقات الجنة، ومع أنها مخلوقات ولكن لا ندري ما كيفيتها ، قصرت عنها أفهامنا. ذكروا أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود، وهذا لا تدركه أفهامنا ولا تخيلاتنا. كيف يجري الماء على وجه الأرض ولا يسيح ولا ينبسط تحت الأرض ؟! أمر الله أعظم، وقدرة الله أعظم، وكذلك جميع ما ذُكِر في الجنة.

المثال الثاني: الروح التي بها حياة البدن.

عجزت الظنون عن تفكيرهم فيها. عجزت العقول عن إدراك ماهيتها ؛ فردوا عقولهم وقفوا عند قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ .

نحن نعرف أن الإنسان مركب من: جسد وروح. إذا خرجت الروح بقي الجسد جثة ليس فيه روح

. ميت لا حياة به . ما هي هذه الروح ؟ لا ندري ماهيتها، ولا ندري ما كيفيتها. عجزنا عن إدراكها . وكذلك بطريق الأولى عجز عقولنا عن كيفية ذاتِ الرَّب –سبحانه وتعالى–، وهذا معنى قوله لا تمثله الظنون ولا القلوب بالتفكير، ولا تتوهمه ولا تتخيله ولا تصل إلى كيفية ذاته، بل كل ما خطر ببالك من صفة للرب فإنه على خلاف ذلك، مهما خطر ببالك أنها كيفية استوائه كذا، وأن كيفية نزوله كذا، وأن كيفية ذاته كذا وكذا، وإلا فالله خلاف ذلك؛ ليكون ذلك دليلا على عجز هذه المخلوقات عن إدراك كنه ذاته، وعن معرفة ماهية ذاته ، فضلا عن تحققها .

ومعلوم أن جميع بلادنا يدينون بالإسلام، أو يدينون بالعبودية لله تعالى، مسلم وكتابي وغيرهم، يعتقدون أن هذا الوجود لا بد له موجد، وأن الموجد الذي أوجده واجب الوجود، وقد أقاموا على ذلك، ولكن باصطلاحات وبعبارات فلسفية منطقية ويكفي أن نستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ فإذا لم يكونوا خلقوا من غير شيء، و لم يكونوا هم الخالقين ؛ تعين أن لهم خالقا، والخالق لا بد أن يكون غنيًّا عما سواه، وما سواه فقير إليه، وإذا كان كذلك، فإن الخالق سبحانه لا يمكن أن يساوي ويشابه المخلوق الذي تعتريه الآفات والتغيُّرات، وتأخذه النواقص التي تنزه عنها الخالق سبحانه، نزَّه نفسه عن الموت كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ ونزَّه نفسه عن النوم وعن النعاس: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ .

السِّنَة: هي النعاس ومقدمة النوم وما أشبه ذلك. فهذه صفات تبين تنزهه عن مشابهة المخلوقات، وتنزُّهه عن أن تدركه عقول المخلوقين، أو يعرفون كيفية صفة من صفاته فضلًا عن كيفية ذاته.

ثم يقول: استدل بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ شطر آية أو بعض آيه، رد الله فيها على الطائفتين: على الممثِّلة والمعطِّلة. أوَّلُها ردٌّ على الممثلة: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ آخرها: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ رد على المعطلة؛ ولأجل ذلك كان آخرها ثقيلا

على هؤلاء المعطلة، حتى روي عن رئيس من رؤسائهم وهو ابن أبي دؤاد، أنه قال للإمام أحمد: "أحب أن تكتب على الكعبة، أو على كسوة الكعبة: "ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم"".

أراد أن يحرف القرآن؛ لأن كلمة "وهو السميع البصير" تطعن في معتقد ابن أبي دؤاد، الذي ينكر السمع والبصر، بل ينكر كل الصفات الذاتية والصفات الفعلية؛ فلذلك ذكر ابن قدامة هذه الآية في مقدمة كتابه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ .

الممثِّلة: هم الذين يقولون: "إن صفات الله كصفات المخلوقين، لله يد كيدنا، ولله وجه كوجهنا، ولله قدم كقدمنا، ولله كذا وكذا..." تعالى الله عن ذلك، فرد الله عليهم بهذه الآية، وفي آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ يعني: شبيها ومثيلا. وكقوله: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾ ينزه الله نفسه عن أن يكون له مثل.

وتكلم العلماء على هذه الآية، وقالوا في الكاف "ليس كمثله" قالوا: "إن الكاف صلة لتأكيد النفي، أو أن المراد بالمثل: الذات. كما يقولون لمن يمدحونه: مثلك لا يغضب، ومثلك يحلم، ومثلك يعطي، يريدون أنتَ. فالمعنى: ليس كهو شيء، ليس شيء كهو. أي: مماثل له.

وعبَّر بعضهم بالزيادة لقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ أن الكاف زائدة؛ حتى لا يُفهم أن لله مِثلا، لأنه قد يخاف أن لله تعالى مثلا فيقال: ليس مِثل مِثلِ الله شيء. والصحيح أنه لا يقال في القرآن زائد ولا لغو، القرآن كله حق، وكل حرف منه فيه فائدة. فإذًا نقول: "إن الكاف صلة لتأكيد النفي (نفي المثلية)".

وسبق من بعض مشائخنا قال في التعبير عن الزيادة، يقول:

يســـن مـــا يـــزاد لغـــوا أو صـــلة أو كـــل أكـــدا وكـــل قيـــل لـــه
لكـــن زائـــدا ولغـــوا يجتنـــب إطلاقـــه في مـــترل كـــذا وجـــب

يعني: إنه يعبر عنه بأربع:+ زائد أو لغو أو صلة أو مؤكد. ولكن لا يطلق في القرآن كلمة لغو، ولا كلمة زائد؛ تنزيها للقرآن أن يكون فيه شيء يمكن الاستغناء عنه، ومع ذلك تجدون كثيرا من المفسرين يطلقون لفظ الزيادة، ومنهم: المحلِّي صاحب "تفسير الجلالين" (جلال الدين المحلي)، عندما أتى على هذه الآية قال: "الكاف زائدة لأن الله تعالى لا مثل له". لو قال: مؤكدة، أو قال: صلة المثل؛ لكان أبلغ.

وبكل حال فالآية أفصحت عن نفي المثل لله تعالى، ولكن أفصحت أيضا عن إثبات الصفة: صفة السمع وصفة البصر. تجدون في كتب النحاة تكرار هذه الآية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ لأنه ليس كمثله شيء، الله ليس كمثله شيء، ولا يأتون بآخرها لأنه حجة عليهم. وبكل حال فالأصل أنا نصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله، ونثبت لله صفات الكمال، ونترهُه عن صفات النقص. ونتوقف عند هذا ونشتغل بالجواب على أسئلة الإخوة:

س: هذا سائل يقول: أنا قد حضرت من خارج الرياض لمسافة ستمائة كيلو متر وسوف أمكث واحد وعشرين يوما هل يجوز لي القصر أم لا؟

ج: نقول: إذا كنت مقيما خارج الرياض: في خيمة مثلا أو في قبة أو سيارتك، لم تسكن فيما يسكن فيه غيرك من أهل البلاد -فلك أن تقصر، وأما إذا سكنت فيما يسكن أهل البلد: في شقة مثلا أو في قصر أو في منزل فيه مكملات المنزل، فيه مثلا: الكهرباء، وفيه الفرش، وفيه المكيفات. وفيه آلات إصلاح الطعام ونحوه -فنعتبرك مقيما، ولو لم تمكث إلا يوما، فليس لك القصر لهذا؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما جاء إلى مكة ومكث ستة عشر يوما يقصر الصلاة، ما كان ساكنا في مكة بل كان خارجها، ساكنا في خيام أو نحوها. وأما عثمان فلما تأهل بمكة، أي: صار له بها أهل وملك أتم الصلاة.

س: وهذا له سؤال ثان يقول: يلاحظ أن بعض الإخوان الذين يمدُّون أرجلهم أمام المصاحف؟.

ج: هذه ملاحظة طيبة؛ وذلك لأن المصاحف لها حرمتها، فليس للإنسان أن يستهين بها، ومعلوم إذا مدَّ قدميه ومسَّ المصحف بوضع قدميه ويطأهما، أن في ذلك شيئا من الاحتقار والإهانة للمصاحف، فلينتبه لذلك.

س: وهذا يقول ما معنى الصفات الخبرية؟.

ج: الصفات لله تعالى كلها خبرية، أي: بمعنى أنها تعتمد على الخبر ليست عقلية. هذا هو الأصل، لكن الجهمية والمعتزلة ونحوهم قسَّموها إلى: صفات خبرية، وصفات عقلية. فقالوا: "الصفات العقلية: هي التي دلَّ عليها العقل". مثل كونه علة الوجود، ومثل كونه واجب الوجود، ومثل افتراضهم مسألة أو دلالة التمانع وأشباه ذلك. يقولون: "دلالتها عقلية". والصفات الخبرية: هي التي وردت في الكتاب والسنة. ونحن نقول: الصفات كلها خبرية وليس للعقول تدخل في صفات الله.

س: وهذا يقول: هناك مَن يقول: "الحمد لله الثناء لجميل الاختيار". ما معنى جميل الاختيار؟.

ج: ذكرنا أن الإنسان يُمْدَح بالصفات الاختيارية: كالكرم والصدق والجود وحُسْن الخُلُق، ويمدح بالصفات الخَلْقِية: كجماله وطلاقته وفصاحته وطوله وقصرَه وضعفه وسمنه ونحو ذلك، فهذه صفات ذاتية، والصفات جميل الاختيار: هو الذي يفعله باختياره. هو له اختيار، أنت لك اختيار في أن تصدق أو تكذب أو تحلم أو تغضب، تعطي أو تمنع، تتكرم أو تبخل، لك اختيار. فهذه الصفات الاختيارية يمدح بها، ويسمى المدح بها ثناء، ويسمى ضد ذلك ذما.

س: ما الفرق بين مصطلحي العقيدة والتوحيد؟.

ج: ذكرنا أن التوحيد عام، حيث يدخل فيه توحيد الأسماء والصفات وهو عقيدة. تعرفون أن التوحيد يدخل في توحيد الذات ويسمى توحيد الربوبية، وتوحيد الصفات ويسمى توحيد الأسماء والصفات، أو التوحيد الخبري، وتوحيد الأفعال التي هي أفعال الله وتوحيد العبادة التي هي أفعال العباد، كل ذلك داخل في اسم التوحيد.

وأما العقيدة: فهي ما يعقد عليه القلب. فيدخل في ذلك الإيمان بالغيب، الإيمان بالبعث والنشور، وبالجنة والنار، وما أشبه ذلك يدخل في العقيدة، ويدخل في ذلك الإيمان بالقرآن وأنه كلام الله، وما أشبهه، ويدخل في ذلك أسماء الإيمان والدين والأحكام التي تترتب عليها، والقول في الصحابة وما أشبه ذلك. فالعقيدة أعم من جهة، والتوحيد أعم من جهة.

س: ويسأل سؤالا ثانيا يقول: أي الفِرَق التالية أخطر على أمة الإسلام: الرافضة اليهود النصارى؟.

ج: معلوم أن كل فرقة عندها حقد للإسلام، حقد على المسلمين، وتحاول أن تضر بالمسلمين، ولو كان بعضهم يخالط المسلمين ويدعي أنه منهم. الرافضة ظاهرهم أنهم معنا وأنهم منا؛ ولأجل ذلك يختلطون بالمسلمين ويحجون معهم ويجلسون معهم ويشغلون معهم، فظاهرهم أنهم مسلمون؛ ولذلك يعتقد كثير من الناس أنه لا خطر من الإسلام عليهم، ولكن في الحقيقة أنهم خطرهم كبير، وما ذاك إلا أن قلوبهم مليئة بالحقد على المسلمين (على أهل السنة) في كل زمان ومكان، ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا المصائب التي حصلت على المسلمين بأسبابهم، فمثلا:القرامطة الذين قتلوا الحُجَّاج في الحرم، في سنة ثلاثمائة وسبعة عشر، وقلعوا الحجر، هم في الحقيقة رافضة ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض.

كذلك التتار الذين أوقعوا بالمسلمين، ما تمكنوا إلا بسبب الرافضة. كان ممن مكنهم: ابن العلقمي (رافضي خبيث) يتمنى أن تزول الدولة العباسية؛ لأنهم من أهل السنة، ويولي مِن أهل البيت في زعمه، وأوقع بالمسلمين ما أوقع من الفتنة والقتل العظيم، أكثر من مليون قتيل في بغداد وحدها بسبب الرافضة، ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا أن أكثر المصائب حصلت بسببهم؛ ولذلك يقول ابن القيم في النونية:

إن الروافض شر من وطئ الحصا ... من كل إنس ناطق أو جان

أما اليهود فمعلوم أيضا أنهم ذو حقد على المسلمين، ولكن متى سالموا المسلمين، وأُخِذت منهم الجزية، واصطلحوا مع المسلمين؛ أمن المسلمون من مكرهم، وأقروهم على دينهم. وكذا يقال في النصارى: إنهم أهل بغض وحقد على المسلمين، لكن قد يسالمون، وقد يتفق معهم على عقد الذمة، ويصطلحوا مع المسلمين ويبقون في بلادهم.

س: يقول: كيف يمكن التقريب بين مذهب أهل السنة والجماعة، والشيعة؟ وهل الشيعة هم الرافضة ؟.

ج: نعم، الرافضة يسمون أنفسهم شيعة، وهم الآن يسعون إلى التقريب بينهم وبين أهل السنة، ولعلكم قرأتم ما ذكره محب الدين الخطيب في كتابه " الخطوط العريضة"، حيث ذكر أنهم يسعون إلى التقريب، ولكن يقول: "نظرنا وإذا هم يجتذبون أهل السنة إلى مذهبهم الباطل، وهذا هو التقريب بزعمهم". وكأنهم يقولون: هلموا إلى مذهبنا هلموا إلى نحلتنا وعقيدتنا، حتى بذلك تكونوا قريبين، تخلوا عن معتقدكم، سبوا الصحابة والعنوا الشيخين (أبا بكر وعمر)، وأكثر الصحابة، واطعنوا في القرآن، وكذبوا بالصحيحين واحرقوهما، أو ردوا أحاديثهما واعتمدوا على كتبنا التي فيها مسبتهم ونحو ذلك، حتى تكونوا قريبين منا، هذا هو التقريب .

س: يقول ما معنى قوله تعالى: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾ ؟.

ج: الآية خطاب للجن والإنس، الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، ولكن فيها وعيد، الإنسان يتوعد ولو كان فارغا. أنت مثلا إذا أردت أن تتوعد عدوا لك تقول: "لأتفرغن لك". مع أنك متفرِّغ الآن، ولكن معناه: إنني سوف أنشغل بك وأتفرغ، أو أشتغل بك حتى أحاكمك وأنت في +، وكذلك قوله: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: سوف تجتمعون ونحكم بينكم. ولا يستلزم أن يكون الله مشغولا في وقت من الأوقات.

س: وهذا يسأل عن صحة حديث: ﴿ كل عمل لا يبدأ فيه ببسم الله... ﴾ ؟.

ج: الحديث صحيح، ولكن ذكر "باسم الله" كأنها غريبة، والصحيح أنه لا يبدأ فيه بحمد الله أو بالحمد. تجدون طرقه وطرق في كتاب "نيل الأوطار".

س: هل يصح أن نقول: إن علما +الأزلي، إن فلانا لا يعمل صالحا نحكم عليه بالضلال؟.

ج: علم الله تعالى علم أزلي، ولكن نحن لا ندري ما خاتمته؛ فلأجل ذلك لا نقول: "إن فلانا لم يعمل صالحا، ولا نحكم على أحد بالضلال لمجرد نظرنا". بل نقول: "عمله الآن كفر، ولكن لا ندري ما عاقبته وخاتمته".

س: وهذا يقول: لماذا لا تفسر آيات المعية بأن المراد معية حقيقية تليق بجلال الله سبحانه، وهو مثل قوله: "إن القمر معنا" وهو في السماء، وهو معنا، فكذا الله سبحانه معنا حقيقة -ولكنه فوق السماء كما يقول- معية تليق بجلاله؟.

ج: صحيح معية الله تعالى حقيقة، لكنها مقتضى إذا أطلقناها فقد يقول قائل: إنها معية ذاتية؛ فيكون ذلك هو قول الاتحادية، وأما إذا قلنا: معية حقيقية مقتضاها العلم والاطلاع والهيمنة وعدم الغيبة والنظر والقرب، لم يكن في ذلك محذور إن شاء الله.

س: يقول: أرجو التوضيح بين: "الحموية" و"التدمرية" و"الواسطية" و"لمعة الاعتقاد"؟.

ج: توضيحها يعني قد يطول ولكن لعلك -إن شاء الله- تطلع عليها وتتمكن من معرفتها، "الحموية" فيها إثبات الصفات عن طريق النقل، النقل: الاستدلال بالآيات والنقول عن العلماء. وإن كان تكلم في آخرها على بعض العقليات. وأما "التدميرية": فهي إقناع لهم بحججهم التي يحتجون بها ، التي هي عقليات وتقديرات تدميرية. "الواسطية": عقيدة عامة مختصرة. "لمعة الاعتقاد": عقيدة أيضا عامة مختصرة.

س: وهذا يقول: من الملاحظ أن بعض الإخوة الطلاب لا يقومون بالسُّنَّة الراتبة بعد المغرب؛ حرصا منهم على القرب من الشيخ، نرجو التنبيه على ذلك.

ج: ينتبه لذلك، لعلهم -إن شاء الله- يحافظون على ذلك ولا يفوتون +.

س: وهذا يقول: هل لا بد إذا ذكرت الصفات المنفية عن الله ﷻ أن نتبعها بالصفات المثبتة؟.

ج: لا يلزم ذلك؛ وذلك لأنها دالة على الإثبات بطريق اللزوم، أي: يلزم من نفى هذه أن يثبت ضدها من صفات الربوبية، وإن كان بعضهم يعتمد النفي. لعلكم قرأتم في رسالة "الحيدة" للكلابي، أنه يجادل بشرا المرِّيسي فيقول: "إن الله عالم ويعلم، ولكن بِشْرًا امتنع من إثبات صفة العلم واقتصر على نفي الجهل"،وقال: "وأنا أقول لا يجهل". فألزمه بأنك إذا قلت لا يجهل فإنه يعلم؛ لأنه لا بد إذا وصفت اثنين وقلت: هذا لا يجهل وهذا يعلم، أنهما متقاربان في الصفة، الذي لا يجهل معناه يعلم، فصار ذلك إلزاما له، وإن كان الإثبات أبلغ.

س: وهذا يقول: عند وقت الأذان البعض يخرج عند باب المسجد لمن يبيع المساويك وما حكم الشراء منهم وما حكم بيعهم؟.

ج: لا بأس بذلك، لأنه يكون في وقت الصلاة، أما قبل الإقامة... وإن كان يفضل لهم أنهم بعد الأذان يدخلون المسجد.

س: وهذا يقول: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ هل يكون عموم المسلمين مجرمين؟ وهل من المسلمين من يخلد في النار؟.

ج: المسلمون الذين هم على التوحيد، وأهل الحقيقة (حقيقة التوحيد) لا يخلدون في النار، وأما الإجرام هنا أطلق الإجرام على الكفر، أو على الشرك هذا هو الظاهر.

س: يقول: نرجو إعادة الفرق بين: الحكم الشرعي والحكم القدري، وكذلك "لا يشغله شأن عن شأن"؟.

ج: الحكم الشرعي: هو الأمر والنهي. والحكم القَدَري: هو المصائب والآفات التي يقدِّرها على العبد. الحكم الشرعي لا يلزم نفوذه، إذا قال الله تعالى: "حكمت عليكم يا بني آدم ألا تشركوا". يعني:

شرعت لكم. يوجد فيمن يشرك؛ فدل على أنه أمر، وهذا الأمر لا يلزم وقوعه.

ولو قال: "ألا يقتل بعضكم بعضا". يوجد مَن يقتل، هذا حكم شرعي. وأما الحكم القَدَري فمعناه: إنه يقدر عليهم ما يصيبهم، فلا بد منه، فإذا قدر قحطا وجد، وإذا قدر خصبا وجد، وإذا قَدَّر مصيبة وجدت، وإذا قدر مثلا مرضًا، أو قدَّر فقرا أو قدر آفَة، أو قدر حادثا يحدث به، أو قدر تسليط عدو فلا بد منه.

وأما قوله:"لا يشغله شأن عن شأن". فالمعنى: إنه سبحانه لا يشغله سماع كلام هذا عن هذا، ولا تدبير هذا الأمر عن هذا الأمر، بل هو يدبر الخلق كلهم.

س: وهذا يسأل عن معنى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ ؟.

ج: صريحة الآية في سورة النحل، ينهى الله تعالى عن ضرب الأمثال له؛ وذلك لأن المشركين يضربون لله الأمثال، ولا يزالون يضربون ذلك، حتى مشركي زماننا، فيمثلون الله تعالى بملوك الدنيا، ويقولون: "ملك الدنيا لا نصير إليه إلا بالوساطة(بالواسطة)، إذا أردنا أن يأتي حاجتنا توسطنا بوزيره أو بكاتبه أو ببوابه أو بولده، حتى تقضى حاجتنا، فكذلك الله، هذا الله ملك الملوك، فنتوسط لهذا الملك، ونتوسط لهذا النبي، ونتوسط لهذا الولي، ونتوسط لهذا الشهيد، ونتوسط لهذا السيد، حتى يشفع لنا عند الله فيغفر لنا". فقال الله: هذا مثل باطل، لا تضربوا لله الأمثال. لله المثل الأعلى.

س: ما هو الأفضل: أن الشخص يجلس في المسجد وهو الذي صلى فيه صلاة الفجر، يحفظ القرآن الكريم إلى أن تتطلع الشمس، أم يحضر درسا بعد الصلاة مباشرة في مسجد آخر؟.

ج: إذا كان ذا علم ومعه من العلم ما ينتفع به، فجلوسه وعمله وقراءته وذكره أفضل. وإذا كان بحاجة إلى العلم، بحاجة إلى التزود من المعلومات، فطلب العلم أفضل من نافلة العبادة .

س: وهذا يقول: هل يجوز للبائع أن يأخذ من المبلغ الذي دفعه له المشتري، إذا تراجع المشتري عن شراء السلعة؟.

ج: يجوز ذلك؛ لأنه حبسه، ولأنه يستحق المطالبة ببقية الثمن .

والله تعالى أعلم وصلى الله على محمد.

السلام عليكم ورحمة الله، ﷺ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، نواصل قراءتنا في مقدمة اللغة التي جعلها المؤلف بمنزلة الخطبة، وهي -مع ذلك- من صلب العقيدة، فنستمع إلى القراءة من حيث وصلنا.

الإيمان بأن أسماء الله كلها حسنى وصفاته كلها عليا

ﷺ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ والصفات العلا ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾ .

هذا من جملة العقيدة، ندين بأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، ونعتقد أن أسماء الله -تعالى- كلها حسنى، وأن صفاته كلها عليا؛ أي رفيعة المعنى، ورفيعة المدلول، ذكر الله -تعالى- أن له الأسماء الحسنى في ثلاثة مواضع: في سورة الأعراف ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ وفي سورة طه ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ وفي سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ .

يعتقد أهل السنة أن الله -تعالى- سمى نفسه بأسماء، وسماه بها رسوله، أو رسله -عليهم الصلاة والسلام- وأنها كلها حسنى، والحسنى مبالغة في الحُسْن؛ أي إنها حسنة رفيعة المعنى جليلة القَدْر.

وقد ورد الحديث المشهور الذي في الصحيح قوله ﷺ ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما؛ مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة ﴾ هكذا ورد الحديث الصحيح، ثم في رواية للترمذي ولغيره سرد الأسماء، سردها إلى أن وصلت إلى التسعة والتسعين.

ابتدأ بالأسماء التي بآخر سورة الحشر ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ إلى آخرها، ورجح العلماء أن سردها ليس مرفوعا، وإنما هو من بعض الرواة، جمعوها من القرآن ومن الأحاديث وهكذا.

أيضا، تتبعها كثير من العلماء، تتبعوا الأدلة والنصوص، وجمعوا ما فيها من الأسماء، كما فعل ذلك ابن القيم في الصواعق المُرْسَلة، وكذلك الحافظ الحكمي في شرح السلم، معارج القبول، شرح سلم الوصول، وجمعها -أيضا- ابن حزم في المحلى؛ ولكنه اقتصر على ما صح عنده، وأدخل فيها بعض الأسماء التي لم تثبت أنها أسماء؛ أخذ من قوله: ﴿ وأنا الدهر ﴾ أن الله يسمى بالدهر، وهذا خطأ، وبكل حال يعتقد المسلمون أن أسماء الله كلها حسنى، وأنه يدعى بها.

ويعتقد المسلمون أن أسماء الله كثيرة لا تنحصر؛ لأن الله -تعالى- أجملها في هذه الآيات، و لم يذكر لها عددا، وأن الحديث فليس فيه أنها محصورة في تسعٍ وتسعين اسما، وإنما أخبر أنها من أسماء الله ، وممَّا تسمى به تسعة وتسعون اسما اختصت بأن إحصاءها سبب لدخول الجنة، وإلا فلله أسماء كثيرة.

كما في الحديث الذي في مسند أحمد أن النبي ﷺ علم أصحابه دعاءً يدعون به الذي أوله ﴿ اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ﴾ فأخبر بأن لله أسماء استأثر بها في علم الغيب ، فدل على أن أسماء الله ليست محصورة ؛ بل هي كثيرة، ثم ما المراد بإحصائها، من أحصاها دخل الجنة، ليس هو مجرد حفظها؛ لكنه اعتقاد صحتها، والعمل بها، واعتقاد مدلولها أن كل اسم دال على صفة.

ذكر العلماء أن كل اسم من أسماء له ثلاث دلالات: دلالة على الذات، ودلالة على الصفة المشتقة منه، ودلالة على بقية الصفات، وتسمى دلالته على الذات دلالة مطابقة، ودلالته على الصفة المستنبطة منه دلالة تضمن، والدلالة على بقية الصفات دلالة التزام.

فمثال ذلك من أسماء الله الرحمن، كما سمى به نفسه في عدة مواضع، هذا الاسم لا ينطبق إلا على الله، إذا قيل: الرحمن. انصرفت الأذهان إلى الرب -تعالى- فهو دال على ذات الرب بالمطابقة؛ أي إنه اسم للذات الربانية، لا يدل، ولا يستعمل إلا لله -تعالى- كما إذا قلنا: محمد على الإطلاق، فهو ينصرف إلى نبينا ﷺ فدلالته عليه دلالة مطابقة.

كما أن دلالة الرحمن، والرب، والعزيز على الله -تعالى- دلالة مطابقة، ننظر في الرحمن، أليس دالا على صفة إنه مشتق من الرحمة، فدلالته على الرحمن التي هو مشتق منها ماذا نسميها؟ نسميها دلالة تضمن؛ أي في ضمن هذا الاسم الرحمة، كما أن العزيز فيه صفة العزة، والغفور فيه صفة المغفرة، والحكيم فيه صفة الحكمة، والوهاب، والرزاق، والحكم، والعدل، هذه كل اسم منها دالٌّ على صفة اشتقت منه، هذه دلالة تضمن؛ أي هذه الصفة في ضمن هذا الاسم.

أما دلالته على بقية الصفات، على بقية الأسماء، فإنك تقول -مثلا-: إذا سمى الله -تعالى- نفسه بالعليم؛ فإن ذلك يستلزم الغنى، يستلزم الغفران، يستلزم السمع، يستلزم البصر، وهكذا يلزم من اتصافه -مثلا- بالسميع أن يكون بصيرا؛ يلزم من اتصافه بالسميع أن يكون غنيا، أن يكون رحيما، أن يكون حكيما؛ لأنه إذا لم يتصف بذلك كان ذلك نقصًا في صفة الرحمة، كيف يكون رحيما وليس بغني؟ كيف يكون رحيما وليس بعزيز؟ كيف يكون رحيما وليس بسميع بصير؟ كيف يكون رحيما وليس بمتكلم؟ كيف يكون رحيما وليس بحكيم؟ وهكذا فهذه دلالة التزام.

إذا دان المسلم بهذه الأسماء الحسنى فمعناه أنه يعتقد دلالتها، يعتقد أن الله مسمى بالرحمن، وأنه متصف بالرحمة، ومن ثم تسمى نفسه بالعزيز، واتصف بالعزة، وتسمى بالحكيم، واتصف بالحكمة، وتسمى بالسميع البصير، واتصف بالسمع والبصر، فيعتقد ذلك كله، إذا فعل ذلك فقد أحصى هذه

الأسماء.

إذا أحصاها بمعنى اعتقد معناها، لزم من ذلك أن يدين بمقتضاها؛ لأنه إذا دان أن الله سميع وسع سمعه الأصوات، ماذا تكون حالتهم؟ أليس يخاف الله ويرجوه؟ إذا دان بأن الله بصير لا يستر بصره حجاب ماذا تكون حالته؟ أليس يراقبه؟ أليس يعبده؟ أليس يرجوه؟ أليس يخافه؟ أليس يطيعه ويبتعد عن معصيته؟ إذا فعل ذلك فإنه تقي نقي، يكون ممن يرجي له الجنة، والنجاة من عذاب الله، فعرف بذلك أن إحصاءها يستلزم جميع الطاعات.

أما وصفه بصفاته بقوله: والصفات العلا. فذكرنا أن صفات الله -سبحانه- تليق به، وأنه وصف نفسه بصفات كلها عليا؛ ولكن معلوم أن هذه الصفات تختص بالموصوف بها، فلا يجوز أن تكون كصفات الخلق التي هي ناقصة، ويعتريها التغير، ويعتريها الفقر، فكم من إنسان قوي عاقل ذكي، ولكن ينقصه بعض الصفات، ينقصه -مثلا- الغنى، ينقصه الجود، ينقصه الحكمة، ينقصه القوة؛ أي هو ضعيف، وفقير، وضرير، وأصم، وأبكم، تعتري الإنسان صفات النقص.

ولكن صفات الله -تعالى- لا يعتريها نقص، ولا تغير؛ بل هي في غاية الكمال، فإذا وصفنا الله -تعالى- بالسمع فإنا نقول: إن سمعه -أولا- لا كسمع خلقه، وبصره ليس كبصر الخلق، الإنسان لا يبصر ما وراء الحجب، لا يبصر ما وراء الحيطان ونحوها، يستر بصره أدنى ساقه، والرب -تعالى- لا يستر بصره حجب، والإنسان سمعه مقصور على ما قرب منه، ولا يسمع ما بعد ذلك، وتشتبه عليه اللغات، وتشتبه عليه الكلمات، والرب -تعالى- ليس كذلك.

وإذا وصفنا الله -تعالى- بالصفات الفعلية فإنها كلها صفات رفيعة، وإذا وصفنا بأنه هو العلي فقلنا: له العلو بجميع أنواعه؛ علو ذات، وعلو قدر، وعلو قهر، إذا وصفناه بالفوقية فكذلك، إذا وصفناه -مثلا- بالغنى، وصفناه بالعطاء، وصفناه بالجود، وصفناه بالكرم، وصفناه بالحِلْم، وصفناه بالمغفرة، فكلها في غاية الرفعة، وفي غاية المناعة، هذا هو معتقد أهل السنة.

تعرفون من خالف في ذلك، الأشاعرة -مع شيوع مذهبهم وكثرته- ينكرون بعض الصفات إنما

يقرون بسبع صفات، وينكرون بقيتها، فلا يقولون: إن الله موصوف بالصفات العلا جميعا التي وصف بها نفسه، وهذا تنقص لله؛ لأنهم أنكروا صفات أثبتها الله لنفسه، ولكنهم يقرون بالأسماء جميعا، وإن كانوا ينكرون دلالة بعضها.

أما المعتزلة فإنهم ينكرون الأسماء، ويتأولونها، أو ينكرون دلالاتها، فيجعلونها كالأعلام، يقولون: إنها مجرد أعلام، كما ولو أن إنسانًا سمي بعدة أسماء، وتلك الأسماء مجرد أعلام يعرف بها شخص ذلك الرجل، يعن قد يسمى الإنسان بأسماء ولا تنطبق عليه صفاتها؛ أي ليس أن كل من سمي سعدًا ليس من أهل السعادة، وليس كل مَن سمي صادقا أن يكون من أهل الصدق، وليس كل من سمي طاهرًا يكون مطهرًا، وليس كل من سمي مباركا يكون فيه البركة.

وقد يسمى الإنسان سعدا وخالدا وزيدا، فيسمى بعدة أسماء، ولا تكون معانيها منطبقة فيها ومجتمعة فيها، وإنما سمي بها حتى يتميز من غيره، كما يوصف بلقب، وبنسبة إلى قبيلة، وبنسبة إلى بلد، ونحو ذلك، فيقال –مثلا– سعيد بن زيد بن درهم العبسي الكوفي، اسم لشخص واحد، يسمى بها حتى تعرف ذاته.

المعتزلة يقولون: هذه الأسماء إنما هي لأجل معرفة الذات؛ لا أنها دالة على صفات، ويسبح كثيرًا منهم بما في الصفات، فيقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، رحيم بلا رحمة، تعالى الله عن قولهم، والرد عليهم، ومناقشة أقوالهم تطول بنا، وأنت إذا قرأت القرآن تجد أن الله –تعالى– يختم آية الرحمة باسم الرحيم، ويختم آية النقمة باسم العزيز، أو ما أشبه ذلك، مما يدل على أن معانيها مقصودة، هذا ما يدين به المسلمون.

أما قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ﴾ هذه الآيات من سورة الرحمن دالة على صفات، دلت الأولى على اسم الله الرحمن، وأنه على العرش استوى، استواءً يليق به،

ونؤجل الكلام على الاستواء حتى تأتينا الآيات التي فيها ذكر الصفات، ومن جملتها هذه الآية ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ هذه -أيضا- من صفات الكمال، ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ .

إذا قلت: لماذا عبر بما التي لغير العاقل؟ ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ما أنه ورد في آيات ﴿ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ والجواب: أن ما قد تأتي للعاقل، كقوله ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ ﴾ أو أنه يعبر بما نظرًا للكثرة، فإن ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ يدخل فيه الدواب، والحيوانات، ودواب البحر، ودواب البر، والطيور، والوحوش، وجميع المخلوقات، ويدخل فيه النباتات مع اختلافها، ويدخل فيه الجمادات، جميع أنواع الجمادات: الجبال، والأودية، والدور، والقصور، والأشجار، وما أشبه ذلك.

فلذلك قال: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ﴾ أي ما بين السماء والأرض من المخلوقات، وما بين السماوات من المخلوقات، كل ذلك له، ما معنى كونها له؟ أي ملك له، وهو الذي خلقها، وأوجدها، وهو الذي يفنيها إذا شاء، ويغيرها، ويبدل فيها ما يشاء، ويتصرف فيها كما يشاء، يمنع ويعطي، يريش ويبري، يُمِيت ويحي، يخسف ويرفع، يصل ويقطع، يتصرف فيها، فهي -إذًا- له وملكه ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾ .

الثَّرى قيل: إن -الأصل- الثرى هو التراب الندي الذي فيه النداوة والرطوبة، يسمى، ففسر ﴿ وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾ بأنه ما تحت التراب، أو ما تحت التراب الندى الذي تشرب بالمياه في جوف الأرض ،ولا يعلم ما تحته إلا الله، أو ما تحت الأرض مع سعتها، له كل ذلك ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ

﴿ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ﴾ هذا -أيضا- من الصفات، يعني أنه -سبحانه- يعلم سر الأمر وخفيه.

السر: ما يضمره الإنسان، ويكنه في نفسه، أخفى من السر ما لم يخطر بباله، ولكن علم الله أنه سيخطر بباله فيما بعد، وسيحدث به نفسه، أو سيفعله، وإن لم يكن قد نواه، الجميع يعلم ذلك كأنه قال: إن تجهروا أو تخفوا لن يخفى عليه أمركم.

الجهر هو رفع الصوت ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ يعني وإذا جهرت بالقول، أو أسررت به فالجميع معروف، ومسموع لله -تعالى- ومعلوم له ﴿ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ﴾ ثم وحد نفسه أنه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨ ﴾ كلمة لا إله إلا الله لها شروط، ولها أركان، ولها دلالات، يطول بنا أن نفصلها، ولعلها شرحت لكم في كتاب التوحيد، أو في غيره، وشروطها -والحمد لله- واضحة، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وقد ذكرنا أن الأسماء الحسنى عامة فيما سمى الله -تعالى- بها نفسه من الأسماء، أو ورد من الأسماء الحسنى في الأحاديث الصحيحة.

نستمع إلى كلام المؤلف.

من صفات الكمال ان الله أحاط بكل شيء علما

أحاط بكل شيء علما، وقهر كل مخلوق عزة وحكمة، ووسع كل شيء رحمة وعلما ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ۝١١٠ ﴾ .

هذه -أيضا- من صفات الكمال، وهي من الدلالات على صفة العلم ونحوه، يقول الله -تعالى-: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢ ﴾ في آخر سورة الطلاق، أحاط، الإحاطة في الأصل هي الاستيلاء على الشيء من كل جهاته، كأنه أحيط من كل جهاته بحيطان منيعة، واستولى عليه، ولكن تستعمل بمعنى الإتيان على الشيء من كل جهاته، أحطت بهذا -يعني- وصلت إلى نهايته؛ أي أتيت عليه

حتى استوليت عليه، وعرفته، وصارت معلوماته، أو تفاصيله ظاهرة عندي.

فالله -تعالى- وصف نفسه بالإحاطة ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ يعني محيط بالخلق؛ أي مستولٍ عليهم، وكذلك محيط بعلومهم، ومحيط بجميع المخلوقات، وما يحصل منها ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ وأما المخلوقون فعاجزون عن ذلك إلا بما فتحه عليهم، قال -تعالى-: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي لا يقدرون على أن يحيطوا بشيء من العلوم التي يعلمها، أو التي يمكن تعلمها إلا بما يشاؤه، فلا يعلمون المغيبات؛ بل ولا يعلمون البعث وما بعده، والحشر وتفاصيله، إلا بما علمهم، وبما فتح عليهم، وهكذا.

فالحاصل أن الله -تعالى- موصوف بأنه بـ ﴿ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ كما أخبر بذلك في عدة آيات، في سورة البروج، وفي سورة فصلت، وفي آخر سورة الطلاق، ونحوها، وهذا معنى الإحاطة، ويدخل في ذلك علوم الخلق؛ أي إنه عالم بهم، وبمعلوماتهم، وكذلك -أيضا- أنه مع علمه بها فإنه قد أثبتها.

يأتينا -إن شاء الله- في الكلام عن القدر أن الله علم الأشياء قبل وجودها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، حيث قال للقلم: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة اكتب ما هو كائن، ومعلوم أنه لا يكتب إلا ما أمره الله به، وكل شيء كائن قد سطر في اللوح المحفوظ، فالله قد أحاط بكل شيء علما، هذه صفة كمال.

الصفة الثانية: قوله: ﴿ وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ وسع كل شيء رحمة، ووسع كل شيء علما، ووسع كل شيء حلما، معلوم أن السعة، والاتساع، والتفسح، بمعنى واحد، وسع يعني امتد إلى ما لا نهاية له، امتد... الامتداد والسعة بمعنى أن الله -تعالى- وسع سمعه الأصوات، ووسع علمه المعلومات، ووسعت رحمته المخلوقات، يعني اتسعت رحمته؛ فرحم الخلق كلهم أولهم وآخرهم، واتسع حلمه للخلق كلهم، فحلم عنهم كما يشاء.

وكذلك علمه، وسع علمه المخلوقات كلها ﴿ وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ فهذا من الصفات الفعلية، معروف أن هذه الصفات الفعلية، سعة الرحمة، وسعة الحلم، مما اختص بها أهل السنة، أما الأشاعرة ونحوهم فينكرون الصفات الفعلية، كالرحمة، والحلم، ونحو ذلك.

من أسماء الله -تعالى- الحليم في عدة آيات ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ ﴿ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ والحليم هو الذي لا يعجل، الحليم الذي يحلم عن الخلق، بمعنى أنه لا يعاقبهم؛ أي يعفو عنهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة، الحليم من الناس هو المتأني، فلان معه الحِلْم، يعني تأنٍ في الأمور وتثبت، عدم تسرع، وعدم عقوبة، أو معاجلة بالعقوبة على أية ذنب صغير، أم كبير؛ بل يحلم عن هذا.

حلمت عن فلان أنه ظلمني، ولما أنه أساء في، أنا أحلم عمن ظلمني، أو أحلم، ولا أستعجل لمن أساء إليَّ؛ فالحلم صفة شريفة، وإذا كانت من أفضل الصفات، فالله -تعالى- متصف بكل الصفات التي هي صفات كمال، هذه معنى الحلم، وسع كل شيء رحمة وحلما.

الصفة الثانية: قوله: وقهر كل مخلوق عزة وحكمة. انظروا كيف فرق؟ هناك رحمة وحلما، لما ذكر السعة، وهنا عزة وحكمة، لما ذكر القهر، القهر ما هو؟ القوة والغلبة، قهرها يعني غلبها وقوي عليها، واستولى عليها، وصارت تحت سلطانه، وتحت سيطرته، وتحت تصرفه، لا تملك لنفسها تصرف، أي نوع من أنواع التصرف إلا بإذن الله -تعالى- فهي مخلوقة ذليلة، ومهينة، إذاً فالله -تعالى- هو الذي يتصرف بها كما يشاء.

قهرها لا يخرج أحد عن قهر الله، ولو أراد ما أراد، فإذا قلت: إن هناك من طغى وبغى، وهناك من تجبر وعتى، وهناك من كفر ونفر، وهناك من تعدى، قوله: فأين هؤلاء من قهر الله، أليسوا مقهورين؟ أليسوا ذليلين لعزة الله تعالى؟ أليسوا مهانين؟ أليسوا مملوكين تحت ملك الله تعالى؟ فما هذا الطغيان؟ وما هذا العسف؟ وما هذا التجبر؟ وما هذا الظلم الذي صدر منهم؟ وما هذا العتو، والعدوان على عباد الله الذين شاهدوا من الكفرة ونحوهم؟ أين قهر الخالق -تعالى- لهم؟ أين إذلاله لهم؟ أين سيطرته عليهم؟!

الجواب: أن هذا لا ينافي كونه -سبحانه- قاهرًا لكل مخلوق، قهرًا قويًّا، وغلبة، وسيطرة لكل المخلوقات؛ ولكن تأمل الجملة التي قبلها وهي الحلم، أنه -سبحانه- يحلم ولا يعجل، يمهل ولا يهمل، يسمع ويعلم أفعالهم وتعديهم؛ ولكنه يمهلهم إلى أجل، وإلى حين، فعند ذلك ينتقم منهم، وهو العزيز ذو انتقام، فلا يغتر ظالم بجبروته وبقوته وبسيطرته وبما أعطي من القوة، فإنه مقهور، ومستولى عليه، فإنه يؤخذ الحق منه، أيحسب الظالم في ظلمه أهمله القادر، أم أهمله ؟ ما أهمله ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلاً ﴿٥٨﴾ ﴾ فلا يحسب أنه مهمل؛ بل إن الله -تعالى- يمهل ولا يهمل، يمهلهم إلى أجل.

تسمعون قول النبي ﷺ ﴿ إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴾ وقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ والحديث الثاني: ﴿ إذا رأيت الله يعطي العبد على معاصيه فاعلم أنه استدراج ﴾ يعني المذكور في قوله -تعالى-: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ فالله -تعالى- يملي لهم، ويمهلهم سنوات، وعشرات السنوات ، ولكن إذا أخذهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر؛ فإما أن يبطش بهم ، وإما أن يسلط عليهم من هو أقوى منهم.

إذًا فهذه الصفة صفة صحيحة ثابتة لله -تعالى- قهر كل مخلوق عزة وحكمة، ندين بها، ولا نقول: إن هناك من خرج عن قهر الله، أو خرج عن غلبة الله، ولا أن هناك من اعتز بنفسه، وليس لله قدرة عليه ، تعالى الله، فالله -تعالى- قادر على كل شيء، وكل الخلق تحت تصرفه، وفي قبضته، وينتقم منهم إذا شاء، ويسلط عليهم مَن ينتقم منهم، أو يعمهم بالعقوبة.

إذًا فلا يغتروا بالإمهال، أيها الظالم في فعله، الذي تماديت، واعتقدت أنك من الناجين، لا تغتر بذلك، والظلم مردود على مَن ظلم، الظلم الذي هو التعدي، فالله -تعالى- ينتقم من الظالم، ويأخذه أخذ عزيز مقتدر، هذا معنى قولِه: قهر كل مخلوق عزة حكما.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ هذه الآية مشتملة – أيضا– على صفة من صفاته الفعلية الذاتية، فإن العلم صفة ذاتية فعلية، بمعنى أن الله لا يمكن أن يتصف بها بالعلم، فالعلم صفة ذاتية لله –تعالى– وهو مع ذلك يعلم الأشياء قبل أن تحدث، وبعدما تحدث، يعلمها قبل أن تحدث، وقد كتب ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

معرفة ذلك سهلة ويسيرة على الله –تعالى– فمذكور في القرآن ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ في عدة آيات، ما المراد بـــ ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ؟ فسر بأن ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني ما قد ملكوه ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما سوف يحصلون عليه، ويتملكون عليه، وفسر ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وبين أيديهم: يعني الخلق الذين مضوا ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ الذين سوف يخلفون فيما بعد، وفسر ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني ما أمامهم مما يشاهدونه ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي ما وراء ظهورهم مما لا يشاهدونه.

والأقرب أن الآية عامة، وأن الأصل أن الله يعلم ما قبلهم، وما بعدهم، ويعلم ما أحاطوا به الآن، وما سوف يعلمونه فيما بعد، يعلم ذلك كله، وأنهم ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ أي لا يعلمون علم يقين بذات الله –تعالى– ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ أي لا يعلمون كنه ذات الرب؛ وإنما يعلمون من صفاته ما أطلعهم عليه، هذا هو الأصل، ويأتينا –إن شاء الله– تفصيل لذلك.

ونواصل القراءة

الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم .

تتكرر هذه العبارة في كتب العقائد، ويدين بها أهل السنة، يقولون: إن الله -تعالى- لا يوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ وإذا قلنا ذلك؛ فإننا نعترف بهذه الصفات التي وصف بها نفسه، ونصفه بها، ولا نتحاشى، ونجسر عليها، ونتكلم بها ما دام أنه قد أخبر بها عن نفسه، ولو كان في ذلك ما يكون، ولو استنكرها من يستنكرها، ولا عبرة بمن استوحش عندما تذكر صفات الله -تعالى- كصفة العلو، وصفة الاستواء، وصفة النزول كما يشاء، والمجيء كما يشاء، وكذلك صفة اليد، وصفة الوجه، وكذلك الرحمة، وصفة المحبة، وما أشبه ذلك.

الله -تعالى- قد أثبت هذه الصفات، وكذلك أثبتها نبيه ﷺ فإذا كانت ثابتة، أفلا يثبتها المسلم؟ لا شك أن إثباتها من دين الإسلام، وذلك؛ لأن الدليل عليها قطعي؛ قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة، ماذا أثبت من القرآن؟ هل هناك شيء رسخ به القرآن؟.

ثم يليه الكتب الصحيحة كالصحيحين وغيرهما من الكتب التي تعتني بالصحيح، هذه الكتب مشتملة على صفات، صفات ثابتة قطعية، ثم هي -أيضا- قطعية الدلالة، دلالتها صريحة يعرفها كل عربي ، كل عربي فاهم للغة ، يعرف ما تدل عليه، من الذي يشك في أن العرش أنه سرير الملك؟ أثبت الله لنفسه العرش ، فنثبت أن لله عرشا ، وكذلك من الذي يشك أن العلو هو الارتفاع؟ لغة عربية فنثبت لله العلو، ومن الذي يشك في أن العزة هي الغلبة والقوة ؟ من الذي يشك في أن السمع هو إدراك الأصوات، وأن البصر هو إدراك المرئيات؟.

معروف أن هذه صفات نظمها واضح من اللغة، فإذاً إذا سمينا هذه الصفات، تجرأنا على أن نثبتها لله، ولا نتحاشاها، نتجاسر، نجسر على إثباتها، ولو شنع علينا من شنع، ولو أنكر علينا من أنكر، وما ذكر إلا أن دلالتها واضحة، لا تحتمل خفاءً، وليس فيها غموض، فإذاً الطريقة أن الله -تعالى- لا يوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه رسله في شرائعهم، وفي سنتهم؛ وذلك لأنه -تعالى- أعلم بنفسه، ورسله أعلم بمن أرسلهم .

فإذا وصف نفسه بصفة أثبتها لنفسه، فكيف ننفيها؟ وكيف ننكرها؟ ما الدليل على ذلك؟ وما

السبب في ردهها؟ لا شك أنها إذا كانت قطعية، ورددناها، وقلنا: إن العقل ينكرها ويستبعدها، ثم قد حكمنا العقول، حكمنا عقولنا في شرع الله، فهذا لا شك أنه جرأة على الله -تعالى- وتحكيم للعقل الضعيف الذي يعتريه التغير، ففي ذات الرب -تعالى- الذي أثبت لنفسه كل كمال، ونفى عن نفسه كل نقص.

وبكل حال تعتقد هذه الجملة أن الله -تعالى- موصوف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ في سنته، وأن كل ما ثبت فإنَّا نقول به، وأما ما روي من الأدلة التي لم تثبت فلا نقول به؛ لضعف المتمسك، وإذا كان هناك أحاديث ضعيفة مستندة على بعض الصفات، فهل تثبت بها الصفات؟ لا تثبت، إنما تثبت الصفات بالصفات الصحيحة، بالأحاديث الصحيحة، ولو لم تبلغ حد التواتر ما دام أنها متلقاة بالقبول، وثابتة بالأسانيد الصحيحة، فإنا نثبت من دلت عليه.

فمثلا صفة النزول 🕮 ينزل ربنا -تعالى- إلى السماء الدنيا حين ينتصف الليل الآخر 🕮 إلى آخره، في الأحاديث التي في ذلك، ذكر بعضهم أنه مروي عن نحو عشرة من الصحابة، بعضها في الصحيحين، فكيف نردها لمجرد العقول.

لعلكم تسمعون أن كثيرا من ينكر الصفات من أشاعرة، أو نحوها إذا سمعوا قراءة هذا الحديث نفروا منه حتى حدثني بعض التلاميذ من أهل اليمن -وكان قد قرأ في هذا واعتقد العقيدة- أنه تكلم مرة بعد صلاة الجمعة، وأخذ يراقب فتيان الليل، وأورد هذا الحديث 🕮 ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حينما ينتصف الليل الآخر، فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ 🕮 .

وقال: إن هذا فيه حث على قيام الليل. لما سمع الإمام -وكان أشعريا- هذا الحديث هرب وخرج، استنكارًا له؛ حيث إنهم يقولون: إنه لا يدل على صفات ، أو أنه لا يستدل به لكونه ليس بمتواتر، أو نحو ذلك.

واصطلح هؤلاء الأشاعرة ونحوهم الذين سموا علمهم بعلم الكلام، اصطلحوا على أن الصفات لا

تقبل في الأحاديث إلا إذا كانت متواترة، وأن الأحاديث الأحادية لا تقبل في الصفات، لماذا اصطلحوا على أن المتواتر يفيد اليقين، وأن الآحاد يفيد الظن؟ وقالوا: لا يمكن أن تكون صفات الله ظنية، دلالتها دلالة ظن، فلا نثبتها بالأحاديث التي لم تبلغ حد التواتر؛ بل نرد كل حديث في الصفات إذا لم يبلغ حد التواتر.

إذا نظرنا ما وجدنا الأحاديث المتواترة إلا قليلا، مثل أحاديث الشفاعة، مع أنهم ردوها، المعتزلة ردوا أحاديث الشفاعة مع أنها بلغت حد التواتر، فلم يعملوا باصطلاحهم، أحاديث النزول ردوها؛ لأنها بنظرهم ظنية، آحاد، وكذلك بقية الصفات، يعني: حديث العجب، وحديث الضحك -مثلا- وحديث النداء، وحديث الكلام، وحديث الصوت، كلها ردوها، وقالوا: إنها ظنية؛ لأنها آحاد، فلا نضمن إلا ما هو متواتر.

سبحان الله، ألستم قبلتموها في الأحكام؟ قبلتموها في الأوامر والنواهي، قبلتموها في الحلال والحرام، لماذا تقبلونها هنا وتردونها هنا؟ ألستم في هذا ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، ألستم ممن يقول: آمنا ببعض وكفرنا ببعض، نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، هذه طريقتهم .

إذن فطريقتك -أيها المسلم- أنك تأخذ كل من ثبت، وأنك تقبله وتتقبله ، وأنك تؤمن به إيمانا كاملا حتى لا يعتريك في ثبوته شك، وأنها صفات ثابتة لله -تعالى- أثبتها الله الذي هو أعلم بنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ الذي هو أعلم بمرسله ويأتينا تتمة لهذا الكلام.

الإيمان بكل ما جاء في القرآن وصح عن المصطفى من صفات الرحمن

وكل ما جاء القرآن، أو صح عن المصطفى -عليه الصلاة والسلام- من صفات الرحمن وجب

الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد، والتأويل، والتشبيه، والتمثيل .

هذا الكلام -أيضا- توضيح لما قبله، يعني كل ما جاء بالقرآن فإنه ثابت، ثابت القطع والثبوت، من صفات الرب -تعالى- وجب قبوله، ووجب الإيمان به، وكل ما صح عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحيحة الثابتة التي تلقتها الأمة بالقبول وجب الإيمان به -أيضا- ووجب اعتقاد مدلوله، وجب اعتقاد صحته أنه صحيح ثابت، ليس فيه شك، ولا توقف.

معلوم أن القرآن لا خلاف في دلالته من حيث الثبوت؛ ولكن كيف يرده هؤلاء الذين اعتمدوا العقول، يقولون: إنه قطعي الثبوت؛ ولكن ليس قطعي الدلالة؛ بل دلالته ظنية؛ لأنها محتملة للتأويل، وإذا تتطرق إلى الدليل الاحتمال بطل به الاستدلال، هكذا يعبرون "إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال" مع الاحتمال يبطل الاستدلال، نحن نقول: إن احتمالكم الذي تقولونه احتمال ضعيف، احتمال بعيد لا يؤبه له، ولأنه يأتينا شرح هذا فيما بعد -إن شاء الله- والآن نستمع إلى الأسئلة.

هذه أسئلة بعضها يتعلق بالموضوع، وبعضها أسئلة أحكام؛ لكن نجيب عليها حسب الوقت.

س: هذا يقول: ما هي حياة البرزخ ؟ هل أرواح المؤمنين تسأل عن أصحابها بالدنيا ؟ هل هم أحياء، أم أموات؟.

ج: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة، ما بين الموت إلى الحياة الأخرى، سمي برزخا، كأنه حاجز بين الشيئين، وكل حاجز يسمى برزخا، كما في قوله: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الناس بعد أن تخرج أرواحهم من أجسادهم، أما الأجساد فإنها تفنى، وتصير ترابا، وأما الأرواح فإنها باقية، وهي التي تسأل، وهي التي تعذب أو تنعم، وهي التي تتعارف وتتآلف حتى في الدنيا.

في الحديث 🕮 الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف 🕮 وهي التي تتلقى الميت الجديد، إذا مات إنسان تلقته روح من قبله، يسألونه عن فلان وفلان، ويفرحون بما إذا كان متمسكا ،وكان لا يزال على الإيمان، ويسوءهم إذا ذكر بسوء، وإذا كان من أقاربهم ورد ذلك، دل

على أن الحياة للأرواح.

س: هذا يقول: نحن جماعة صلينا صلاة العشاء، وفي الركعة الأخيرة سجد الإمام السجدة الأولى وتشهَّد، ولم يسجد الثانية، ولم يذكره أحد إلا بعد التسليم، فلما علم بذلك سجد سجدة ثانية، وتشهد، ثم سجد للسهو، ثم سلم؟.

ج: من الواجب في مثل هذا أن يأتي بما ترك؛ لأنه ترك ركنين أساسيين، ترك الجلسة بين السجدتين، وقول: رب اغفر لي، وترك السجدة الثانية، فإذا علم بعد السلام انصرف، وجلس الجلسة بين السجدتين، وقال: رب اغفر لي، رب اغفر لي، ثم سجد السجدة الثانية، ثم جلس للتشهد، ثم بعد ذلك يسجد للسهو، فإن كان إمامكم جلس بين السجدتين، وقال: رب اغفر لي، قبل أن يسجد السجدة الثانية، ففعلكم صحيح، وإن لم يجلس فقد ترك ركنا، فالركعة باطلة، ولطول الزمان تبطل الصلاة، فتعاد كلها.

س: يقول: هذا إذا أجرت محلي على أجنبي عمل فيه بضاعة حصرها وسلمتها له وقلت له تعطيني ثلاثة آلاف كل شهر، ولا أعطيه راتبا؛ بل يتاجر في محلي، وما زاد على الثلاثة آلاف فهو له، قل أو كثر، هل في تأجير محلي عليه شيء؟ وإذا أراد أن يسلمه، ويسلم البضاعة التي سلمتها له لا تزيد ولا تنقص؟.

ج: يفعلون هذا وفي النفس منه شيء، وذلك -أولا- أنه كما سمى نفسه أجنبيا، وإن كانت كلمة أجنبي كلمة اصطلاحية؛ أي أنه ليس مواطنا، ثانيا: أن هذا مجهول لكونك تفرض عليه ثلاثة آلاف كل شهر أو كل سنة، قد لا يحصل عليها فتفرض عليه شيئا يكون عليه ضرر، والأولى في هذه الحال أن تجعله نائبا عنك، وتفرض له مرتبا شهريا، أو نحو ذلك.

وأجاز بعضهم الإيجار أن تؤجر له المحل بأجرة معلومة قليلة أو كثيرة، تتفقان عليها، وتكون البضاعة تابعة للمتجر، للمحل، وكأنك أجرته البضاعة، وأجرته المحل، فلعل ذلك جائز، يعني إذا كانت بصيغة الإيجار.

س: السؤال الأول: يقول: هل قول القائل: يا قديم الإحسان صحيح؟وهل هي صفة أم اسم؟.

ج: هذه كلمة دارجة على الألسن نراها مروية -أيضا- في بعض الآثار، ولا بأس بها؛ لأن الله -تعالى- هو المحسن، وإحسانه أقدم من غيره، قديم الإحسان هذه صفة للإحسان، وإن كان وصف الله -تعالى- بالقدم، يا قديم هذه لم ترد، لا يجوز أن نقول: إن من أسماء الله القديم، وإن كان يذكر هذه الصفة بعض أهل الكلام، ويجعلون صفة القدم أخصَّ الصفات، يا قديم الإحسان هذا وصف لله -تعالى- والله -تعالى- يدعى بصفاته كما يدعى بأسمائه.

س: وسؤاله الثاني: عن حديث أم هانئ أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: 📖 أجرنا من أجرتي يا أم هانئ 📖 هل هذا يجوز في الوقت الحاضر فيمن يقول: أجرت فلانا القاتل أو الظالم، أو هو مقيد في أشياء مخصوصة، وهل ما تفعله بعض القبائل من إجارة الشخص القاتل، أو الظالم صحيح؟.

ج: الحديث صحيح؛ لأنه إن كان صهرها، أو أخو زوجها كان لم يدخل الإسلام، أو لم يظهر الإسلام فأجرته، فقال النبي ﷺ 📖 قد أجرنا من أجرتي 📖 فدل على أنه يجوز الإجارة، والجوار: وهو أن يأتي إنسان يريد أن يأمن على ماله، أو على دمه حتى يسمع، أو يتعلم، أو نحو ذلك، فتجيره أنت، قال -تعالى-: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ جوار مع كونه كافرًا، وأما القاتل، أو الظالم فيجوز منعه وإجارته حتى يؤخذ الحق منه، حتى يرفع أمره، حتى لا يقتل بغير حق، ربما أنه مظلوم، أو نحو ذلك، تجوز الإجارة لهذا السبب.

س: وهذا يقول: بعض الناس يسألون الله -سبحانه وتعالى- بغير أسمائه حتى يقول أحدهم: يا ساتر استر علَيَّ في الدنيا والآخرة؟.

ج: لا بأس بالدعاء بالصفات، يا ساتر، هذه -يعني- صفة فعل معناها أن الله -تعالى- يستر على مَن يشاء، ورد في الحديث 📖 من ستر مسلما ستره الله 📖 فدل ذلك على أن الله -تعالى- يتصف بأنه يستر من يشاء، فلا مانع أن تقول: يا ساتر.

س: وهذا يقول: هل يجوز مس المصحف أثناء الدورة الشهرية، وذلك عن طريق المسك بالجوانتيات، أو القفازين في اليدين؟.

ج: لا يجوز للمرأة أن تمس المصحف وهي حائض، ولا يجوز للجنب أن يمس المصحف وهو جنب حتى يطهر؛ ولكن إذا احتاج -مثلا- إلى حمله في غلاف، أو نحو ذلك، احتاج إليه الجنب ليحمله، فيجعله في خرقة، أو في غلاف، أو نحو ذلك، وأما لبس القفازين في اليدين فلا يكفي؛ لأن يحمله الجنب، أو الحائض.

س: هل مَن هجر القرآن ثلاثة أيام فهو كافر؟ وما الدليل على ذلك؟.

ج: ليس كذلك؛ بل هجر القرآن المذكور في قوله -تعالى-: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ يراد به الإعراض عنه، وعدم العمل به، وعدم الاهتمام بحفظه، أو بتعرفه، أو بتأمله، وقراءته، وأما الإنسان إذا انشغل ثلاثة أيام عن القرآن فلا يقال: إنه هاجر؛ لأنه لا يظن به أنه كرهه، أو أنه تركه كرها.

س: هذا يقول: ما الفرق بين الاسم والصفة؟.

ج: معلوم الاسم هو الذي يدعى، أنت تقول: يا رحيم، يا عزيز، يا حكيم، عملا بقوله: ﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ وأما الصفة فإنه يدعى بمدلولها ، فتقول: إن الله... تقول: أسأل الله برحمته، أسألك برحمتك، أسألك بفضلك، الفضل، والرحمة، والعزة، والجلال، والكبرياء، من الصفات، فقد ذكرنا أن كل اسم مشتق منه صفة.

س: فهل يمكن اشتقاق صفة من الفعل؟.

ج: نعم؛ لكن تكون على وجه الصفة، فإذا قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ فنقول: هذه الصفة التي هي الاستهزاء نثبتها كما أثبتها الله، نقول: الله يستهزئ بالمنافقين، ولا نأخذ منها اسمًا، أي لا نقول: إن من أسماء الله المستهزئ، لا نقول: الخادع الماكر الكائد؛ بل نقول: الله يخدع المنافقين، إن كيد

الله متين، الله يمكر بالكفار، فنذكرها على أنها صفات.

س: هل من أسماء الله المغيث؟.

ج: ما أذكر دليلا على ذلك؛ ولكن قد أخبر الله -تعالى- بأنه ينزل الغيث ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ وأخبر بأنه يجيب المضطر، وإجابة المضطر هي الغوث، الغوث هو إزالة الشدة، الذي يكون في شدة، ثم يأتيه الفرج يسمي هذا الفرج غوثا، فالله -تعالى- هو الذي يزيل الشدائد، وهو الذي يجيب المضطر، وهو الذي يغيث من استغاثه.

س: هل يجوز تصغير بعض الأسماء مثل عبد العزيز إلى عبد العزوز؟.

ج: إذا كانت أسماء لله فلا يجوز، وأما أسماء المخلوق فإنها يصطلح على أنها أسماء الإنسان نفسه، ولكن نتحاشى بأن نصغر اسم الله -تعالى- فلا نقول: هذا عزوز أو عزيز؛ بل نقول: الاسم الذي سمي به عبد العزيز، أو نصغر نفسا فنقول: عبيد العزيز كما نقول: عبيد الله.

س: قلت: إن المعتزلة ينكرون الأسماء ويتأولونها؟.

ج: يعني ينكرون إطلاقها على الله -تعالى- ويقولون: إنها أعلام، لا أنها أسماء دالة على صفاته.

س: هل صفة المعية صفه ذاتية لله ﷻ أم فعلية؟.

ج: المعية -كما سيأتينا- تنقسم إلى قسمين: معية خاصة، ومعية عامة، ولا شك أنها ذاتية يعني؛ لأن الصفات الذاتية هي صفات ملازمة للذات، وأما المعية فإنها صفة تابعة، الله - تعالى- مع المتقين، الله - تعالى- مع عباده الذين يطلع على حالهم.

س: لو قال قائل: إن الله عليم بالأشياء قبل وقوعها، فلما لا تكون الكتابة؟.

ج: كتبها في اللوح المحفوظ لتكون حجة على كل أحد أنها موجودة ومكتوبة، وليرجع إليها الحفظة، وكذلك الملائكة الذين ينزلون بالوحي يجدونها مكتوبة عندهم في هذا اللوح المحفوظ، وإلا الله - تعالى- عالم بها.

س: يقول: الدرس هنا غدا هل يوجد في جامع ابن تيمية، أم في جامع محمد بن إبراهيم؟.

ج: غدا عندنا درس في سنن الترمذي في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم؛ لأننا لم نعتذر للطلاب، فنقيم الدرس، ونعتذر عنه في الأسبوعين الآتيين -إن شاء الله- وهنا كما سمعتم قبل يومين أنه تلقى محاضرة للشيخ عبد الرحمن البراق غدا -إن شاء الله- في هذا الوقت.

س: هل يكفر من تبنى عقيدة الأشاعرة إذا أقيمت عليه الحجة وأصر على عقيدة التأويل لدى الأشاعرة؟.

ج: مذهب الأشاعرة مذهب شائع، ومنتشر، ومتمكن، ولهم تأويلات يحملون عليها النصوص فما نقول: إنهم كفار، فيكفر جمعا عظيما من المسلمين، ولكننا نقول: إنهم خاطئون، وإنهم ضالون، لهذه التأويلات لاسيما إذا أقيمت عليهم الحجة.

س: ماذا خلق قبل: القلم، أم العرش؟.

ج: الصحيح أن العرش قبل القلم، ومذكور في شرح الطحاوية وفي غيره، وذكره ابن القيم في نونيته، إذ يقول:

النـــاس مختلفــون في القلــم الــذي ... كتب القضــاء بــه مــن الديــان

هل كان قبل العــرش أم هــو بعــده؟ ... قــولان عنــد أبي علــي الهمــداني

والحــق أن العــرش قبــل لأنــه ... وقــت الكتابــة كــان ذا أركــان

فرجح أن القلم خلق بعد العرش، وأنه عندما خلق كان العرش بلا أركان.

س: ذكرت في الحديث أن ﴿ من أحصى أسماء الله دخل الجنة ﴾ هل هو حفظها، والدعاء بها؟.

ج: ليس هو حفظها، ولا الدعاء بها؛ بل اعتقاد معناها اعتقاد أنها تدل على كذا وكذا، وأن يدين بما

تدل عليه، وأن يعرف أنها ثابتة، وأن كل اسم من أسماء الله -تعالى- فإنه حسن، وأنه دال على صفة ولا يراد شيئا منه.

س: ذكرت في درس البارحة أن الله معبود في كل زمان، فكيف الجمع بين هذا الكلام والأحاديث التي ورد فيها آخر الزمان بأنه يأتي زمان لا يقول الناس فيه: الله الله .

ج: صحيح عبارة المتن "الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان" فقوله: المعبود في كل زمان. يريد بذلك في الأزمنة كلها، يعني الأيام والساعات كلها، ولا يراد به إنه قرب قيام الساعة يضمحل العلم، يقل العمل به، ويركع شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة، ذلك الزمان وزمان يسير، ثم -أيضا- قد يكون فيهم بقايا الذين ترسل عليهم الريح فتقبرهم، فإذا ماتوا ما بقي إلا من لا خير فيه عليهم تقوم الساعة.

س: يقول: ما حكم حجز الأماكن داخل المسجد بكتاب للصلاة، أو للدرس؟.

ج: إذا كان موجودًا في المسجد فلا بأس، وأما قوله: يحجز المكان، ويخرج لحاجات خاصة، فلا يجوز له؛ سواءً للدرس، أو للصلاة.

س: يقول: ما حكم من أنكر صفة من الصفات؟.

ج: لا شك أن من أنكر صفة قطعية الثبوت، وقطعية الدلالة، أنه ضال مضل، ولكن إذا كان له تأويل كالصفات التي تنكرها الأشاعرة يؤذن بقدر الشبهة التي قامت عنده.

س: يقول: أرجو إعادة الدلالة التي تدل عليها أسماء الله تعالى.

ج: باختصار أن كل اسم من أسماء الله يدل على الذات بالمطابقة كدلالة الرحمن على الرب -تعالى- وعلى الصفة المشتقة منه بالتضمن، كدلالة الرحمن على الرحمة، وعلى بقية الصفات بالالتزام، كدلالة الرحمن على السمع، وعلى البصر، وعلى العلم، وعلى الغنى، وعلى الجود، وما أشبه ذلك .

س: يقول السائل: اسم المتين في قوله -تعالى-: ﴿ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ على ماذا يدل؟.

ج: المتين صفة تدل على الصفة التي قبلها وهي القوة، فإن الله -تعالى- سمى نفسه القوى المتين، كلاهما بمعنى القوة، والقوة تدل على تمام القدرة؛ أي أنه قوي قادر على كل شيء، وأنه لا يخرج عن قوته، وقدرته، ومكانته أي مخلوق صغير، أم كبير.

س: يقول: يروى عن النبي ﷺ أنه قال: ۞ أيما امرأة خلعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ما بينها وبين الله من ستر ۞ ما صحة هذا الحديث، وما المقصود بالثياب في هذا الحديث؟.

ج: الحديث مروي في سنن أبي داود، وسكت عنه أبو داود، والعادة أنه لا يسكت إلا عن الحديث الذي يعتمد عنده، ويكون صالحا، وقد استدل به على أنه لا يجوز للمرأة أن تخرج إلى الحمامات التي تكون في البلاد الباردة للاستحمام وللاغتسال؛ لأنه ورد فيها أن فيها اختلاط، وأن فيها كشف عورات ونحو ذلك، ولو كان هناك حمامات خاصة للنساء، هكذا أورده أبو داود.

ولكن يظهر أن الحديث محمول على ما إذا خلعت ثيابها لفعل الفاحشة، خرجت من بيتها، وخلعت ثيابها لفعل الفاحشة مع إنسان أجنبي غير زوجها، فإنها في هذه الحال قد خلعت، أو هتكت ما بينها وبين الله، وعيد على فعل الفاحشة، ووعيد -أيضا- على ما يكون قريب من ذلك، من خلع جلابيب الحياء، وخلع التستر الذي يكون سببا في العفاف والصيانة.

س: هذا السائل يقول: قوله ﷺ ۞ الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ۞ فما المقصود بقوله: ۞ وما ملكت أيمانكم ۞ وهل هذا الحديث صحيح؟.

ج: الحديث صحيح، هذا قاله عند خروجه من الدنيا في آخر حياته ليوصيهم بالصلاة؛ لأنها أفضل الأعمال البدنية، ويوصيهم بالمماليك، وأن يرفقوا بالمماليك، وأن لا يسيئوا صحبتهم، ولا يشددوا عليهم، والمماليك: هم الأرقاء، وهم الذين ملكوهم بملك اليمين؛ سواء شراء، أو وراثة، أو غنيمة، أو نحو ذلك.

س: ويقول أيضا: ما حكم تقويم الأسنان ككل؟ وهل يكون فيها تغيير لخلق الله؟.

ج: يظهر أنه لا مانع من ذلك، لا مانع -إن شاء الله- من أن يقوم أسنانه إذا لم يكن في ذلك ضرر

عليه، يعني بحك بعض الأسنان، أو بتسوية الزائد منها، أو ما أشبه ذلك.

س: وهذا يقول: هل الكفار يكلمهم الله لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ وهل يعارض هذا قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ ؟ .

ج: نعم، في القيامة يسمعون كلام الله عندما يناديهم، يسمعون هذا النداء سمعا عاما، مر بنا في الحديث أنه ﷺ يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ﷺ وأن قوله: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فالمراد -والله أعلم- لا يكلمهم كلام رحمة، وإلا فقد أخبر أنه يكلمهم كلام شدة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

س: يقول: هل يجوز تشغيل العمال الهندوس في الأعمال التجارية؟ وهل نعاملهم بإحسان؟.

ج: لا يجوز ذلك إلا إذا وجد غيرهم، أو أمكن الحصول على غير الكافر، فلا يجوز تشغيله أيًّا كان، وذلك لأن فيه إعانة لهذا الكافر، وفيه تعزيز له، وفيه تقوية لمعنوياته، وفيه إعطاء له لهذه المصلحة وهذه المنفعة.

ثم -أيضا- هم يأخذون هذه الأموال، ويتقون بها على حرب الإسلام والمسلمين؛ سواء النصارى على التبشير ضد الإسلام، أو الهندوس على حرب المسلمين وإبادتهم، أو البوذيين على شركهم وعلى عبادتهم لغير الله.

وما دام أنه يوجد كثيرا من البلاد التي فيها مسلمون محققون للإسلام فيستغنى بهم، وأما معاملتهم إذا وجدوا، فإذا رجي إسلامهم، وقناعتهم بالإسلام فهو الأولى، فإنهم يعاملون حتى يدخلوا في الإسلام، وأما إذا عرف عنادهم، واستكبارهم فيعاملون بالشدة.

س: وهذا يقول: قال ابن حزم: "إن كل اسم معبَّد لا يجوز إلا لله عدا اسم عبد المطلب"؟.

ج: ذكر هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، قال: أجمعوا على أن كل اسم معبد

لغير الله لا يجوز إن كان عبد شمس، أو عبد الحارث، أو نحو ذلك، حاشا عبد المطلب، والصحيح أنه لا يجوز للإسلام تسمية تعبيد لغير الله تعالى.

وأما عبد المطلب فلا يجوز، وذلك لأنه اسم جاهلي، وأما افتخار النبي ﷺ بقوله: 🕮 أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب 🕮 فهو مجرد نسبة، يعني تعريف، كفى أنه ابن عبد مناف، يعني من أجداده عبد مناف، ومن أجداده عبد المطلب.

وكذلك من قريش عبد شمس وعبد الدار، بنو عبد شمس وبنو عبد الدار هذان لا يذكرون أما في الإسلام فلا يسمى عبد المطلب، ولا يسمى عبد الحارث، ولا يسمى عبد الدار، ولا يعبد أحد لغير الله، والرافضة الآن حيث يسمون عبد علي، أو عبد الحسين، أو عبد الحسن، أو نحو ذلك، خالفوا هذه النصوص، وجعلوا عبوديتهم لغير الله تعالى.

س: يقول: زوجة والدي أرضعت ولد أخي، فهل أزوجه أحد بناتي؟.

ج: لا تزوجه ما دام أن زوجة والدك أرضعته، فإنه قد أصبح أخا لك؛ لأنه ابن لوالدك؛؛ لأن اللبن للوالد، فإذا أصبح ولدا لك فلا تزوجه بناتك؛ لأنه عمهم. والله أعلم.

وصلى الله على محمد.

السلام عليكم ورحمة الله، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله و صحبه أجمعين.

وصلنا إلى الجملة الجامعة للأسماء والصفات، وهو قوله: "موصوف بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم-" فكل ما جاء في القرآن، أو صح عن الرسول - عليه الصلاة والسلام- فإنه حق نقول به، ونؤمن به، ونتقبله، ولا نرد منه شيئا، ولا نتكلف في تحريفه، أو في تأويله، ولا نفهم منه أنه دال على التشبيه، أو التمثيل، وهذه قواعد مشهورة متكررة، والحمد لله في كتب العقائد.

من كل ما ذكر أهل العقيدة مبدأ عقيدتهم، قالوا: نصف الله -تعالى- بما وصف به نفسه؛ لأنه أعلم

بنفسه، وبما وصفه به رسوله؛ لأنه أعلم بمن أرسله، وهذه الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة نتقبلها على أنها صفات حقيقية، فلا نرد شيئا منها مادام ثبت بالدليل القاطع أنه من كلام الله، أو من كلام رسوله، لا نرد شيئا منها.

كذلك -أيضًا- لا نتكلف بالتأويل، لا نقول: إنها بحاجة إلى التأويل، إنها قد توهم التشبيه، والله منزه أن يكون شبيها بخلقه فنردها، أو نفهم منها أنها دالة على أنها شبيهة بصفات المخلوقين، أو مماثلة لها، فهذه قواعد أهل السنة، يعني إثبات الصفات، وعدم الرد لها، وعدم التأويل، وسيأتينا الكلام على التأويل.

وكذلك لا يفهم منها التشبيه، ولا التمثيل، وما ذاك إلا أن صفات الخالق تناسبه، وصفات المخلوق تناسبه، فإذا كانت ذات المخلوق لا تشابه ذات الخالق فكذا يقال: صفات المخلوق لا تشابه صفات الخالق، ولا يلزم من الاتحاد في الاسم، أو في المعنى العام أن يفهم التشبيه.

فإنَّا إذا قلنا -مثلا-: إذا قلنا: الإنسان له سمع، والطير له سمع يسمع، لم يلزم التماثل في سمع هذا وهذا، وهكذا بقية الصفات، فإذا كان هذا في مخلوق مع مخلوق فبطريق الأولى أن يكون الفرق كبيرا بين الخالق والمخلوق، والآن نواصل القراءة.

الإيمان بالصفات المشكلة لفظا والتوقف عن السؤال عن كيفيتها

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف رحمه الله -تعالى- وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا، وترك التعرض للمعنى، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله، اتباعا لطريق الراسخين في العلم، الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ .

قد تأتي بعض الصفات مشكلة على بعض الناس، قد يفهم منها التشبيه، أو يفهم منها شيء لا يليق بالله -تعالى- ففي هذه الحال نقبلها لفظا، ونعرف أن لها معنى، ولكن نتوقف في الكيفية، ونتوقف عن السؤال عن كيفيتها، ونتزهها عن أن تكون مماثلة لصفة المخلوق، أو أن يفهم منها نقص في حق الخالق.

تعرفون أن أكثر ما يحتج به النفاة من الأشاعرة ونحوهم في نفي الصفات إذا أثبتنا الصفات لهم، فقلنا: دل عليها القرآن، ما دليلكم في النفي؟ ماذا يقولون؟ أكثر ما يحتجون به أنها تحدث، وأنها تتجدد، فيقولون: الله منزه عن حلول الحوادث، لا تحل به الحوادث، هذه أكبر شبهة عندهم.

فهذه الجملة لا دليل عليها، كلمة حلول الحوادث إنما هي اصطلاح اصطلح عليه هؤلاء النفاة، فجعلوه دليلا قاطعا في نفي الصفات، ما الذي حملكم على أن تقولوا: ليس محلا للحوادث، أو هو محل للحوادث؟ أثبتوا الصفات، واتركوا محل للحوادث، أو ليس محل حوادث، اتركوا ذلك، وكلوا أمرها إلى الله تعالى.

قد يوجد بعض الصفات التي يشكل أمرها، يشكل ظاهرها، فيتوقف أهل السنة فيها، ولكنهم يثبتونها حقيقة، وإذا أوردت عليهم الإشكالات قالوا: ليس لنا تدخل في ذلك، فمثلا إذا قال النفاة: لو كان على العرش؛ لكان أصغر من العرش، أو أكبر، أو مساويا، وكل ذلك محال، هذا من مفترضاتهم، فنقول: ليس لنا أن نخوض في هذا، نقول: إنه على العرش كما أخبر، ولكن لا نخوض في إشكالاتكم هذه ونحوها.

الله -تعالى- أخبر عن نفسه بهذا، وهو أعلم بنفسه، ومثلا إذا ذكروا النزول، أن 🕮 الله ينزل إلى السماء الدنيا 🕮 يوردون -أيضًا- إشكالا ويقولون: معلوم أن العرش فوق المخلوقات وهو سقفها، فنزوله هل يخلوا منه العرش؟ هل تحصره السماء الدنيا التي ينزل فيها ؟ هل يستمر هذا النزول ؟ إلى متى؟ وهل ينزل العرش معه؟.

هذه الاشكالات، أو هذه الافتراضات، نقول -أيضا-: لا حاجة إليها، ولا تتدخلوا فيها، هذه إشكالات أوردتموها أنتم، فنحن لا حاجة لنا في البحث عنها، نثبت النزول، ولكن كيفيته الله أعلم بها

– كما سيأتينا عند الكلام عن النزول إن شاء الله – كذلك قد يرد بعض الصفات التي أدلتها صحيحة ولكنها مشكلة، فتثبت، ويفوض أمرها إلى الله.

مثل حديث الصورة ﷺ خلق الله آدم على صورته ﷺ قد سمعتم أنه كثر الكلام فيه حتى ألفت فيه المؤلفات، مؤلفات مفردة في هذا الحديث، وأثبته الذين كتبوا فيه، فإذا أثبتنا أن الحديث صحيح، وأنه من أحاديث الصفات قلنا: نثبته؛ ولكن نتوقف في كيفيته، ونقول: إن الله ليس كمثله شيء، وأنه –سبحانه– قد أخبر به رسوله، وليس لنا أن نتقعر في ذلك.

وبكل حال ما أشكل من ذلك –مثلما قال ابن قدامة– وجب إثباته لفظا وترك التعرض لمعناه، يعني لكيفيته، هذا هو المحمل الصحيح، أما معانيها اللغوية فإنها ظاهرة، ونرده ونجعل عهدته على ناقله، العهدة على من نقله، هؤلاء الذين نقلوه نثق بهم، ونقول: العهدة والمسؤولية عليهم.

وذلك لأنا قبلناه؛ لأنهم هم الذين نقلوا لنا السنة، وهم الذين نقلوا الشريعة؛ بل هم الذين نقلوا القرآن كله، والأحاديث كلها، فكيف نرد هذا الحديث وحده، أو هذه السنة وحدها مع أن الذي نقلها هو الذي نقل غيرها من الأحكام، نجعل عهدته على ناقله، والمسؤولية عليهم إن كان خطأ، ونكل علمه إلى قائله.

العلم يعني الكيفية والماهية، إلى قائله، والله –تعالى– وإلى رسوله، هذا في الشيء الذي يشكل علينا الكيفيات ونحوها، هذه الطريقة طريقة الراسخين في العلم، الرسوخ: هو التمكن، رسخ في كذا يعني تمكن فيه، فالراسخ يعني العالم الذي تمكن العلم منه، وتمكن من العلم، والمراد بالعلم هنا العلم الصحيح الذي هو ميراث الأنبياء، فهو العلم الذي من علمه، وفهمه، وأحاط به سمي راسخا في العلم.

الله –تعالى– مدح الراسخين في العلم فقال الله –تعالى–: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ قسم الله –تعالى– في أول سورة آل عمران الآيات إلى محكمات ومتشابهات ، فذكر أن أهل الزيغ يتبعون المتشابه، وأما الراسخون يقبلون الجميع، يقبلون المتشابه، ويقبلون المحكم،

ويقولون: آمنا بالجميع ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ ويدعون الله فيقولون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ أي لا تجعلنا مثل الذين في قلوبهم زيغ، يعني ميل وانحراف، فنضل عن سبيلك.

دعوا الله دعوة صادقة، وهم على صواب، وعلى حق، فطريقتهم أنهم يقولون: نؤمن بالمحكم ونعمل به، ونؤمن بالمتشابه ونقبله؛ ولكن لا نتقعر في معناه، لا نرده ونتأوله، ولا نحمله على ما نفهمه من صفات المخلوقين؛ فنكون ممثلين، ولا نتكلف في رده وإبطاله، فإذا كنا كذلك التحقنا بهم.

ذم مطلق التأويل في المتشابه تنزيله

وقال في ذم مطلق التأويل في المتشابه تنزيله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ .

هذا ذم لهذه الطائفة الذين هم الزائغون ما هو الزيغ؟ الزيغ: الميل والانحراف، ويكون في القلب وهو أشده، قال -تعالى-: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ يعني أنهم فعلوا أفعالا صاروا بها زائغين، يعني مائلين عن الحق، فعاقبهم الله -تعالى- بأن أزاغ قلوبهم، والجزاء من جنس العمل.

فهؤلاء هم الزائغون، الذين في قلوبهم زيغ؛ أي ميل عن الحق وانحراف عنه، طريقتهم ذمها الله -تعالى- ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾ يتبعون المتشابه، معناه أنهم إذا وجدوا المتشابه؛ إما طعنوا به في الشريعة، وقالوا: هذه الشريعة تجمع بين الحق والباطل، فيأخذون المتشابه ويجعلونه طعنا في الدين، وإما أنهم يجعلونه عقيدة لهم، ولو كان دالا على التعطيل، أو دالا على التمثيل، فهذه طريقة زائغة طريقة منحرفة.

التأويل الذي ذمهم الله به ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، يعني تحريفه وتصريفه عن دلالته، والفتنة هي

الشبهة، أو التشبيه الذي يوقع في الضلال، التشبيه، أو التحريف، أو نحو ذلك، والحاصل أنهم يتبعون المتشابه.

روي في سبب النزول أن بعض النصارى تمسكوا بالآيات التي فيها ضمائر الجمع، فقالوا: هذه دالة على أن الخالق متعدد، مثل قوله: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾ ومثل ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ﴾ وما أشبه ذلك ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ فقالوا: هذا دليل على أن هناك آلهة كثير جميع، فيكون عيسى وأمه والله هم الذين خلقوا هذا الخلق.

هذا جعلوه من المتشابه؛ أي إنهم استدلوا بضمائر الجمع على تعدد الآلهة، وهذا خطأ واضح، وذلك لأن الله -تعالى- يذكر نفسه بضمير الجمع للدلالة على التعظيم، فإن من يعظم نفسه يذكر عن نفسه بلفظ الجمع: نحن فعلنا، نحن غزونا، ونحن أمرنا بكذا وكذا مع أنه واحد، فالله -تعالى- أحق أن يعظم نفسه.

ولكن كيف يتخذون ذلك دليلا على تعدد الآلهة؟ هذا من زيغ في قلوبهم، وهذا ابتغاء للفتنة؛ أي يفتن الجهال، وهذا طلب للتشبيه، يعني أنهم يشبهون صفات الخالق بصفات المخلوق، أو أنهم يريدون الوقوف على تأويل الكلمات، وبكل حال هذا من الزيغ، الله -تعالى- ذم الذين في قلوبهم زيغ بهذه الجملة، أنهم ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ﴾ من الآيات، ويدخل في المتشابه ما قد يفهمه بعض المعتزلة في الضمائر، أو الجمل التي يفهم منها تأييدا مذهبهم، أيا كان مذهبهم.

مذهب القدرية إنكار قدرة الله -تعالى- فيتمسكون بالآيات التي فيها تفويض القدرة إلى العباد، ويجعلونها هي المحكم، بينما الأشاعرة والجبرية ونحوهم يتمسكون بالآيات التي فيها تفويض الأمر إلى الله، وأنه هو الذي يفعل ما يشاء، ويجعلونها هي المحكم، ويجعلون المتشابه ما سواها، وما كان ضدهم.

والصحيح أن آيات الصفات من المحكم، ليست من المتشابه، يعني بالنسبة إلى مدلولها أنها دالة على صفات، وأن تلك الصفات مفهومة المعنى إلا أن الكيفية التي هي عليها من المتشابه، فالذين يعقدون تلك

الآيات فيجعلوها دالة على التشبيه هؤلاء يبتغون الفتنة ويبتغون تأويله، وكذلك غيرهم، وبكل حال هذا مقصد سيئ ﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ .

علامة الزيغ هي ابتغاء التأويل

فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة بالزيغ، ثم حجزهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ .

جعل علامة زيغهم أنهم يبتغون تأويله، وكذلك -أيضًا- يبتغون الفتنة، قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء التأويل، الفتنة هي فتنة الناس عن دينهم، يريدون أن يفتنوا أهل السنة حتى يضلوهم، يريدون أن يفتنوا الجهلة حتى يخدعوهم عما هم عليه، ويصرفوهم إلى معتقدات سيئة، فهذه الفتنة كم افتتن بها من الجهال، ولا يزالون إلى هذا اليوم، لا يزال دعاة الضلال يشبهون ويموهون على الجهال حتى يحرفوهم، ويصرفوهم عن معتقد أهل السنة.

كثير من دعاة الضلال لا يزالون في كل زمان إذا جاءتهم الآيات جعلوها في جانبهم، وأخذوا يفسرون مدلولها على ما يذهبون إليه، وقالوا: هذه دالة على مذهبنا، ونحن على حق، أو صواب، وهم في الحقيقة بعيدون عن الصواب، وقصدهم دعوة الناس إلى المعتقد الذي هم عليه، وذلك لأن كل من اعتقد عقيدة زين له أنها هي الصواب.

فإن كان -مثلا- صوفيا دعا إلى تصوفه، وإن كان قبوريا دعا إلى تعظيم القبور ونحوها، وإن كان -مثلا- معتزليا، أو قدريا، أو جبريا، أو مرجئا، أو رافضيا، أو مبتدعا أي بدعة فإنه يخيل إليه أن غيره على خطأ، وأنه هو المصيب، فلأجل ذلك يحرص على أن يجد أدلة يستظهر منها الدلالة على ما هو عليه

حتى يفتن الناس.

فمثلا القبوريون قد يستدلون بقوله -تعالى-: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ويقولون: المراد التوسل بالأموات إلى الله دعاؤهم ليكونوا وسائط، وهذا من اتباع المتشابه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، كذلك قد يستدلون بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ ويقولون: إن هؤلاء ممدوحون، أنهم يتوسلون بأيهم أقرب، بالأقرب إلى الله -تعالى- فيبتغون به بالوسيلة.

ولا شك أن هذا صرف للمعنى عن المتبادر منه، فهذا من اتباع المتشابه، وهو -أيضًا- مما يوقع في الفتنة، ونجد -مثلا- أن المعتزلة قد يستدلون على نفي الرؤية، بقوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ وبقوله لموسى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ وهذا من المتشابه، وسيأتينا الإجابة عنه عند الكلام على الرؤية، فمثل هؤلاء ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ ﴾ .

وقد ذكرنا أن أكثر النفاة يعتمدون آية الشورى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ ويجعلونها عمدتهم في نفي الصفات، ويقولون إذا: أثبتنا لله -تعالى- سمعا فقد شبهنا الله، والله ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ إذا أثبتنا له البصر، فكذلك إذا أثبتنا له كذا وكذا، فيعتقدون أن إثبات الصفات تشبيه، وهذا من ابتغاء الفتنة، وابتغاء التأويل، وهو طريق الذين في قلوبهم زيغ.

الله -تعالى- حجبهم عما أملوه، وقطع أسماعهم عما قصدوه، في هذه الآية يقول تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ قطعا لأطماعهم ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ يمكن قرأتم تفسير هذه الآية، أو الكلام عليها في كثير من أصول التفسير، وأصول الفقه ونحوها، والخلاف: هل الراسخون يعلمون تأويله، أو لا يعلمون تأويله؟.

فقد ذكر ذلك العلماء كثيرا، وتعرض له شيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من كتبه، وذكر أن التأويل

صار في اصطلاح الناس يطلق على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التفسير، وهو اصطلاح بعض العلماء كابن جرير، فلا فرق عنده بين التفسير والتأويل، يقول: القول في تأويل قوله -تعالى- ثم يقول: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، أو يقول: وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ومراده التفسير، وكأنه اصطلح على أن إيضاح المعنى والمراد من الآيات: آل إلى كذا وكذا، فسماه تأويلا بالنسبة إلى ما آل إليه وشرح عليه، هذا هو المعنى الأول.

والاصطلاح الثاني: أن التأويل معناه حقيقة الشيء وماهيته، وما يؤول إليه، ماهية الشيء التي هو عليها: هي التأويل، أي ما يؤول إليه، وما يرجع إليه كتمثيله وتطبيقه، تقول عائشة -رضي الله عنها- كان النبي ﷺ يقول في آخر حياته: ۞ سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن ۞ يتأوله يعني يمثله، يمتثل الأمر الذي أمر به في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾.

والله -تعالى- يخبر عن مآل الأشياء، ويسمها تأويلا ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ أي مآلا، ومنه -أيضًا- قوله -تعالى- في سورة الأعراف ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ المراد: حقيقته، تأويل البعث حصول النشور، والبعث من القبور، وتأويل الجزاء إعطاء كل ثواب حسناته، أو ثواب سيئاته، يقال: هذا تأويل قوله -تعالى- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ ﴾ ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ ﴾ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ هذا تأويله يعني تحققه.

وكذلك تأويل دخول الجنة، كون أهل الجنة يرون ما فيها، ويقولون: هذا تأويل ما أخبرنا الله به، فتأويل الأشياء حقائقها، وما تؤول إليه، فهذان معنيان صحيحان، أن التأويل يأتي بمعنى التفسير، وأن التأويل يأتي بمعنى حقائق الشيء وماهيتها.

فإذا قيل: إن الراسخين يعلمون التأويل، فالمراد بالتأويل التفسير، الذي تفسر به الكلمة، ويشرح به معناها، وإذا قيل: إن التأويل لا يعلمه إلا الله، فالمراد حقائق الأشياء وماهيتها، وما هي عليه، يعني كيفية

البعث، وكيفية الحشر، وكيفية نصب الموازين، وكيفية نشر الصحف، وما هي تلك الصحف؟ وما مقدار المسافة؟ وكم في كل كتاب من صفحة، أو من سطر؟ أو من كلمة؟ الله أعلم بذلك.

كيفية ذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله -تعالى- وهكذا -أيضًا- ما أخبر الله به في الجنة: أنهارها، أشجارها، ثمارها، حورها قصورها، كل ذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله يعني ماهيته وكيفيته وحقيقته التي هو عليها.

كذلك -أيضًا- اصطلح المتأخرون من الأصوليين وأهل الكلام على أن التأويل "هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يقترن به" هذا هو التأويل عند أهل الكلام، إذا قالوا: هذه الآية تحتاج إلى التأويل، لا بد من التأويل نخوض في التأويل، ما مرادهم بالتأويل؟ صرف اللفظ عن ظاهره، فإذا قالوا: استوى على العرش، أي استولى هذا تأويل، حملنا عليه الفرار من التجسيم كما يقولون، أو استوى على العرش: استوى على الملك، هذا تأويل، حملنا عليه الفرار من التشبيه.

فهذا اصطلاح جديد حادث في القرون المتأخرة، ما كان السلف يعرفون هذا الاصطلاح، أن التأويل: "هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يقترن به" بل التأويل عندهم هو المعنيان الأولان: أنه بمعنى التفسير، أو بمعنى الحقائق التي يؤول إليها الأمر.

بعض الآثار عن الأئمة والعلماء في التمسك بالسنة

الأثر المروي عن الإمام أحمد بن حنبل في تأويل الصفات

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -رضي الله عنه-في قول النبي ﷺ 📖 إن الله ينزل إلى سماء الدنيا 📖 و 📖 إن الله يرى في القيامة 📖 وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى، ولا نرد شيئا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف

الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾

.

ذكر ابن قدامة –رحمه الله– بعض الآثار عن الأئمة، وقصده بذلك الاستئناس بها ليس اعتمادها إنما قالها أئمة مقتدى بهم، معروف مكانتهم، معترف بفضلهم، مشهورة علومهم، وكتبهم يترحم عليهم، ويدعى لهم في كل زمان، فهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم فقهوا، وبهم نطق هؤلاء سرر الأرض، وأئمة الدنيا في زمانهم، وبعد زمانهم، فإذا جاءت الآثار عنهم فإنها تكون محل تقبل.

هذا الأثر الذي سمعناه عن الإمام أحمد قد يكون فيه بعض الإشكالات، وهو أثر ثابت عنه، رواه عنه بالإسناد أبو يعلى، القاضي أبو يعلى الفراء، المشهور الحنبلي في كتاب له مطبوع اسمه "إبطال التأويل" لما سئل الإمام أحمد عن أحاديث الصفات كأحاديث النزول، أو أحاديث الرؤية، وكذلك آيات الصفات جاء فيها بالصواب، وإن كان لفظا مجملا.

وقد أفصح فيها –رحمه الله– بما هو الصواب في كثير من كتبه، وأثبت أن الله –تعالى– يرى حقيقة بالأبصار، وأنه ينزل كما يشاء إلى سماء الدنيا، وأنه على عرشه استوى، وعلى الملك احتوى، وأنه يسمع كل شيء، ولا يستر سمعه شيء، وأنه يرى ولا يستر بصره شيء ونحو ذلك، من الصفات أثبتها إثباتا حقيقيا.

وفي هذا أنه قد يتوقف في بعض الكلمات، ولكن قصده بذلك الرد على الممثلة الذين يبالغون في الإثبات حتى يخرج بهم هذا الإثبات إلى نوع من التشبيه، فذكر أنا نؤمن بهذه الصفات، ونؤمن بهذه الآيات، يعني نصدق بها، ونعتقد صحتها، ونعتقد صحة معناها، ونعتقد صحة دلالتها، وذلك لأنها كلام الله، أو كلام الرسول –عليه الصلاة والسلام– صحت عنه، وثبتت عنه، وقد أمرنا باتباعه، وأمرنا بطاعته، وقد عرف نصحه لأمته، وعرف إخلاصه، وكذلك –أيضًا– عرفت فصاحته وبيانه وبلاغته.

وإذا اجتمعت هذه الصفات كونه ناصحا للأمة حريص على نجاتها، وكونه فصيحا بليغا، يعبر بالكلمات المفهومة التي لا لبس فيها ولا خفاء، وكونه قد بلغ كل شيء، وعلم الأمة كل ما يهمهم، وما يحتاجون إليه، وأن هذه البيانات التي رويت عنه ثابتة قطعية الثبوت، لا رد لها، ولا طعن في أسانيدها، فكيف مع ذلك نردها؟.

نقبلها ونقول: أهلا وسهلا بها، ونجعلها في ضمن معتقدنا؛ ولكن لا نكيفها كما ثبت ذلك عن السلف أنهم قالوا: أن يرووها كما جاءت بلا كيف، أي لا تسألوا عن الكيفية، وكذلك الكلمة التي تشكل في هذا الأثر، قوله: "لا كيف ولا معنى" نحن نعتقد أن لها معنى، ونعتقد أن المعاني مفهومة، ولكن مراده بالمعنى هو الماهية، والكنه الذي هو عليه، يعني ماهية تلك الصفة لا نخوض فيها.

فلا نقول -مثلا- إن الله -تعالى- يبصر بعين مركبة من طبقات، ويحيط بها مشافر -مثلا- وأهداب، ويسمع -مثلا- بآذان وبأصمحة وبكذا وكذا، ويتكلم -مثلا- بقصبة هوائية، وبلسان وشفتين، وما أشبه، لا، ما نقول مثل هذا، ولكنا إذا أثبتنا الصفات هذه أثبتناها حقيقة دون أن نبحث عن هذا.

فلعل هذا هو مراد الإمام أحمد بقوله: "لا كيف ولا معنى" الكيف مجهول يعني كيفية الصفة، وأما المعنى فإن أريد -مثلا- ما تفسر به بأنه إدراك المرئيات، وأن الكلام هو الكلام المسموع الذي يفهمه من سمعه، وما أشبه ذلك.

إذاً فقوله: "لا كيف" على ظاهره يعني لا نخوض في الكيفية، وأن قوله: ولا معنى يراد به الكنه، أي ولا نتدخل في كنه صفته وماهيتها، وما هي عليه، وأن المعنى الظاهر الذي تفسر به الكلمة، فإنه معلوم للأمة، ولو لم يكن معلوما لكان يخاطبهم بكلام لا يفهم يخاطبهم بكلام كأنه أعجمي وهم عرب.

والله -تعالى- قد نزهه عن ذلك، فقال -تعالى-: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ وأخبر بأنه ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ ولما قال المشركون: ﴿

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ رد عليهم بقوله ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

فلا يليق أن الرسول عربي ويخاطب العرب، ثم يخبرهم بشيء لا يدرون ما معناه، فلا بد أننا نعرف المعنى؛ ولكن نتوقف عن الكيفية، وعن الماهية، ونتقبل كل ما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- فلا نكون من الذين يقول: نؤمن ببعضه ونكفر ببعض، فنقول: ينطبق عليهم قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

كذلك -أيضًا- لا نرد شيئا من المقالات التي قالها الرسول -عليه الصلاة والسلام- مع ثبوتها؛ بل نثبتها، فلا نرد شيئا، ولا نزيد من عند أنفسنا شيئا لا دليل عليه، هذه هي طريقة أهل السنة، وطريقتهم نفي التشبيه، وإثبات الصفات بلا تشبيه عملا بهذه الآية، أو بعض الآية ردت على طائفتين، بعض آية، جزء آية، ردت على الطائفتين المتطرفتين، طائفة المنكرة رد الله عليهم بقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌ ﴾ وطائفة المعطلة رد عليهم بقوله: ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ فكان كل طائفة منحرفة يوجد ما يبطل قولها في كلام الله -تعالى- وكلام رسوله.

قول ابن قدامة في تأويل الصفات

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا نصفه بوصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله مجمله ومتشابهه، ولا نزيد عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعرف كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتصديق القرآن .

بهذا يكون الأثر الذي روي عن الإمام أحمد -رحمه الله- في أنه يثبت أن التمسك يكون بالقرآن، وأن القرآن هو المعتمد، وكذلك الصحيح من السنة، وأن طريقتنا أن نتقبل كل ما جاء به القرآن

والسنة، ولا نرد شيئا من ذلك، وأنا لا نأتي بشيء من قبل أنفسنا فنكون زدنا في الصفات ما ليس منها، وإنما نقتصر على ما ورد، نصف الله بما ورد وبما أثبته لنفسه، أو أثبته له من أرسله.

وقوله: "بلا حد ولا غاية" الكلام في الحد فيه -أيضًا- خلاف، فأثبت الحد كثير من العلماء، ونفاه بعضهم، والمراد بالحد النهاية، والصحيح أنا نقول: إن الله -تعالى- بائن من خلقه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، الذين نفوا الحد فقالوا: ليس لله حد يعني ليس له نهاية، طال بهم القول إلى أن اعتقدوا اعتقاد أهل الوحدة، الذين قالوا: إن الوجود واحد، وإن وجوده هو عين وجود المخلوقات، وهذا قول شنيع، تستوحش منه عندما تسمعه.

وعلى كل حال إذا وردت الأدلة قلنا بها، وتجرأنا عليها، وجسرنا على الكلام بها، ولو أنكر ذلك من أنكر، فلا نرد شيئا لأجل إنكار هؤلاء، ولا نتأولها تأويلا يبطل من معناها ما هو صحيح ثابت، ولو شنع من شنع، ولو عابنا من عابنا، والتشنيع هو الإنكار والعيب، تذكرون البيت الذي قاله الزمخشري -والله حسيبه- عندما يسمع قول أهل السنة: بلا كيف، إن الله استوى بلا كيف، إن الله ينزل بلا كيف، إن الله يرى بلا كيف، فيقول:

قد شبهوه بخلقه فتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة

سماها البلكفة: قولهم: بلا كيف، هكذا قال، ورد عليه علماء أهل السنة؛ بل وعلماء الأشاعرة -أيضًا- نظما ونثرا، وذلك لأنه على مذهب المعتزلة، وهو صاحب الكشاف التفسير المشهور.

فعلى كل حال ما دام أنا متبعين للدليل فإننا نحظى به ويفوت غيرنا، فكل شيء أثبته الله -تعالى- نثبته، ونفاه عن نفسه ننفيه، وأن ما أنكره علينا أضداد، أو عابونا به فإنا لا نبالي بعيبهم وثلبهم؛ بل نقول: الحق معنا، ولو كنتم جميعا ضدنا وخلافنا، فنحن نثبت ما أثبته القرآن الذي دلالته واضحة، وأنتم

تتكلفون في نفيه وفي تحريفه، وتركبون الصعوبات في تأويله، وفي صرفه عن ظاهره، فتقولون -مثلا-: إن قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أي بنعمتي، أو تقولون: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ أي قدرته، أو ما أشبه ذلك.

وهذا من التأويل الذي فيه تكلف، وكذلك بقية الصفات، وعلى كل حال هذا الأثر عن الإمام أحمد معمول به، والكلمات التي تنكر مثل قوله: لا حد ولا غاية، لا كيف ولا معنى، محمولة محملا يناسب المقام، أن المراد بالمعنى الكنه، وأن المراد بالحد والغاية: المنتهى لا أنه يريد بذلك التفسير، فإنا نفسرها، ونفهم مدلولها.

مذهب الشافعي في العقيدة

قال الإمام أبو عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي ﷺ "آمنت بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله " .

الإمام الشافعي معترف بإمامته، وله مكانة عند الأمة، وهو عالم قريش، فتح الله عليه، ورزقه فهما وإدراكا ومكانة وشهرة في الأمة، واعتنق مذهبه الفئام من الناس الذين تمذهبوا بمذهبه، وصاروا على طريقته في الفروع، ولكن -مع الأسف- إنهم، أو كثير منهم خالفوه في الأصول، فرجحوا عليه الأشعري؛ أبا الحسن الأشعري، وإن كان الأشعريون قد رجعوا عما قالوه.

فيقال لهم: إن الشافعي -رحمه الله- في العقيدة على مذهب أهل السنة، وعلى مذهب سلف الأمة، فإذا كنتم تقتدون به فعليكم باتباعه، وما جاء عنه سواء من المجملات، أو من المفصلات، فهو في هذا يصرح بما يعتقده، ولو كان مجملا: " آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله".

كلنا نقول ذلك؛ لكن هل يفهم من قوله: على مراد رسول الله على مراد الله أنه غير مفهوم، أو أنه

لا معنى له، أو أنا لا ندري ما معناه؟ لا يفهم ذلك؛ بل الأصل أن الشافعي وغيره يعرفون أن تلك النصوص لها معان مفهومة حيث إنها ألفاظ عربية فصيحة ظاهرة لا خفاء فيها، فيعتقدون مدلولها.

لكن قولهم: على مراد الله، على مراد رسول الله، يريدون بذلك على الكيفية التي أرادها الله، فإنهم يعرفون أنه ما خاطب بها إلا لقصد الفائدة، خاطبنا بها الله، وخاطبنا بها رسوله ليفيدنا لا ليضلنا، إما على طريقة المعتزلة ونحوهم فإنه قد يقال: إن هذا القرآن، وهذه السنة ما زادت الأمة إلا حيرة، تعالى الله عن قولهم، هذا مقتضى قولهم؛ لأنها أوقعتهم في الشكوك، وحملتهم على أن يتكلفوا في الصرف عن الظاهر، وأن يتأولوها بتأويلات بعيدة.

ولا شك أن هذا لم يكن مقصودا للرسول أن يوقع الناس في الحيرة، ولا أن يكلفهم التكلفات التي سلكوها في التأويلات التي أرادوا بها صرفها عن ظاهرها، فإن ذلك غير مقصود، وبكل حال لا يفهم من قوله -رحمه الله-: "على مراد الله، وعلى مراد رسول الله، أنه من المفوضة؛ بل هو يعلم معانيها، ويؤمن بها، ويتحقق دلالتها، ولكن إنما يتوقف على كيفية تلك الصفات، الكيفية التي هي عليها فيقول: مراد الله محجوب عنا، ومراد رسوله يعني بماهيتها، وكنهها، وما هي عليه.

طريقة السلف تقبل النصوص والعمل بها واعتقادها والإقرار بها وإمرارها كما جاءت

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف -رضي الله عنهم- كلهم متفقون على الإقرار، والإمرار، والإثبات بما وردت من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير التعرض لتأويله " .

"درجوا عليه": يعني ساروا على هذا، والمراد أنهم على هذه الطريقة، طريقة السلف التي هي تقبل النصوص والعمل بها، واعتقادها، والإقرار بها، وإمرارها كما جاءت بقولهم: أمروها كما جاءت، وإثبات دلالتها، وإثبات معانيها دون أن يصرفوا شيئا من مدلولها عن ظاهره، ودون أن يحرفوا شيئا منها، أو يشتغلوا بتحريفه، أو بتأويله، أو يردوه، هكذا طريقتهم.

مراده "بسلف الأمة": أهل القرون الثلاثة المفضلة، يعني عموما الصحابة والتابعون وتابعهم، هؤلاء هم سلف الأمة درجوا على ذلك، والآثار عنهم في ذلك كثيرة، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية كثيرا من الآثار عنهم؛ ولكنها قليلة بالنسبة إلى ما نقله غيره.

من أراد أن يعرف أقوالهم فليقرأ كتب أهل السنة، الكتب التي عناوينها السنة للسلف ونحوهم، ومن جملتها كتاب "الشريعة" للآجري، وكتاب "السنة" للخلال، وكتاب "السنة" لابن أبي عاصم، و"شرح أصول أهل السنة" للالكائي، وكذلك كتب المتقدمين كـــ"السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد، ففيها كثير من أقوال هؤلاء الذين أجملهم ابن قدامة، يقول: درجوا يعني ساروا ونهجوا على طريقة هذين الإمامين؛ الإمام أحمد والإمام الشافعي، واقتصر عليهما؛ على الإمام أحمد والشافعي.

من الأئمة الإمام مالك -أيضًا- مشهور أنه سئل عن آية الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، إلى آخره، الإمام أبو حنيفة مشهور ما ذكره في كتابه الذي هو الفقه الأكبر الذي جمع من كلامه قد نقل عنه شيخ الإسلام في الحموية مع أنه موجود؛ ولكن مع الأسف! الذين تولوا شرحه أضافوا إليه إضافات أفسدوا بها مقصده.

فهؤلاء هم الأئمة الأربعة المقتدى بهم، وغيرهم من الأئمة الذين في زمانهم هم -أيضًا- على طريقتهم، وبكل حال فطريقة أهل السنة متفقة مع أئمتهم، وليس للأئمة قول يخرجون به عن قول أهل السنة.

ذكر شيخ الإسلام في المناظرة التي حصلت بينه وبين أهل بلده في دمشق لما ناظروه على عقيدته، أن السلطان في ذلك الوقت هو الذي عقد هذه المناظرة، ولما كان لشيخ الإسلام مكانته وشهرته عند الناس وشعبيته أراد الحاكم، أو السلطان أن يهدئ الوضع فقال لهم: إن هذا على مذهب الإمام أحمد، ومذهب الحنابلة معتبر ومعترف به، فاتركوه على مذهبه، اتركوه يقول ما يقول في الأسماء والصفات ما دام أنه على مذهب معترف به من المذاهب الأربعة.

ماذا قال شيخ الإسلام؟ قال: لا، والله ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا القول؛ بل إنه مذهب الأئمة

كلهم، وذلك لأن الأصول والعقائد لا يجوز الخلاف فيها، الخلاف الذي بين الأربعة إنما هو في الفروع، في مسائل العبادات ومسائل الحلال والحرام، ومسائل الأحكام، هذا الذي اختلفوا فيه.

فأما الأصول التي هي العقائد، الأسماء والصفات فالأئمة الأربعة، والأئمة الذين في زمانهم، كالليثي في مصر، والأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في العراق وغيرهم، كسفيان بن عيينة في مكة، وابن أبي ذئب في المدينة، وعبد الرزاق في اليمن، وأشباههم، كلهم على المذهب الحق الذي هو العقيدة السلفية – عقيدة أهل السنة والجماعة– في الأسماء والصفات لا خلاف بينهم، فما دام كذلك فلماذا نقول: إن هذا خاص بأحمد، أو نحوه، الأئمة كلهم على هذا القول.

نجيب على هذه الأسئلة:

س: هذا السائل يقول: هل تصح الصلاة خلف الإباضي مع العلم أنهم يكثرون في بلادنا؟.

ج: الإباضية: فرقة من الخوارج، ولكن في هذه الأزمنة زادوا في الانحراف، وسلكوا مسلك المعتزلة، فهم يخالفون أهل السنة في كثير من العقائد، ومن جملتها إثبات الصفات، وكذلك –أيضًا– إنكار الرؤية، والقول بخلق القرآن، وإنكار قدرة الله على أفعال العباد، وما أشبه ذلك من أقوال المعتزلة.

هذا هو الذي فهمنا من بعض مؤلفاتهم، وعلى هذا فعقيدتهم فاسدة، فالواجب أنك لا تصلي خلف الإباضي إذا استطعت أن تجد غيره، أن تجد من هو على السنة، ولو أن تصلي مع اثنين، أو ثلاثة من أهل السنة في مصلى خاص، أو نحوه، فإذا لم تجد فمن العلماء من يقول: صلى خلف مبتدع عملا بالصلاة، خلف الأئمة الذين قال النبي ﷺ 🕮 يصلون بكم فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم 🕮 يكون الإثم عليهم هذا عند الضرورة، عند خوف الفتنة.

س: وهذا السائل يقول: قال بعض العلماء: إن قول ابن تيمية فيما أشكل من الصفات وجب إثباته لفظا، وترك التعرض لمعناه أنه مما لوحظ عليه في هذه العقيدة، وأن ذلك هو مذهب المفوضة، وهو شر المذاهب، فهل ذلك وجيه، أم لا؟ مع بيان ما هو مذهب المفوضة؟.

ج: نعتقد أن الإمام ابن قدامة –رحمه الله– ليس من هذا المذهب، المفوضة: هم الذين يقولون: إننا

نقر هذه الكلمات، ولا ندري ما معناها، أو لا يفهم معناها، بل إنها بمنزلة الكلام الأعجمي يتكلم به عند العرب لا يدرون ما معناه، أو نحو ذلك، لا شك أن هذا مذهب باطل، مذهب التفويض.

أما الإمام ابن قدامة فقوله: وترك التعرض لمعناه، أولا: أنه قال ذلك فيما أشكل من الصفات، قد ذكرنا لذلك أمثلة مثل صفة الصورة حديث الصورة ﷺ خلق الله آدم على صورته ﷺ فإن هذا مما نقول فيه: الله أعلم بمعناه؛ إلا أننا نثبته، ونثبت أن الله -تعالى-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ .

وكذلك مثل صفة النزول، وهل يخلوا منه العرش أم لا؟ هذا مما يتوقف فيه، مع أننا نعرف معنى النزول حقيقة، وكذلك لفظ الاستواء، وهل الله أكبر من العرش، أو أصغر، أم مساوٍ؟ هذا -أيضًا- مما لا نخوض فيه، ولا نتدخل فيه، فهو يورد مثل هذا لا أنه مما لا معنى له أصلا.

فالمفوضة حقيقة فوضوا جميع الصفات كلها، يعني الآيات التي فسرت كلها: آيات الرحمة، وآيات المجيء، وآيات الوجه، وآيات اليد، ونحو ذلك، كلها يقولون: لا ندري مدلولها، وهذا لا شك أنه باطل، فإن معانيها واضحة حيث إنهم يفسرون السمع بأنه إدراك الأصوات، والبصر بأنه إدراك المبصرات، وما أشبه ذلك، فيقولون: هذه الصفات من صفات الله -تعالى- سيأتينا أمثلة لذلك.

س: يقول: ما الفرق بين التشبيه والتمثيل؟.

ج: لا فرق بينهما إلا أن التمثيل أبلغ، فإنك إذا قلت -مثلا-: هذا مثل هذا. فهم بينهما مطابقة، إذا كان عندك -مثلا- كأسان، تقول: هذا الكأس مثل هذا الكأس، لا فرق بينهما، الصنعة واحدة ليست متفاوتة.

أما إذا كان هناك تفاوت وفوارق، فإنك تقول: هذا شبيه بهذا، هذا الرجل شبيه بهذا الرجل، يعني أن بينهما مشابهة وليست مماثلة، فالتشبيه هو التقريب، تقول -مثلا-: فلان شبيه بكذا، وإن كان بينهما فوارق، أنت -مثلا- إذا رأيت إنسانا وجهه أبيض، قلت: هذا يشبه القمر، هل بينهما تماثل؟ إنما تشبيه في البياض، أو نحوه.

فالمشبهة: الذين يقولون: صفات الله تشبه صفات المخلوقين، وإن كان بينهما تفاوت. والممثلة الذين يقولون: يد الله مثل يد كذا، ووجهه مثل وجه كذا.

س: وهذا السؤال يتعلق بالفقه، ما حكم من يسلم مع الإمام؟ هل صلاته صحيحة؟.

ج: الواجب أن الإنسان لا يسلم إلا بعد ما يسلم الإمام، ولكن هناك مذهب من المذاهب أنه يجوز أن يسلم مع الإمام، وهو مذهب الحنفية، ويمكن أن السائل لاحظ أن بعض الباكستانيين الذين على المذهب الحنفي يسلمون مع الإمام مباشرة، ساعة ما يلتفت يلتفتون معه مباشرة، فذلك لأن مذهبهم أن التسليم ليس بواجب، وأنه يخرج من الصلاة، ولو لم يسلم، فلأجل ذلك يرون أن هذا إنما هو للخروج من الصلاة.

وعلى كل حال هذا مذهبهم، ولكن هو مذهب غير صحيح، والصحيح أن التسليم جزء من الصلاة، وأنه لا يجوز أن يسبق مع الإمام.

س: ما حكم من يتخذ مكانا معينا في المسجد في جميع الفروض، أو بعضها لكي يسند ظهره على جدار، أو نحوه؟.

ج: لا بأس بذلك إذا كان قريبا يعني -مثلا- جعل مكانه جعل فيه -مثلا- حذاء، أو ثوبا، أو نحو ذلك وذهب ليجدد الوضوء، أو نحو ذلك ثم يرجع فيمسك على المكان حتى يرجع لا بأس، وأما كونه يتخذه دائما لا يصلي فيه غيره، فهذا ورد النهي عن ﷺ إيطان كإيطان البعير ﷺ معناه اتخاذ مكان لا يتجاوزه.

س: كثير من العمال -هداهم الله- يتعذرون بعدم تأدية الصلاة مع الجماعة في المساجد أن ثيابهم فيها نجاسة، فما الرد عليهم؟.

ج: ليس لهم عذر، فإن في كل مسجد دورات ومحلات وضوء، ومحلات غسيل يستطيعون أن يغسلوا النجاسات التي في ثيابهم، أو يخلعوها ويلبسوا غيرها، أماكنهم التي يبيتون فيها، ويقيمون فيها قريبة منهم، فعلى كل حال يغسلوها، وتزول أعذارهم، يعني تأخرهم++.

س: يقول: هل المعنى الحقيقي للصفة والماهية بمعنى الكيفية من كل الوجوه؟.

ج: الكيفية هي ماهية الشيء وما هو عليه، وكذلك الحقيقي، يعني حقيقة الشيء، يعني ماهيته هي التي قد تحجب عن الإنسان، وقد مثل لذلك شيخ الإسلام في الترمذية بالروح فقال: لا ندري ما كيفية الروح مع تحققنا لوجودها.

لا ندري ما كيفية الجن الذين يتمثلون أحيانا بصور متعددة، ويسري أحدهم في الإنس حتى يلابسه، ومع ذلك ما ندركهم، ولا ندري ما ماهيتهم، هل لهم جلود؟ هل لهم شعر؟ هل لهم لحم؟ هل لهم أسنان؟ هل لهم أعين؟ الله أعلم بكيفيتهم، فإذا كانوا موجودين وقريبين منا، ولا ندري ما كيفيتهم، فبطريق الأولى أن نتوقف في كيفية صفات الله تعالى.

س: يسأل هذا فيقول: ما الفرق بين العقيدة والمنهج؟.

ج: المنهج هذا اصطلاح يراد به الطريقة التي يسلكها سواء في فرع، أو في أصل، المناهج هي الطرق التي يسار عليها في جميع أنواع الفنون، فيقال -مثلا- المنهج في الفقه أن يسلك كذا وكذا، ومنهج الأصول كذا وكذا، وأما العقيدة فهي خاصة بما يعقد عليه القلب من الأمور اليقينية.

س: هذا يقول: إن المحسن ليس من أسماء الله، ولكن يجوز أن نقول ذلك من باب الإخبار، ولكن هل يجوز أن يسمى عبد المحسن علما بأن الاسم من المتعبد لا من الأخبار؟.

ج: الله -تعالى- قد وصف نفسه بالإحسان، وكذلك وصف بعض عباده بذلك في قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ وإذا كان الإحسان من الله -تعالى- فهو الذي ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ ومن أحسن من الله خلقا وصنعا، فالمحسن غاية الإحسان هو الله -تعالى- فإذا عرف بالألف واللام، فالأصل أنه لله اسم من أسماء الله -تعالى- لذلك أجازوا التسمية بعبد المحسن ونحوه.

س: كيف يكون الإيمان بما ثبت من الأسماء والصفات التي تصعب على العقول فهمها، أو إدراكها

إيماننا بها لفظا، وعقيدة أهل السنة والجماعة هي الإيمان بما ثبت من الأسماء والصفات في كتاب الله، أو السنة لفظا ومعنى؟.

ج: كأن السائل يستدرك على قوله: وجب إثباتها لفظا وترك التعرض لمآلها، يعني فيما ذكره ابن قدامة، إيماننا بها لفظا معناه أننا نثبتها أنها نصوص منقولة، نصوص صحيحة صريحة من الكتاب، أو من السنة، وأما أن عقيدة أهل السنة الإيمان بما ثبت من الأسماء والصفات هذا مسلم به.

فالصفات التي تصعب على العقول: إنما الذي يصعب فهم الماهية، وفهم الكيفية والكنه يصعب على العقول فهمها؛ لأنها غيب، ولم تدركها العقول فهم الكيفية، وأما المعاني وشرح الكلمات هذا واضح من اللغة ليس فيه صعوبة.

س: هذا سؤال يقول: ما علاج التشنج؟ لأن زوجتي حريصة على حضور هذه الدروس، ولكن يحصل لها تشنج في بعض الأحيان، وهذا التشنج من عهد قريب؟.

ج: يمكن أن هذا التشنج يحصل بسبب ألم داخلي فيكون، علاجه العلاج الطبيعي عند الأطباء، ويمكن أن يكون يحصل معها شيء من الحياء، أو من التوقف عن الناس يحصل لها تشنج، وعلاجه الراحة، ويمكن أن يكون سببه نفس، أو عين حاسد، أو نحو ذلك، يكون علاجه القراءة والأوراد وما أشبه ذلك، أو كذلك أن يكون سببه مس، أو صرع، أو ما أشبه ذلك يحصل لكثير من النساء، فيكون علاجه -أيضًا- بالقراءة وبالأوراد والأدعية.

والله -تعالى- أعلم، وصلى الله على محمد.

السلام عليكم ورحمة الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه.

نسأله -سبحانه- أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، نسأله -سبحانه- أن يرزقنا التمسك بدينه والسير على نهج نبيه، وأن يحشرنا في زمرة الصالحين.

لا شك أن السيرة النبوية مشتملة على نهج النبي ﷺ في تعليمه لأصحابه، ومن جملة ما كان يعلمهم

تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم –سبحانه وتعالى– من الصفات الثبوتية والصفات السلبية، وكذلك أيضا نَهْج خلفائه الراشدين الذين ساروا على طريقته، واتبعوا سبيله، اعتقدوا بقلوبهم ما هو الحق والصواب، وعلموا تلاميذهم وأولادهم ولقنوهم العقيدة الصحيحة السليمة، فكانوا على ذلك، و لم ينقل عن أحد من الصحابة أنه دخل في شيء من أمر البداء ولا حصل منه مقالة تخالف الشريعة، وإنما حصلت المخالفة فيمن بعدهم ، ولو تسمى بما تسموا به من أنه من المسلمين، ومن أنه من أهل السنة ، ومن أنه من أهل العقيدة وما أشبه ذلك فإن ذلك لا يجدي على أهله شيئا ، ثم من الله على الأمة بأن حفظ دينهم وأصبحت العقيدة معروفة في أتباع الشريعة، ومن جملة أتباع الشريعة أئمة العلم ، وسادات الأمة من الأئمة الأربعة ومن زملائهم وأهل زمانهم الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا، ونطق بهم الكتاب، يعني: نطق بفضلهم وبه نطقوا واستدلوا، فهم الذين حفظ الله بهم هذه العقيدة وبقيت مصونة –والحمد لله– أقوالهم معتمدة؛ لأنها تعتمد الدليل ولأنهم تلقوها عن من يوثق بعلمهم من الصحابة أو أبناء الصحابة؛ فلأجل ذلك تجدون أقوالهم يستدل بها، فالإمام أحمد أحد الأئمة الأربعة يعتبر قوله دليلا؛ لأنه من جملة الأئمة ومن حملة الحديث ، والإمام الشافعي يعتبر قوله دليلا؛ لأنه من الأئمة ومن المحدثين ومن الفقهاء ومن العلماء، والإمام مالك يعتبر قوله دليلا ؛ لأنه أحد الأئمة المقتدى بهم الذين شهدت الأمة بصلاحهم وباستقامتهم، وزكاهم البعيد والقريب ، واعترف بفضلهم الموافق والمخالف، وكذا الإمام أبو حنيفة، وهكذا من في زمانهم من الأئمة.

تقدم لنا النقل عن الإمام أحمد، وكذلك النقل عن الشافعي، ويأتي أيضا نُقول عن غيرهم من الأئمة، نستمع الآن إلى النقول.

أمر النبي باقتفاء أثر الإئمة والاقتداء بهم والابتعاد عن البدع

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال -رحمه الله--تعالى-: وقد أمرنا باقتفاء أثارهم والاقتداء بمنارهم، وأخبرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة .

الدلائل هي آثارهم ومنارهم للأئمة المهتدين، أئمة الأمة، واحدهم إمام، يعني: قدوة في الدين، كما حكى الله-تعالى- عنهم قولهم: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ أي: قدوة وأسوة، أجاب الله دعوتهم يعني: صالحي الأمة فصاروا أئمة يقتدى بهم، وآثارهم ليس المراد مواطئ الأقدام وإنما المراد ما نقل عنهم أي: ما أثر عنهم، الآثار في الأصل هي بقايا الأقدام أو مواطئ الأقدام، وتطلق على بقايا العلم كما في قوله-تعالى-: ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ يعني: بقية، ويقول الشاعر:

تلـــك آثارنـــا تـــدل علينـــا فـــانظروا بعـــدنا إلى الآثـــار

يريد بالآثار المعلومات التي حفظت عنهم ونقلت عنهم، أمرنا باقتفاء آثارهم يعني: باتباعها؛ لأنهم اقتفوا أثر نبيهم، وأمرنا بأن نستنير بمنارهم، وأصل المنار العلم الكبير أو النور الظاهر، ولكن هنا يطلق على علومهم التي هي نيرة مضيئة ساطعة، يظهر لمن تأملها وضوحها، أمرنا بأن نسير على ذلك المنار وأن ننهج ذلك النهج حتى نكون بذلك معهم نسير كما يسيرون ونقف عندما يقفون.

الأمر من النبي ﷺ في هذا الحديث الذي مر بنا وهو الحديث المشهور أحد الأحاديث الأربعين النووية رواه العرباض بن سارية وفيه قال: وعظنا رسول الله - ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع

والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ۞ وقد أطال ابن رجب في شرح هذا الحديث في جامع العلوم والحكم في شرح أربعة وخمسين حديثا من جوامع الكلم، وذكر جملة من المواعظ التي نقلت عن النبي - ﷺ ؛ لأن هذا الحديث ما ذكر فيه تلك الموعظة ما فيه أجملها، وكأنهم استشعروا أنها توصية أو أنها توديع فلذلك قالوا: موعظة مودع، كأنك تودعنا ويكون ذلك في آخر حياته ﷺ .

ولا نطيل في ما يتعلق بالحديث ولكن يهمنا قوله: ۞ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ۞ فإن هذا حث على التمسك بها فإن كلمة عليكم أمر، كقوله-تعالى-: ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ فمعناه إلزموا سنتي وسيروا عليها وتمسكوا بها وانهجوا نهجها واعملوا بها حسب استطاعتكم ، هكذا ذكروا أن هذه اللفظة "عليكم بكذا" تقتضي الأمر أو الإلزام أو التأكيد، فأنت إذا قلت مثلا: عليك بقراءة القرآن فإنك تحث عليها، عليك بكثرة الصيام أو تنهى عن شيء تقول مثلا: عليك بالبعد عن الفواحش كلمة عليك بكذا، تقتضي الأمر، وكلمة: إياك وكذا، تقتضي الزجر، إياكم ومحدثات الأمور اقتصر على إياكم ومحدثات الأمور دون أن ينهى عنها لم يقل اتركوها ابتعدوا عنها فكلمة، إياكم ومحدثات الأمور أبلغ من اتركوها، إياك وكذا إذا قلت مثلا: إياك وصاحب السوء، إياك وقرين السوء، إياك وجلساء السوء معناه احذرهم وابتعد عنهم، ۞ إياكم ومحدثات الأمور ۞ أي: ابتعدوا عنها، وهنا أيضا من التأكيد على السنة قوله ۞ عضوا عليها بالنواجذ ۞ بعد قوله: ۞ تمسكوا بها ۞ وهذا كله حث على العمل بها، فإن التمسك في الأصل الإمساك باليدين، وقد يتفلت منك الشيء الذي أمسكته بيديك فتحتاج إلى زيادة توثق، وليس عندك إلا أسنانك بل أقاصي أسنانك وهي النواجذ ۞ عضوا عليها بالنواجذ ۞ أي: مع تمسككم بها باليدين زيادة على ذلك العض عليها بأقاصي الأسنان ليكون ذلك أقرب إلى الثبات عليها، وكأنه استشعر أن هناك من يزعزعك عنها

باطهاده للسنة، ويسعى في تفلتك منها ويخذلك في أن تتركها وأن تتخلى عنها، إما دعاة السوء والباطل وإما أهل الشبهات والتشكيكات ونحوها، فكأنه لما علم كثرة الفتن التي توهن التمسك بالسنة أمر بشدها بالقوة، أمر بإمساكها إمساكا قويا.

السنة في الأصل هي الطريقة التي يسار عليها، وسنة النبي ﷺ هي الشريعة التي بلغها، وتطلق على أقواله وأفعاله وتقريراته، وتطلق على الشريعة التي جاء بها على أنها من دينه الذي أرسل به، وتطلق على الأحاديث التي هي زائدة على القرآن، فيقال: القرآن الذي هو كتاب الله، والسنة التي هي أحاديث النبي ﷺ ولكن الأصل أن السنة هنا هي الشريعة التي كان عليها، ﴿ عليكم بسنتي ﴾ يعني: بما أنا عليه، وبما أنا أعمله، وبما أنا أقوله وبما بلغتكم من هذه الشريعة سواءا في الاعتقادات أو في الأعمال، كل ذلك من السنة فسيروا على نهجه واعملوا بما يعمل به وبذلك تصلون إلى سبيل النجاة، الخلفاء الراشدون معروفون وسموا بذلك؛ لأنهم خلفوا رسول الله ﷺ بعده خلفوه في الولاية وخلفوه في التبليغ وخلفوه في الأعمال، فبلغوا ما بلغ -رضي الله عنهم- وساروا على نهجه، وألزموا أنفسهم ألا يتركوا شيئا مما كان يعمل به النبي ﷺ إلا عملوه، التزم بذلك أولهم الذي أطلق عليه خليفة رسول الله ﷺ .

اتفق الصحابة على تلقيبه بهذا خليفة رسول الله ﷺ وقد وافقوا على ذلك و لم يخالف في زمنه أحد يقول: إنه لا يستحق هذا الاسم، بل المسلمون على وجه الأرض اتفقوا على تلقيبه بهذا، إذن فهو مستخلف يعني: إما أن المسلمين اتفقوا على أنه يخلف النبي ﷺ أو أن النبي ﷺ استخلفه، إما بالصراحة وإما بالإشارة، ولعله يأتينا زيادة في الكلام عن الخلفاء الراشدين في خلافتهم وصحتها.

الخلفاء الراشدون مدتهم ثلاثون سنة، ورد في حديث سفينة أن النبي ﷺ قال: ﴿ الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا ﴾ وفي حديث آخر ﴿ تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين سنة ﴾ ولعله إشارة إلى مقتل عثمان ﷺ وما حصل بعده من الفتن، فنعرف أن الخلفاء الراشدين سماهم النبي ﷺ خلفاء ووصفهم بثلاث صفات الصفة الأولى: الخلافة، أي: أنهم خلف عنه، الصفة الثانية: الرشد، الصفة الثالثة: الهداية، وكفى بها تزكية لهم.

وعلى كل حال الحث على السير على نهجهم شهادة بأنهم أهل حق وصواب، وأن الذين يطعنون فيهم قد خالفوا العقل والنقل وقد عاندوا في ترك ما هو أشهر من نار على علم من السنة التي جاءت في مدحهم وتزكيتهم، مع هذه التزكية من النبي ﷺ وتسميتهم خلفاء، تجدون أن الرافضة يسبونهم ويقذعون في سبهم، وبالأخص الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان ويشتمونهم ويلعنونهم ويدعون أنهم مغتصبون للخلافة وأنهم وأنهم، وعلى هذا لا يكون لهذا الحديث فائدة،-تعالى الله عما يقولون-، وبكل حال في هذا الحديث أيضا إخبار النبي ﷺ بأن هناك محدثات، والمحدثات هي المبتدعات حذر منها، وأخبر بأن 🕮 كل محدثة بدعة 🕮 ويراد بها ما يضاف إلى الشريعة في الأقوال والعقائد فإنه حادث بعد أن لم يكن، وأنه ضلال 🕮 كل بدعة ضلالة 🕮 والضلال هو الضياع، الضال: هو التائه الضائع الذي ليس على هدى وليس على بيان، وتلك البدع والمحدثات كثيرة، ولكن المهم منها ما يتعلق بالعقيدة، فإن من عقيدة المسلمين مثلا أن الرب -سبحانه وتعالى- موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، حدثت بدعة تنكر ذلك وسُموا معطلة فهذه البدعة ضلال، من عقيدة المسلمين عموم قدرة الله على كل شيء حدثتبدعة فيها ان الله لا يقدر على أفعال العباد، هذه بدعة ضلال، من عقيدة المسلمين أن الإنسان ينسب إليه عمله وليس بمجبور، حدثت بدعة فيها أن الإنسان ليس له اختيار وأنه مجبور على فعله، وهذه بدعة ضلال، وهكذا بقية البدع، كبدعة الخوارج مثلا وبدعة الاعتزال وبدعة التكفير والتفسيق وما أشبه ذلك، فهذه من البدع التي أخبر بها في هذا الحديث 🕮 إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة 🕮 وليس المقام مقام الكلام على تفنيد البدع فهي مشهورة في كتب العلماء ـــ رحمهم الله ـــ نستمع.

ابن مسعود يحث الناس على اتباع الصحابة ويحذرهم من الابتداع

وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالىعنه-: 🕮 اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم 🕮 .

وهذا أيضا من الآثار التي يستأنس بها ابن مسعود ﷺ من أجلاء الصحابة أسلم قديما وهاجر ونفع الله

بعلمه وزكاه عمر ﷺ وقال: "كنيف ملئ علما" وأرسله إلى العراق، وكان له تلامذة في العراق في الكوفة يأخذون برأيه وحفظوا عنه علما جما، توفي سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان، قوله: ☜ اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ☝ نتبع من ؟ اتبعوا من قبلكم ، يخاطب تلامذته، تلامذة له لم يكونوا من الصحابة لم يدركوا زمن النبي ﷺ إما أنهم من مسلمة العراق الذين ما أسلموا إلا في خلافة عمر أو في خلافة عثمان، أو كذلك أيضا المهاجرين من أهل اليمن ونحوهم ليسوا من الصحابة، فهو يوصي أولئك فيقول: اتبعوا الصحابة، اتبعوا مشايخكم وعلمائكم وصحابة نبيكم ﷺ واقتدوا بهم ولا تبتدعوا ولا تحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله، ولا تشرعوا ما لم يكن في الشريعة ، ولا تكونوا من الذين قال الله عنهم: ﴿ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ فإن الله-تعالى- أكمل لنا الدين على لسان نبيه ﷺ فلا حاجة إلى بدع تضاف إلى هذه الشريعة، ☜ فقد كفيتم ☝ يعني: كفاكم من قبلكم حيث حملوا الشريعة وبينوها لكم، وبينوا لكم ما تقولونه بألسنتكم وتعتقدونه بقلوبكم وما تعملونه بأبدانكم فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات وفيما يتعلق بالأخبار والنقول وفي ذلك كفاية.

وفي الأثر الآخر أنه قال: "من كان مستنا فليستنن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب رسول الله ﷺ أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولحمل دينه، فاعرفوا لهم حقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"، تزكية منه ﷺ للصاحبة، وأمر لمن بعدهم أن يقتدي بهم وألا يبتدع من قبل نفسه، وكأنه استشعر أن هناك من سوف يقوم ببدع.

وقد نقل هو أيضا تحذيرا من بعض البدع، كبدعة الخوارج فإنه روى بعض الأحاديث التي فيهم مع كونه مات قبل أن يخرجوا، ولا شك أن النبي ﷺ قد أخبر أصحابه بكثرة البدع وبكثرة الاختلافات، ففي حديث العرباض الذي ذكرنا يقول ﷺ ☜ إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ☝ يعني: من طالت حياته رأى اختلافا كثيرا، وقع هذا الاختلاف أوله خلافهم على عثمان حتى قتلوه، ثم خلافهم فيما بينهم حتى حصلت المعارك، ثم خروج الخوارج وقتالهم من لقوه من المسلمين، ثم بعد ذلك خروج القدرية وخروج الرافضة، وهكذا البدع التي خرجت.

فابن مسعود ﷺ يقول: ﴿ اتبعوا من قبلكم ولا تبتدعوا ﴾ من قبل أنفسكم يعني: في الشريعة ولا تبتدعدوا بدعا ﴿ فقد كفيتم ﴾ قد وضحت الشريعة لكم فاقتصروا عليها.

عمر بن عبد العزيز يحث على اتباع الصحابة والعلماء من بعدهم

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ كلاما معناه: إذ حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر وما دونهم مقصر لقد قصر عنهم قوم فشقوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

عمر بن عبد العزيز خليفة راشد، ألحقه علماء الأمة بالخلفاء الراشدين، مع قلة خلافته قصر مدته، خلافته سنتان وأشهر، كخلافة أبا بكر، ولكن أعاد فيها الحق إلى نصابه، وأبطل البدع والمحدثات، ونصر السنة وقنع المبتدعة ورد المظالم وعدل في الناس وسار سيرة حسنة حمده عليها جميع المسلمين، و لم ينكر عليه لا من قريب ولا من بعيد، وكفى أنه يستشهد بقوله، وذلك؛ لأنه جمع بين الولاية علما، أي: أنه مع قصر عمره من علماء الأمة، وكذلك من مفكريها، ومن ذوي الرأي فيها، كثيرا ما يستشهدون بمقاله ويروون عنه حكما وفوائد تدل على حُنْكة وفضل ومعرفة بالشريعة وبأهدافها، يقول في هذا الأثر: قف حيث وقف القوم، يريد بالقوم العلماء الذين قبلهم، يخاطب أهل زمانه، إما في خلافته وإما في إمارته قد كان أميرا على المدينة قبل أن يستخلف أي: في زمن الوليد بن عبد الملك ولاه إمارة المدينة فسار فيهم سيرا حسنا محمودا فهو يقول: قف حيث وقف القوم، أي: الصحابة ، وتلامذة الصحابة ، العلماء الذين هم علماء الأمة وورثة النبي ﷺ كأنه يقول: لا تتجاوزوهم وتخوضوا فيما لم يخوضوا فيه ، ولا تتقعروا وتبحثوا أشياء ما أذن الله بها وليس لكم إلى معرفتها سبيل ، فلا تبحثوا في الأمور الغيبية التي

حجبت عنكم، ولا تكثروا من السؤال عن الأشياء التي لا حاجة لكم بها، فقد وقف عنها مَن قبلكم ما بحثوا في جوهر ولا في عرض، ولا في حد ولا في تعاريف ولا في حيز ولا في جهات ولا في أبعاض ولا في مركبات ولا في محدثات، وما أشبه ذلك من التي أحدثتموها، فإنهم يعني: الصحابة وتابعيهم عن علم وقفوا، يعني: سكتوا عن هذه الأشياء عن علم.

عرفوا أن فيها خطر فلم يتكلموا فيها، فما وقفوا إلا عن علم يقيني قلبي وقر في قلوبهم، وببصر نافذ كفوا، كفوا البصر هنا ليس هو بصر العين، ولكنه بصر القلب يعني: البصيرة يعني: ذلك البصر نافذ يعني: نافذ لهذه العلوم، وقد تخيل ما وراءها من المفاسد، انظروا كيف فكر ﷺ ـــ فعرف أن الصحابة وتلاميذهم كفوا عن الخوض في هذه العلوم مع قدرتهم عليها عن علم، لا أنها لم تحدث عندهم بل عرفوا أنها ستكون ولكنهم وقفوا عنها، قد روي عن بعض الصحابة أنه قال: ﷺ يا رسول الله، إن أحدنا ليجد في قلبه ما أن يخر من السماء خير له من أن يتكلم به فقال النبي – ﷺ –: الحمد الله الذي رد كيده إلى الوسوسة ﷺ وفي رواية أنه قال: ﷺ ذاك صريح الإيمان ﷺ يعني: الذي لا يتكلم بهذه الأشياء التي تخطر بباله بل يزيلها عن قلبه هذا صريح الإيمان، فإذا جاءتك هذه الخطرات وهذه الأوهام والتخيلات وأبعدتها عن نفسك فإنك متبع لهم، "عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، ولهم على تجليتها وإظهارها أقدر" لو كان فيها فائدة لتكلموا بها فإنهم علماء وفصحاء فهم على إظهار الخير الذي فيها أقدر، وهم أولى وأحرى أن يبينوا ما فيها لو كان فيها مصلحة ولكن علموا أن لا مصلحة فيها فكفوا عنها.

وإذا قيل: حدثت بعدهم، لو كانوا أدركوها لتكلموا فيها، يعني: ما أحد في زمانهم تكلم في طبقات السماء مثلا ولا في مكونات الأرض ولا في خلق الروح مثلا وتكوينها ومن أي شيء؟، ولا في تقسيم الموجودات إلى جواهر وأعراض، ولا في الجسم ما يتركب به وتعاريفه وما أشبه ذلك، ولا تكلموا في زمان الصحابة أيضا في الأعراض ولا في الأبعاض ولا في الطبقات وما أشبه ذلك، ما حدثت هذه العلوم إلا بعدهم.

ما الجواب ؟ أجاب ﷺ بأن الذين أحدثوها أنقص منهم علما، ما أحدثها إلا أناس لا علم عندهم

كما عند الصحابة، وإلا فالصحابة يقدرون على أن يخوضوا فيها، ما أحدثها بعدهم إلا من هو دونهم في العلم وفي المواهب، ثم أخبر بأن الذين بعدهم انقسموا إلى قسمين:

قسم قصروا وقسم غلوا، الذين قصروا كأنهم الذين اقتصروا على ذكر الأحكام فقط و لم يخوضوا في العلوم الغيبية، و لم يتكلموا فيها معرضين عنها بألسنتهم وبقلوبهم، هؤلاء مقصرون، والذين غلوا هم الذين توسعوا فيها وتكلموا فيها كلاما طويلا وولدوا فيها توليدات ووقعوا في آخر أمرهم في حيرة وفي شك وفي إبعاد عن الحق، حملهم ذلك على أن يموتوا وهم شكّاك لا يدرون ما يعتقدونه، فصاروا في طرفي نقيض، قوم قصروا وقوم غلَوا، وتوسط الصحابة، وتوسط الأئمة فلم يتركوا هذه العلوم جانبا بل تكلموا فيها بما يكفي وقالوا: فيها ما يشفي، وأوضحوا منها ما هو الحق فأوضحوا للأمة عقيدتهم، أوضحوا للأمة أن يعتقدوا الأسماء والصفات التي نقلت وثبتت بالأدلة وأوضحها الله-تعالى- في الكتاب وفي السنة، وأن يتزهوا الله-تعالى- عن صفات النقص والعيب وأن يعتقدوا البعث والنشور والجزاء على الأعمال وأن يدينوا بالعبادات ويتركوا المحرمات، وكفى بذلك بيانا، والذين لم يتكلموا فيها مقصرون.

روي أن بعض التلامذة سألوا ابن المبارك وقالوا: "إنا نكره أن نتكلم في هذه الصفات، يعني: في إثبات العلو والاستواء والنزول وما أشبه ذلك فقال: إنا أكره منكم لها ولكن لما جاءت بها النصوص واشتملت عليها الأدلة تجرأنا على الكلام بها وجسرنا على أن نقولها اعتمادا على الدليل، وكفى بالآيات دليلا "، أو كما قال، فأخبر بأنا قد نتوقف عندما تذكر لنا بعض الصفات التي لا دليل عليها فإذا وجد لها دليل تكلمنا عليها بجرأة و لم نخف، فهكذا كان الصحابة -رضي الله عنهم- وكان تلامذتهم يتكلمون بالدليل ولا يبالون، وهكذا نقل عنهم عمر ﷺ أنهم كانوا وسطا ليسوا من الذين يعرضون عن هذه الأشياء ولا يذكرونها في عقائدهم ويستوحشون إذا ذكرت.

كما نقل أن رجلا انتفض لما سمع آية في الصفات استنكارا لذلك، فقال علي: ما فرقوا هؤلاء يجدون لذة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه كأنهم لا يجرؤون على أن يتكلموا بشيء من الآيات والأحاديث التي تشتمل على ذكر صفة من الصفات، والحق أن تجرؤ وتتكلم بها، ولا تخف في إثباتها هذا هو

الصواب، ولكن لا تتقعر وتغلوا فتتكلم بأشياء لا دليل عليها، فما فوقهم محسر الذي يتجاوزهم ومن دونهم مقصر، وهم بين ذلك على هدى مستقيم أي: وسط بين طرفين، وهكذا أهل السنة متوسطون بين طرفي نقيض بين ممثلة وبين معطلة نعم.

الإمام الأوزاعي يدعو للتمسك بآثار من سلف

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي ﷺ عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول .

الأوزاعي إمام أهل الشام من كبار تابعي التابعين، أدرك كثيرا من علماء التابعين، وكان قدوة وأسوة في علمه –رضي الله عنه ورحمه– وكان أيضا من جهابذة الأمة ومن علمائها الذين حفظ الله بهم السنة في تلك البلاد، يحثنا في هذا الأثر على أن نتبع آثار من سبق، وإن هجرنا من هجرنا "وإن رفضك الناس " كأنه استشعر أن هناك من يهجر الحق ويهجر أهله، يهجر الذين يروون أحاديث السنة وأحاديث الصفات ويمقتهم ويرميهم بأنهم مشبهة وبأنهم ممثلة وبأنهم وأنهم، فيقول:

"عليك بآثار من سبق" يعني: الآثار التي يروونها، والتي يقولونها ويذهبون إليها، ويريد بمن سبق الصحابة والتابعين، علماء الأمة، عليك بآثارهم، اتبع آثارهم وسر على نهجهم، وإن رفضك الناس، ولو لقيت هجرانا وإهانة، مادمت على الحق وما دمت متبعا لمن هم على الحق، فلا تبالِ بمن هجرك أو حقرك أو مقتك أو ازدرى سيرتك ، أو نفر من طريقتك، فأنت أولى بالصواب من الذين يهجرون الحق وأهله .

"وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول" يعني: احذر الآراء، الآراء هنا جمع رأي وهو القول الذي لا دليل عليه يسمى رأيا ، وجمعه آراء وهي الأقوال التي يقولها بعض الناس بمجرد فكرة، وبمجرد نظر يراه لا دليل عليه، فهؤلاء يجب أن نحذرهم ونبتعد عنهم، وبكل حال هذا الأثر فيه أن الحق أحق أن

يتبع وأن هناك من يشجع على الباطل ويدعو إليه ويزخرفه ويأتيه له بعبارات مشوقة ؛ لأن يقوله، وما أكثرهم في زماننا، الذين يأتون بكلمات وعبارات مبهرجة يمدحون بها طرقهم، طرق تصوف مثلا أو طرق ابتداع، أو طرق تشيع، أو طرق نفي وتعطيل أو نحو ذلك ويزعمون أن هذه هي الطريقة المثلى، وأن سلوكها هو الطريق الأقوم، وأن الذين عليها هم أهل النجاة، وأن من خالفها فهم أهل هلاك أو تردي ما أكثرهم في كل زمان، فإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوها لك بالأقوال وموهوا عليك وأتوا بشبهات وأتوا بتخيلات يوهمون بها أن الصواب في جانبهم. نعم.

الإمام الأدرمي ودفاعه عن السنة

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله – ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها ؟ قال: لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء علمته ؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها، قال: أفوسعهم ألا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ قال: بلى وسعهم، قال: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل.

فقال الخليفة وكان حاضرا: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم، وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه .

هذه القصة مشهورة في كتب السنة تجدونها بطرق كثيرة وبألفاظ كثيرة في كتاب "الشريعة" للآدري وغيره، وفي ترجمة هذا الإمام ولغيره من كتب أهل السنة، هذا الإمام سماه محمد بن عبد الرحمن، وبعضهم سماه محمد بن عبد الله بن محمد، عالم من علماء الأمة ذكروا أنه لما أحضر إلى الخليفة، والخليفة في زمانه هو الواثق. قال له: ناظر أبا عبد الله، يريد المبتدع الخبيث الذي يقال له: أحمد بن أبي دؤاد وكان هو الذي زين للخلفاء أن يفتنوا العلماء وأن يلزموهم بهذه البدعة التي هي القول بخلق القرآن،

فقال هذا العالم –رحمه الله–: إنه ليس أهلا أن يناظرني ولا أن أناظره، فغضب الخليفة، وقال أبو عبد الله: لست كفئا وليس أهلا فطمأنه، وقال: مهلا فسوف يظهر الحق ويتبين عند المناظرة، أناظره تمشيا على رغبتك، وقد رويت القصة بآثار مطولة كما في كتاب "الشريعة".

وذكروا أنه كان مقيدا هذا العالم جيء به مؤثقا لما أنه أصر على أن يعلن أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما أحضر عند الخليفة وبدأ في المناظرة أتى بما ملخصه ما سمعناه، قال له: هذه البدعة أو هذه المقالة التي تقول بها أنت هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان، خلفاء الأمة، الخلفاء الراشدون خلفاء النبي ﷺ الذين زكاهم وشهد لهم بالرشد والهداية؟ هل علموها أو لم يعلموها ؟.

فقال أولا: ما علموها، فتعجب، وقال: كيف تعلمها أنت ؟ لم يعلمها الصحابة، و لم يعلمها الخلفاء الراشدون، و لم يعلمها الرسول ﷺ وعلمتها أنت، هل نزل عليك وحي؟، هل أنت رسول من الله– تعالى– ؟ ما الدليل على رسالتك ؟ ما هو الوحي الذي نزل عليك حتى تكون أنت أعلم من الرسول وأعلم من الخلفاء؟.

فتحير ابن أبي دؤاد و لم يجد بدا من أن يقول: بل علموها، فانتقل محمد بن عبد الرحمن ـــ رحمه الله ـــ إلى أن يقول له: مادام أنهم علموها، فهل دعوا إليها وفتنوا الناس وألزموهم بما ألزمتهم به وعذبوا من أنكرها وحبسوهم وأنكروا على من خالفهم، أو لم يدعوا إليها ؟.

من المعلوم أنهم ما دعوا إليها، بل و لم يشتهر أنهم قالوا: إن القرآن مخلوق، و لم يقل ذلك أحد من الأمة، فقال: لم يدعوا إليها، لا بد أن يعترف؛ لأن التواريخ والقصص مشهورة أنهم ما دعوا إليها ولا فتنوا أحدا، ولا ألزموه بأن يقول هذه المقالة الشنيعة التي هي الإلزام بأن القرآن مخلوق، فلما لم يجد بدا التزم واعترف بأنهم ما دعوا إليها، فعند ذلك قال له: فهلا وسعك ما وسعهم ؟ ما دام أنهم علموها وسكتوا وتركوا الناس على معتقداتهم، و لم يفتنوا أحدا، و لم يلزموا أحدا، و لم يعذبوا أحدا، و لم يقولوا لهم: هذه المقالة باطلة، أو هذه المقالة حق أو نحو ذلك، اسكت كما سكتوا، يسعك ما وسعهم.

فإن كنت على صواب فصوابك لنفسك ولا تغير عقائد غيرك، وإن كنت على خطإ فخطأك أيضا

على نفسك، أما غيرك فلا تغير عليهم ما دام الرسول وصحابته لم يغيروا عليهم ولم يفتنوهم، ولما انقطعت حجته، وعند ذلك كان الخليفة قد سبب الفتنة، الخليفة الذي قبله.

تذكرون أن أول من اتصل به ابن أبي دؤاد وبشر المريسي من الخلفاء الخليفة المأمون، وهو ابن هارون الرشيد، هذا الخليفة هو الذي أظهر القول بخلق القرآن، ودعا إليه وفتن كثيرا من الأمة ومن الأئمة، وجيء بالإمام أحمد إليه فدعا الله ألا يريه وجهه، استجاب الله دعوته فمات المأمون قبل أن يصل إليه الإمام أحمد، ولكن تولى الخلافة بعد المأمون أخوه المعتصم، وكلاهما من أولاد الرشيد.

الرشيد ـــرحمه الله ـــ هو رشيد كاسمه، كان يغزو سنة ويحج سنة، وكان ينصر السنة كأبيه وكجده، ولكن ولده هذا المأمون والمعتصم اتصل بهم هؤلاء المبتدعة، وزينوا لهم هذه البدعة التي هي إنكار الصفات، ومنها إنكار كلام الله-تعالى- وإنكار أن يكون القرآن كلامه والقول بأنه مخلوق، جيء بالإمام أحمد وبقي سجينا عند المعتصم وجلد في زمنه عدة مرات، وأطيل تعذيبه وعذب عذابا شديدا ولكنه تحمل ذلك وصبر، ثم بعد ثماني سنين مات المعتصم، وتولى بعده ولده الواثق الذي جرت عنده هذه القصة ، قصة الأدرمي، فهو الواثق ولد المعتصم ، والصحيح أنه رجع عن هذه المقالة بسبب هذه الحجة التي احتج بها الأدرمي ـــ -رحمه الله- ـــ ، وتولى بعده ولده المتوكل بن الواثق وهو الذي نصر السنة، وأكرم الإمام أحمد وأعزه ومكنه من أن يظهر السنة، واستدل على أن أباه الواثق قد رجع عن هذه المقالة بقصة الأدرمي معه حيث إنه قال: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ و أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، مادام انه وسعهم السكوت فكيف لا يسعنا؟ ، الأولى بنا أن نسكت كما سكتوا وأن نكل الناس إلى ما يعتقدونه من الأدلة ، مع أن الإمام أحمد ـــ -رحمه الله- ـــ قد بالغ في ذكر الأدلة التي استدل بها عندهم ، وذكر لهم أحاديث وآيات ومع ذلك لم يقتنعوا ، استمروا على مقالتهم الباطلة إلى أن ظهر الحق وعز أهله -والحمد لله-.

هذه أسئلة أكثرها يتعلق بالأحكام، قليل منها عما يتعلق بالعقيدة ،

س: يقول هذا السائل: إن بعض الأخوة -هداهم الله- يأتون متأخرين فيضايقوننا في الصف الأول

مع عدد وجود فرجة مما يذهب خشوعنا.

ج: كأنه يريد نصيحتهم، وهذا هو الحق أن الذي يأتي متأخرا يصف من حيث وجد ولا يضيق من قبله إلا إذا وجد فرجة، فإن وجد فرجة فله أن يسدها ولو تخطى الرقاب؛ لأنهم أسقطوا حقهم بترك هذه الفرجة في الصفوف الأولى.

س: وهذا يحث على تشجيع الإخوة الذين جاءوا لطلب العلم من دول الخليج وغيرها ؟.

ج: لا شك أنهم على خير -إن شاء الله- الذين تجشموا المشقة وصبروا على العنت وعلى الصعوبات، وفارقوا أهلهم وبلادهم وأنفقوا الأموال التي أنفقوها رغبة في التزود، ومحبة للعلم فيرجى لهم أن يكونوا ممن يحصل لهم ثواب العالم أو ثواب المتعلم ، ورد الحديث في قوله ﷺ من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة بشارة كبيرة، هذا الطريق الذي سلكته سواءا قصيرا أو طويلا لك فيه أجر خطواتك والمسافات التي قطعتها والزمن الذي قطعته لك -إن شاء الله- الأجر على قدر نصبك وقدر تعبك وقدر تحصيلك، ثم هو أيضا وسيلة إلى التزود ، الغالب أن من جاء راغبا محبا فإنه يكون متفرغ القلب ويكون محبا للتزود فيثيبه الله-تعالى-.

س: وهذا يقول: تقديم السؤال بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل هذا موضع السلام فهل يشرع؟، وهل كان الصحابة وهم جالسون في مجلس رسول الله يصدرون أسئلتهم بالسلام ؟.

ج: نعم. السلام مشروع عند كل لقية وكل مقابلة كما شرع للخطيب إذا تقدم أمام الجماعة في الجمعة والعيد ونحوها أن يبدأ مخاطبتهم بالسلام، وذلك لتحصل التحية التي قال الله فيها ، قال-تعالى-: ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ ﴾ ﴿ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ فإذا تقابل المسلمان فإنهما يحرص كل منهما على البداء في السلام لقوله وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

س: ما حكم الصيام إذا وافق يوم السبت في غير الفريضة كصيام الست من شوال أو يوم عرفة أو

الأيام البيض ؟.

ج: لعل السائل سمع الحديث الذي فيه ﷺ لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم، ولو لم يجد أحدكم إلا لحاء شجر فليمضغه ﷺ والحديث صحيح ، وقد اشكل قوله: ﷺ فيما افترض عليكم ﷺ والصحيح أن معناه فيما شرع لكم، وليس خاصا برمضان ، فيما شرع لكم، وفيما أمرتم به ورغبتم فيه ، وكأنه نهي عن أن يخصص يوم السبت بالصيام أن يخصص؛ لأجل أنه يوم السبت وذلك؛ لأن اليهود يسبتون فيه فهو يوم عيدهم، فنهى عن تخصيصه حتى لا يتشبه بهم ، هذا هو الصواب ، وإلا فإنه إذا صامه لا عن قصد فلا مانع ، فإذا صام ستة أيام من شوال وكان بينها يوم سبت فلا مانع ، وإذا صامه لمناسبة فلا مانع ، قد أذن النبي ﷺ لعبد الله بن عمر أن يصوم يوما ويفطر يوما وقال: إن هذا أحب الصيام إلى الله: ﷺ أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ﷺ .

من المعلوم أنه إذا أفطر يوم الجمعة صام يوم السبت وأفطر يوم الأحد وصام يوم الاثنين وهكذا ، كذلك أيضا قد ثبت أنه رغب في صيام يوم عرفة ، وقد يصادف يوم عرفة أنه يوم سبت،وكذلك أيام العشر أخبر بأن العمل فيها أفضل من كل عمل حتى من الجهاد في سبيل الله، وقد يكون من العمل فيها صيامها، وصيامها قد يكون فيها سبت ، وكذلك رغب في صيام يوم عاشوراء فأخبر بأنه يكفر السنة التي قبله ، وقد يصادف أنه يوم سبت وهكذا أذن لمن صام يوم الجمعة، وصام يوما قبله أو يوما بعده ، ﷺ لما دخل على أم حبيبة وهي صائمة يوم الجمعة قال: أصمت أمس ؟ قالت: لا ، أتصومين غدا ؟ قالت: لا ، قال: فأفطري ﷺ لو قالت: نعم. سأصوم يوما بعده الذي هو يوم السبت لأذن لها أن تصوم الجمعة ومعه يوم وهو يوم السبت الذي بعده ، فأفاد بأنه يجوز أن يصوم يوم السبت إذا لم يكن مقصودا.

والمسألة قد شرحها ووضحها شيخ الإسلام في "اقتضاء الصراط المستقيم" وذكر مثل هذه الأمثلة.

س: كيف نوفق بين قولكم: كلام الإمام أحمد والشافعي ومالك يعتبر دليلا مع قول القائل لا حجة إلا في كتاب الله وسنة رسوله ؟.

ج: تعترف الأمة بأن هؤلاء هم الأئمة المقتدى بهم ، وأنهم أقرب إلى زمن النبوة، وأنهم ممن فتح الله عليهم العلم والحفظ فصاروا حفاظ الأئمة وصاروا فقهاءها ، حتى حفظوا ما لم يحفظ من بعدهم إلا ما شاء الله ، فالإمام أحمد ـــ -رحمه الله- ـــ كان يحفظ مائة ألف، أو ألف ألف ، مليون حديث ، ذكر ذلك الصرفري في قوله:

حـــوى ألف ألـــف مـــــن أحاديـــث أســـــــــــــــــــــــــندت وأثبتهـــــا حفظـــــا بقلـــــــب المـــــــــــــــــــــــــحصل

أجـــاب علـــــى ســــتين ألـــــف قضيـــــــــــــــــــــــــــة بأخبرنـــــا لا عـــــن صحـــــائف نقـــــــــــــــــــــــــــل

وهكذا غيره من الأئمة ، فنقول: إنهم لا يقولون شيئا من قبل أنفسهم غالبا ، بل يعتمدون الدليل، وإذا لم يجدوا دليلا فغيرهم بطريق الأولى ألا يجد ، ولكن مع ذلك ليسوا معصومين، فإذا وجد لأحدهم قول يخالف الدليل فإن الدليل أولى بالاتباع، وقد صرحوا بذلك أنفسهم ، وذموا من يقلدهم ، قالوا: لا تقلدوني، ولا تقلدوا مالك ولا تقلدوا الأوزاعي وخذوا من حيث أخذنا ، وكذلك كل واحد منهم ، حتى أبو حنيفة يقول: إذا جاء القول عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال ، وذلك؛ لأنه من التابعين.

س: يقول: يسأل ما تقولون في صرف العمل الورقية بالمعدنية مع التفاوت تسعة بعشرة ؟.

ج: فيها خلاف ونحن نختار أنه يجوز للحاجة ولوجود الاختلاف الذي يسوغ التفاضل في قوله: ﴿ فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم ﴾ .

س: يقول: أيهما أفضل عند أهل السنة ، معاوية أم عمر بن عبد العزيز ؟.

ج: لا شك أن معاوية أفضل بالصحبة ، فإنه صحابي ولا شك في ميزة الصحابة على من بعدهم ، فعمر أفضل من حيث السيرة ، ومن حيث نصر السنة ، ومعاوية أفضل من حيث الصحبة ، ولمعاوية أيضا فضائل كثيرة امتاز بها، الحلم والعلم والسعة والفضل وإن صدر منه ما صدر.

س: يقول: هل ورد عن النبي في زيادة الحديث: 🕮 وكل ضلالة في النار 🕮 ؟.

ج: نعم. وردت هذه في سنن النسائي ولكن في إسنادها مقال ومع ذلك يستشهد بها.

س: يقول: من المعلوم من عقيدة أهل السنة والجماعة أن آيات الصفات من المحكم وليس من المتشابه ؟.

ج: والتوجيه في آثار علي ﷺ التي ذكرت ، حينما سمع رجلا آية من آيات الصفات فانتفض فقال: " ما بال هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه " ، معنى هذا أن هذه الآيات من المتشابه ، كأنه ذكر أنها من المتشابه بمعنى أنهم يفهمون منها فهما غير ما هو الحق ، فقد يفهم منها بعضهم أنها كصفات المخلوق ، تكون من المتشابه عند هؤلاء الذين يفهمون هذا الفهم السيئ ، وأما إذا فهمنا منها فهما يليق بالخالق -سبحانه- فلا تكون من المتشابه.

س: ما حكم إدخال صورة الإنسان في المسجد؟ .

ج: لا تجوز إذا كانت بارزة ، أما إذا كانت خفية كالصور التي في الحفائظ أو في بطاقات الأحوال ، والتي هي للضرورة فلا مانع من ذلك للحاجة.

س: هذا سائل يقول: هل الخلفاء الراشدون هم الخلفاء الأربعة ، أم كل إمام راشد متبع طريقة النبي ﷺ كالأئمة الأربعة ؟.

ج: الجمهور على أن الخلفاء الأربعة هم الذين وصفوا بأنهم الخلفاء الراشدون ، وألحق بعضهم بهم عمر بن عبد العزيز ، وأما الأئمة فيقال لهم: أئمة ، الأئمة الأربعة الذين هم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، يقال لهم: الأئمة ، يعني: المقتدى بهم ، فهناك أئمة وهناك خلفاء ، وهذا أيضا اصطلاح، وأما الحديث فإنه نص في الخلفاء الذين خلفوا النبي ﷺ .

س: يقول: إذا كان الخلفاء الأربعة الراشدون اجتمعوا على رأي فقهي وجاء الحديث الصحيح بخلاف مذهبهم، هل نتبع الحديث أم قولهم الذي أجمعوا عليه ؟.

ج: بل يقال بالحديث ، الحديث يتبع ويعتذر عنهم باعذار ولعله يقصد هذا السائل مثل ما ورد في نهي عمر عن حج التمتع، وكذلك أبو بكر، فأولا: أبو بكر ما ينه عن ذلك وإنما اختار أنه أحرم مفردا، وكذلك عمر اختار الإفراد، وعلم أن النبي ﷺ أذن للصحابة في التتبع، ولكنه رأيه في تكثير الوافدين إلى البيت، فعلى هذا يكون هذا اختيارا منهم وليس هو سنة، إنما رأوا رأيا فعله النبي ﷺ وفعل أيضا بعض الصحابة خلافه، والحاصل أنه إذا جاءت السنة مخالفة لأقوالهم، وقد اجتمعوا ـــ وإن كان ذلك نادرا ـــ فالسنة تقدم، إذا كانت ثابتة، ويحمل رأيهم على أنه اجتهاد.

س: هذا يقول: أنا طالب في كلية طبية، كلية العلوم الطبية بجامعة الملك سعود، وقد لوحظ في هذه الكلية ازدياد عدد الطلاب الرافضة حتى أن عددهم في بعض الأقسام يصل إلى ٨٠% وخصوصا الأقسام الصعبة الهامة طبيا، فهل من كلمة للشباب تحثهم على الدخول في هذه المجالات، وأن تبين للشباب أثر انتشارهم أي: الرافضة في مثل هذه المجالات على الأمة ؟.

ج: نعم. نحن نقول دائما: إن شباب أهل السنة عليهم أن يحرصوا على العلوم الهامة وأن يحرصوا على الولايات التي تهم جميع الأمة، ولا شك أن العلوم الطبية من أهم ما يحتاج إليه؛ ذلك لأن هذه الطائفة إذا تولت هذه الأشياء تولوا علاج النساء، أو علاج أهل السنة لم يؤمَنوا أن يحتالوا في إضرارهم وفي إذلالهم وإهانتهم ورفع غيرهم عليهم.

لا شك أن أهل السنة أولى بأن يكونوا أحرص على مثل هذه الولايات، وكذلك غيرها من الولايات، هؤلاء الرافضة هم يقصدون مقاصد بعيدة المدى، يقصدون أنهم يتولون ولايات ذات أهمية ليكون لهم مكانة في الأمة وليعترف بولايتهم ويعترف بهم وأنهم من الشعب السعودي وأنهم معترف بأنه من أفراد الأمة حتى لا يُستنكروا.

س: يقول: بعض الناس لا يرى الكلام عن بعض أمور العقيدة كوجوب الطاعة لولاة الأمور

والتحذير من بعض البدع والمبتدعة.

ج: هذا خطأ، بل الصواب أن جميع أمور العقيدة لا بد من الكلام فيها وبيانها، ومن جملة العقيدة السمع والطاعة الذي ذكر في الحديث، حديث العرباض الذي سمعنا ابتدأه النبي ﷺ بقوله: ﴿ أوصيكم بتقوى الله...-إلى قوله-: عليكم بالسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي ﴾ وكذلك في قوله لأبي ذر: ﴿ اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ﴾ وغير ذلك من الأحاديث.

س: يقول: سألنا بعض الإخوان الذين يذهبون إلى الدعوة بباكستان لماذا تصلون في المساجد التي فيها قبور، وأنتم تعلمون ما ورد فيها من الأحاديث ؟ فقال: نحن نصلي بنية تأليف القلوب، ومن بعد دعوتهم إلى الدين، فهل هذا جائز ؟ وهل يجوز الصلاة في مسجد فيه قبر؟ .

ج: لا يجوز، ما دامت الأحاديث صريحة في النهي عن الصلاة في القبور، إن النبي ﷺ ﴿ نهى عن الصلاة في المقبرة والحمام ﴾ ووردت الأحاديث في النهي عن اتخاذ القبور مساجد، لكن إذا كان القصد الدعوة فإنكم تأتون إليه في غير أوقات الصلاة أو تصلون في مسجد آخر وتأتون إليهم قبل تفرقهم وتدعونهم أو تأتون إليهم في مجتمعاتهم وتبينوا لهم الشرك الذي أحدثوه من الصلاة عند القبور أو نحو ذلك.

س: هذا السؤال يقول: ما حكم الحلف بصفات الله مثل: عين الله ؟.

ج: يجوز أن يحلف الإنسان بالصفات التي تختص بالله يعني: كوجه الله وذات الله وعلم الله وكلام الله ، وكذلك إذا حلف بهذه اللفظة عين الله، ولكن الأولى الحلف بالأسماء التي سمى الله بها نفسه.

س: يقول: ماذا يستفيد القائلون بخلق القرآن، فهو مبصر وكلام ؟.

ج: القائلون بخلق القرآن في زعمهم أنه إذا قيل: إن القرآن كلام الله استدعى أن الله متكلم والكلام عندهم لا يقوم إلا بالأجسام وينزهون الله في زعمهم عن أن يكون جسما أو يكون متكلما؛ فلذلك كان من عقيدتهم أن القرآن مخلوق ليس هو كلام الله فحملهم ذلك على أن يفتنوا الناس، وينكروا أن الله متكلم ويتكلم إذا شاء، ولعله يأتينا في الرسالة ما يوضح ذلك إن شاء الله،والله اعلم وصلى الله على

محمد.

السلام عليكم ورحمة الله، ﷺ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فقد مر بنا فيما ذكره الموفق في مقدمة "اللمعة" بعض الآثار التي نقلها عن الأئمة والعلماء، ومضمونها التمسك بالسنة والوصية بها والحث على العمل بها، وترك البدع والمحدثات، ولو زخرفها من زخرفها، ولو دعا إليها من دعا إليها، وقد ذكرنا أن كلام العلماء سير الأئمة المقتدى بهم يستأنس به، وما ذاك إلا لأنهم حملة العلم وورثة الأنبياء، فإن العلماء ورثة الأنبياء، وقد شهد لهم أهل زمانهم بما وهبهم الله من الحفظ والعلم والفهم والإدراك الذي صاروا به أئمة، وقدوة في الدين في أصوله وفي فروعه.

إثبات صفتي الوجه واليد لله تعالى

وبعد ذلك نستمع إلى ما أورده أبو محمد ابن قدامة من الأدلة في الإثبات وفي النفي.

ﷺ الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المصنف -رحمه الله-تعالى-: فمما جاء من آيات الصفات قول الله-تعالى-: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ وقوله -سبحانه-: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ .

قد عرفنا أن صفات الله-تعالى- تنقسم إلى قسمين: صفات ذات وصفات فعل، وأن الصفات الذاتية هي التي تلزم الذات وتكون ملازمة للموصوف بها دائما لا تنفك ولا تنفصل في وقت من الأوقات، فهي من الذات أو جزء من الذات من ذات الشيء التي هي ماهيته وما يتكون منه، فمثلا إذا قلنا: إن هذا الإنسان الماثل أمامنا يوصف بصفات ذاتية وبصفات فعلية، فسمعه جزء من ذاته وبصره جزء من ذاته ولسانه جزء من ذاته ويده ورجله وبطنه وظهره، هذه أجزاء منه، وكذا أجزاؤه الباطنة كقلبه مثلا

ورئته وكبده وأمعاؤه أجزاء منه.

فنحن نقول: إن الصفات الذاتية الملازمة للموصوف اللازم هذه صفات ذاتية، فالله -سبحانه وتعالى- له المثل الأعلى، وقد أخبر عن نفسه بأنه متصف بصفات ملازمة له لا يمكن أن تنفك عنه فمن ذلك هاتان الآيتان، صفة الوجه صفة ذاتية لا يمكن أن يكون بلا وجه في وقت من الأوقات، وقد ذكر الله-تعالى- صفة الوجه في عدة آيات في آيات كثيرة منها هذه الآية في آخر سورة الرحمن: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ومنها في آخر سورة القصص ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾ وترد في مواضع كثيرة كقوله-تعالى-: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ وكقوله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ وكقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ ﴾ .

هذه دالة على صفة الوجه، فإذا أثبته أهل السنة فإنهم يقولون: نثبته كما ورد، ولكن لا نخوض في أكثر من ذلك، فلا نقول: إن وجه الله يشتمل على كذا وعلى كذا وعلى كذا على عينين وعلى شفتين لا، بل نثبته كما ورد ولا نخوض في التفاصيل حيث إن ذلك يحتاج إلى إيقاف ويحتاج إلى دليل، هذا هو القول الصحيح.

وأما الأحاديث فقد ورد فيها أيضا كثيرا إثبات صفة الوجه في قوله ﷺ وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وفي الحديث المشهور في الدعاء: اسألك لذة النظر إلى وجهك وفي حديث الحجاب يقول: حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وغير ذلك وهي أحاديث صحيحة مشهورة تلقاها وتقبلها أهل السنة وآمنوا بهذه الصفة كما ذكرها الله لنفسه، وقالوا: هذه صفة كمال، وأما قوله-تعالى- في سورة البقرة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ فهذه تكلم عليها شيخ

الإسلام ابن تيمية وقال: ليست من آيات الصفات، فإن المراد هنا ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: فثم جهة الله التي وجهكم إليها لتصلوا إليها لئلا يستدل بها أهل الحلول أن وجه الله في كل مكان –تعالى الله عن قولهم–.

السلام عليكم ورحمة الله

 والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه .

وأما قوله –تعالى– في سورة البقرة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ فهذه تكلم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: ليست من آيات الصفات، فإن المراد هنا ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: فثم جهة الله التي وجهكم إليها لتصلوا إليها لئلا يستدل بها أهل الحلول أن وجه الله بكل مكان –تعالى الله عن قولهم– ، بل نقول: وجه الله هنا في هذه الآية الجهة التي يوجه العبد إليها ، أي: فثم الوجه الذي وجهكم إليه وأمركم بأن تتوجهوا إليها ، ولا يقال: إن هذا تكلف وإن هذا تأويل ؛ لأن هذا تقتضيه اللغة .

وأما من أنكر صفة الوجه ، جميع المبتدعة ، المعتزلة ومن انضم إليهم والرافضة على عقيدة الاعتزال ، وكذلك الخوارج ومنهم الإباضية ينفون صفة الوجه لله –تعالى– ويفسرونه بالذات ، إذا جاءتهم الآيات التي فيها إثبات الوجه قالوا: المراد الذات ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أي: ذاته ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾ أي: ذاته ، ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ ﴾ أي: ذاته ، و ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ﴾ أي: ذاته.

والجواب: أن هذا وإن كان صحيحا في اللغة أنه يطلق الجزء على الكل لكن لا شك أنها دالة على إثبات صفة الوجه وأنه جزء من الذات ، فإن النفس على الوجه يدل على ثبوته ، والذات تابعة للوجه ويرد عليهم أيضا بالأحاديث التي فيها التصريح بالوجه ، كالحديث الذي فيه: لأحرقت سبحات وجهه إلا رداء الكبرياء على وجهه فإنها دالة على صراحته .

وعلى كل حال نؤمن بإثبات هذه الصفة ولا نكيفها ، ومعلوم أيضا أنها من صفات الكمال ،

وتأولها بعض المتأولين وقالوا: المراد بالوجه عند العرب: الجانب أو ما يعبر عنه بالبعض أو نحو ذلك. يقولون مثلا: وجه هذه المسألة كذا وكذا، أو وجه هذا الجواب كذا وكذا فيحملونه على أنه ما يحفظ منه أو ما يفسر به، ولكن هذا يصعب عليهم تأويله بالأدلة الكثيرة ، ثم الآية الثانية في سورة المائدة قوله -تعالى-: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ فيها إثبات صفة اليدين وهي أيضا صفة ذاتية، ذكرها الله -تعالى- بالتثنية في هذا الموضع، وذكرها بالتثنية في موضع آخر في سورة]ص] ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ وذكرها بصفة الجمع ولكن مع ضمير الجمع ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا ﴾ وبصفة الإفراد ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ ﴿ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ وذكرها بلفظ اليمين في قوله: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ هذا في القرآن.

والسنة متواترة وكثيرة فيها ذكر اليد أو اليدين أو نحو ذلك فكثيرا ما يحلف النبي ﷺ بقوله: ﷺ والذي نفسي بيده ﷺ وفي الحديث وقوله: ﷺ ناصيتي بيدك ماض في حكمك ﷺ ﷺ ناصيتي بيدك ﷺ وكذلك قوله ﷺ ﷺ المقسطون عند الله -تعالى- على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ﷺ .

وهكذا في قوله ﷺ ﷺ يمين الله ملأى لا تغيضها نفقه ﷺ -إلى أن قال:- ﷺ وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع ﷺ وذكر قبضه للمخلوقات: ﷺ يقبض الله السماوات بيمينه ، ويقبض الأرض بيده الأخرى -وفي رواية: "بشماله"-، ثم يهزهما يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟، أين المتكبرون؟ ﷺ والأحاديث كثيرة في ذلك ، أورد كثير منها ابن كثير عند تفسير قوله -تعالى-: ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ في سورة الزمر مما يدل على ثبوت هذه الصفة.

والطريق فيها أيضا الطريق في سائر الصفات ، وهو أننا نثبت لله -تعالى- يدا كما أثبت لنفسه،

ولكن لا نبالغ فنقول: إنها كأيدي المخلوقين ، ورد في بعض الأحاديث ذكر الأصابع: ﴿ إن الله يضع السماوات على إصبع، والأراضين على أصبع، والجبال على إصبع، والماء والثرى على إصبع ، وسائر خلقه على إصبع، ثم يهزهن ﴾ نقتصر أيضا على ذلك .

ولا نقول أيضا: إن هذا مشابه لصفات المخلوقين ولأناملهم وأصابعهم، ولا نقول: إن هذا ضرب مثل كما يقوله النفاة الذين ينكرون هذه الصفات ويجعلونها أمثلة لهيبة المقام ، فيقولون: ذكر اليدين وذكر القبضة، وذكر هز السماوات وهز الأرض إنما هو لتهويل المكان ، ولتهويل الأمر ، ولجلب الفزع والخوف في القلوب، ولاهتمام الناس بهول ذلك اليوم، وإلا فليس هناك قبض وليس هناك هز ، وليس هناك يمين ولا غيرها ، هكذا رأيت في تفسير كثير من الأشاعرة ونحوهم الذين ينكرون هذه الصفات ، ولا شك أن هذا رد للأدلة الواضحة وتكلف في ردها بما لا مجال له.

ومعلوم أن نبي الله ﷺ فصيح يقدر على أن يوضح للناس ما يهمهم وما يعتقدونه، فلو كان الأمر التهويل ، لو كان المراد أن يهول الأمر لأفصح لهم بذلك، فكونه يقول: ﴿ إن الله يقبض السماوات والأراضين، ثم يهزهن ﴾ لا شك أن هذا إخبار بشيء واقع ولا بد ، وما ذاك إلا ليبين أن الرب – سبحانه وتعالى– ذو العظمة وذو الجلال والكبرياء الذي تصغر عنده المخلوقات، الأجرام العلوية والأجرام السفلية ، والمخلوقات كلها مع تباعدها وتنائيها حقيرة وفقيرة وذليلة ومهينة أمام عظمة الباري وجلاله وكبريائه إذا تصور الإنسان عظمة هذه المخلوقات، ثم حقارتها أمام عظمة الرب –سبحانه وتعالى– عظم قدر ربه في قلبه ، وهاب أن يعصيه وأن يخالف أمره واستحضر أنه على كل شيء قدير وأنه لا يتعاظمه شيء وأن جميع المخلوقات هي ملكه وخلقه وتدبيره ، فيكون هذا هو السبب في ذكر الأدلة في عظمة الله –سبحانه وتعالى– حتى قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: ما السماوات السبع والأراضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم أي: حبة الخردل التي هي أصغر من حبة الدخل كما هو معروف .

الله –تعالى– ذكر أنه يقبض السماوات والأرض، وابن عباس ذكر مقدارها في قبضة الرب –سبحانه

وتعالى- ، والحاصل أن الكلام على إثبات اليدين ، بعد ذلك نقول: كيف الجمع؟ ، لماذا ذكر الله اليد بلفظ المفرد؟ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ الجواب أن المراد الجنس جنس اليد ، فإن الملك الحقيقي بيده -سبحانه وتعالى- ، ولماذا ذكرها بلفظ الجمع ؟ ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ المراد التعظيم فإنه ذكر نفسه بلفظ العظمة ، بلفظ الجمع الذي يدل على العظمة ، فإنه واحد -سبحانه- ، و لم يقل: أيديّ ، قال: ﴿ أَيْدِينَا ﴾ و(نا) ضمير الجمع مثل قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ ﴿ خَلَقْنَآ ﴾ (نا) ضمير للجمع والجمع هنا للتعظيم، فكذلك يقال: ﴿ أَيْدِينَا ﴾ للجمع الجمع للتعظيم ، جمع الأيدي وجمع الضمير.

فهذا وجه الإفراد ووجه الجمع ، ويبقى التثنية في هذه الآية ونحوها، فذكرها بالتثنية دليل على أنها مقصودة وأن لله -تعالى- يدين -كما يشاء- ودليله الحديث: ☜ وكلتا يديه يمين مباركة ☝ كما ورد في الحديث فدل على أن العدد مقصود، أن لله يدين كما يشاء ، هذا هو قول أهل السنة .

أما النفاة فماذا يقولون ؟.

تجدون في تفاسير الأشاعرة والمعتزلة ونحوهم لهذه الآيات عجائب من أمرهم، وقد حكى ابن جرير ـــ رحمه الله ـــ عند تفسير هذه الآية في سورة المائدة أقوالا عنهم، وسماهم أهل الجدل لقوله: اختلف أهل الجدل في قوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وذكر القول ذ أن المراد باليد النعمة أو أن المراد باليد القدرة أو أن المراد بذكر اليدين هنا تمثيل للكرم ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ أي: هو كريم وجواد ويعطي ويكثر العطاء يعطي ويكثر العطاء ، وأن العرب تذكر اليدين وبسطهما وليس المراد حقيقة البسط، وإنما المراد صفة العطاء واستدلوا بقوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي: مغلولة عن النفقة ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ أي: تنفق نفقة طائلة.

وفي النهاية قال: والقول الأخير أن اليد صفة من صفات الله، ثم إنه أخذ ينصر هذا القول ويؤيده

وأنه صفة من صفات الله أثبتها -تعالى- لنفسه ، وأثبتها له رسوله، وذكر أن الله -تعالى- خلق آدم بيده في قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وأن تخصيص آدم بيده دليل على أنها اليد التي هي صفة من صفات الله -تعالى- ، وأنه لوكان المراد: خلقت بقدرتي لم يكن لآدم خصوصية، فإن إبليس خلق بقدرة الله وكذلك الشياطين والجن والمخلوقات كلها ، والملائكة والسماوات والأرض كلها خلقت بقدرة الله فلا يكون لآدم ميزة على هذه المخلوقات ، فلما خصه بقوله: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ دل على فضيلة اختص بها ، فأفاد بأن هذا القول هو الأرجح وأنها صفة من صفات الله أثبتها الله لنفسه فلا نخوض في أكثر من ذلك ونتره الله عن أن يكون مشابها للمخلوقات فيما هو من خصائصهم .

نواصل القراءة .

إثبات صفتي النفس والمجيء لله تعالى

" وقوله -تعالى- إخبارا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ وقوله -سبحانه-: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ وقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

أما الآية ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فيها إثبات النفس لله -تعالى- ، والنفس حقا تطلق على الذات ، قال الله -تعالى-: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ على نفسه يعني: على ذاته ، وتقول: جاءني فلان نفسه يعني: تأكيدا حتى لا يتوهم أنه جاءك رسوله أو ابنه ، فإثبات النفس على أنها الذات هذا معروف ويمكن أن قصد عيسى عليه السلام ما في ضميري ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ يعني: ما أسره في نفسي وما أخفيه في قلبي ، وما لا أتكلم به بل أحدث به نفسي خفية ، ﴿ وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فـ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٩﴾ ﴾ وبكل حال هذا دليل على إثبات هذه الصفة، وإذا أطلق عليها أطلقت النفس على الذات أو أطلقت على ما في النفس يعني: ما هو

خفي وما يضمره الإنسان أو يخفيه الرب -تعالى- كان هذا سائغا، وكان دليلا واضحا على إثبات هذه الصفة ، وقد تأولها كثير من المنكرين ، وأنكروا إطلاق النفس على الله -تعالى- مع أنها أطلقت في القرآن في هذه الآيات وما أشبهها ، وكذلك في بعض الأحاديث ، ولكن لا عبرة بهم ، ولا بتأويلاتهم نحن نتقبلها ونكل كيفيتها إلى خالقها ، هذه إثبات صفة النفس .

أما الآية التي بعدها فإثبات صفة المجيء ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ وكذلك: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ومثلها قوله -تعالى- في سورة الأنعام: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴾ .

هذه الآيات مما حصل فيها اختلاف كثير وإنكار كبير للمتأخرين من المتكلمين ، وبالغوا في تأويلها وفي صرفها عن ظاهرها ، فتجدهم ينكرون صفة المجيء وصفة الإتيان ونحو ذلك ، بل قرأت في تفسير بعض المعتزلة والأشاعرة لما أتى على الآيات الأولى من سورة البقرة ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ قال: وأما إتيان الله فقد أجمع المسلمون على أن الله منزه عن المجيء والذهاب؛ لأن هذا من شأن المحدثات والمركبات ، هكذا علل، منزه عن المجيء والذهاب، وسمعت من حكى مناظرة جرت بين سني وبين مبتدع فقال المبتدع: أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقال السني: أنا أومن برب يفعل ما يشاء ، فجعلوا المجيء والذهاب من صفات المحدثات والمركبات كما يقولون ، ونزهوا الرب عن أمثال هذا وجعلوا النزول والمجيء والإتيان الذي ذكره الله -تعالى- أنه زوال عن مكانه وحركة وجعلوا هذا تشبيها بمجيء المخلوق وانتقاله وما أشبه ذلك ، ولكن لا إنكار في شيء من ذلك، فالأحاديث والآيات صريحة وواضحة وليس لنا أن نتدخل في تأويلها ونسعى في تحريفها .

المتأخرون من المتكلمين يقولون في هذه الآيات، آيات المجيء والإتيان ، يقولون: إن فيها قولان: القول الأول ينسبونه للسلف، وهو أنهم يعتقدون أن السلف يسكتون ، ولا يعتقدون فيها مجيئا حقيقيا بل يسكتون عنها ويتركون الكلام فيها ، ويمرونها دون أن يتكلموا أو يفسروها بأي نوع من أنواع

التفسير وإنما يسكتون عنها دون الخوض فيها. يقولون: لا تأويل لها ولا تفسير لها ، ولا نخوض فيها ولا نتكلم فيها ولا ندري ما معناها ولا نبحث في دلالاتها هكذا يزعمون أن السلف على هذه الطريقة ، والقول الثاني تأويلهم لها بأنواع من التأويلات المتكلفة ، وأكثرهم على أن فيها مقدر ، يقدرون فيها فيقولون: جاء أمر ربك ، أو ﴿ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أمر الله ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ أي: أمر ربك .

وكان من جملتهم الكوثري ذاهب الكوثري المصري الذي حقق كثيرا من الكتب وأفسدها، من جملة ما حققه كتاب "الأسماء والصفات" للبيهقي ، فإنه أفسده بتعليقاته عليه ، ولما أتى على هذه الآية قال: إن الله يقول في سورة النحل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ ﴾ وقال: ما دام أن في سورة النحل ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ ﴾ فإنا نقول: كذلك في سورة البقرة: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أمر الله ﴿ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ وكذلك آية الأنعام: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ أي: أمره، وكذلك في سورة الفجر: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي: جاء أمره ، فجعل هذا محمولا على الآية التي في سورة النحل ، وقال: إن القرآن يفسر بعضه بعضا .

ونحن نقول: لا يلزم من إتيان أمر الله في آيات امتناع إتيان الله -تعالى- في آية أخرى ، وإذا أثبتنا لله الإتيان قلنا: يجيء كما يشاء، والأحاديث التي في الشفاعة فيها أن بني آدم يطلبون الشفاعة حتى يأتي الله -تعالى- لفصل القضاء بين عباده ، وقد أخبر النبي ﷺ بأنه 🕮 إذا طلبت منه الشفاعة، فإذا رأى ربه سجد وأطال السجود فيقول الله له: ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع 🕮 وذلك دليل على أن الله -تعالى- يجيء لفصل القضاء مجيئا يليق بجلاله ولا يلزم من ذلك محدثات ولا يلزم من ذلك مركبات ، نعتقد هذه الصفة ولا نقيس الإتيان بمخلوق من مخلوقاته يترل الله -تعالى- ويجيء كما يشاء ويفصل بين عباده ولا ينافي ذلك عظمته وجلاله وكبريائه وصغر المخلوقات بالنسبة إليه كل ذلك لا ينافيه ، وما ذاك إلا أنا لا نحيط به علما ولا نكيفه ولا نكيف أية صفه هو عليها هذا هو القول الحق .

وأما الآيات التي فيها إطلاق إتيان الأمر أو المراد به الأمر كقوله في سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ ﴾ ففي هذه الآية أتاهم الله يعني: بعذابه أن المراد أتاهم بالعذاب وذلك؛ لأنه معروف أن الله أرسل إليهم عذابا وهو الرعب الذي قذفه في قلوبهم ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم ﴾ .

الأدلة على إثبات الصفات الفعلية لله تعالى من القرآن

وقوله -تعالى-: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ وقوله -تعالى-: ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وقوله في الكفار: ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ وقوله -تعالى-: ﴿ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ ﴾ وقوله -تعالى-: ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾ .

ذكرنا أن صفات الله -تعالى- صفات ذاتية وصفات فعلية ، هذه الآيات اشتملت على الصفات الفعلية وهي التي يتصف بها إذا شاء ولا تكون ملازمة للذات دائما، بل يتصف بها إذا شاء ويتصف بضدها أو بغيرها؛ لأنهما ضدان ، فإننا في هذه الآيات الرضا والغضب ، في آيات كثيرة ذكر الرضا ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ في عدة سور وكذا قوله: ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ودائما عندما نذكر للصحابة نترضى عنهم فنقول: -رضي الله عنهم- عملا بقوله -تعالى-: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ

وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ .

رضا الله –تعالى– صفة من صفاته ولكنها صفة فعل، يرضى إذا شاء ويغضب إذا شاء ، ذكر الله أيضا الغضب في عدة آيات كقوله –تعالى–: ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ ﴾ وكقوله –تعالى–: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ فيمن قتل مؤمنا متعمدا ، وكقوله للمنافقين: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾ ﴾ وفي آيات كثيرة ، وفي حديث الشفاعة: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فأثبت أن هذا غضب متجدد وأنه لا يكون بعد هذا اليوم مثله ، فدل على أن الغضب صفة فعل ، يغضب على من يشاء ويرضى عن من يشاء ، فعلى هذا الصفتان متضادتان لا يمكن أن يرضى ويغضب في حالة واحدة على شخص واحد ، لا يقال: هذا ﷺ وغضب عليه في حالة واحدة، بل رضي عن هذا وغضب عن هذا.

الرضا والغضب صفتا فعل وهذه الصفات التي ذكرت في هذه الآيات كلها من صفات الفعل كقوله –تعالى–: ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾ صفة الكراهية ﴿ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ ﴾ أي: صفة السخط حيث أثبته لنفسه، وصفة السخط وصفة الكراهة ، وفي آيات أخرى يذكر الله أنهم باءوا ﴿ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ونحو ذلك ، والآيات التي فيها صفات الفعل كثيرة مثل قوله: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ صفة المخادعة ، ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ صفة الاستهزاء ، وكذلك قوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أي: صفة الأسف ، وكذا قوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ ﴾ .

صفة المكر والكيد وأشباهها ، كلها صفات فعل نثبتها لله كما يشاء ونقول: إنه يسخط على من يشاء ويرضى عمن يشاء ، ومثلها أيضا صفات المحبة ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وصفة الرحمة في آيات كثيرة

ومنها اشتق اسمه الرحمن ووصف نفسه بالرحمة، وقال: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ﴾ ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

طريقة أهل السنة في هذه الصفات إثباتها ونفي النقص عنها وذلك؛ لأن الله أخبر بها والله لا يخبر إلا بما هو حق، ولو كانت قد تنكر أو تضل في حق الآدمي ، مشهور الحديث الذي في الصحيح عن أبي هريرة: ﷺ قال رجل: يا رسول الله: أوصني قال: لا تغضب فردد مرارا قال: لا تغضب ﷺ فنهاه عن الغضب، والله -تعالى- يغضب ولكنه يغضب على من يستحق الغضب ، وكذلك مثله السخط ، السخط والكراهية مذمومة، ولكن إذا كانت على من يستحق ذلك فهي صفة حق وصفة ثبوتية أثبتها الله لنفسه .

وقد كثرت التأويلات من المبتدعة لهذه الصفات التي ينكرونها ، فيقول بعضهم: كيف يستهزئ الله مع أن الاستهزاء جهل ؟ كيف يكون الاستهزاء جهلا ؟ استدلوا بقوله -تعالى- عن موسى قال: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ فإذا كان موسى يقول: إن الاستهزاء والهزء أنه جهل فكيف الله -تعالى- يقول: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ وكذلك المكر والكيد والمخادعة والمقت والأسف وما أشبهها هذه مذمومة تذمم الإنسان إذا صدرت منه ، فإن الله نهى عن نهانا بقوله: ﴿ تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا ﴾ فكيف الله -تعالى- وصف نفسه بالأسى والأسف ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ وأشباه ذلك ؟.

فالجواب: أنها تكون ممدوحة إذا كانت في مقابلة فعلهم ، الله -تعالى- قال: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ فهذا مجازاة لهم، مخادعة أي: جزاء للمخادعة ، ولما قال: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ لما أنهم استهزئوا قال: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ولما قالوا: ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾ قال: ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ ولما قالوا: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا ﴾ قال: ﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ فيكون هذا من باب المقابلة

لفعلهم بمثله ، ولكن لا يكون فعل الله مساويا لفعل العبد بل صفات الله المذكورة صفات أثبتها لنفسه وهي لا تكون إلا على من هو أهل ولها آثارها، فإذا قلت: ما هو أثر الغضب ؟.

الجواب: أنه إذا غضب فإنه يعذب من يغضب عليه ، وما هو أثر الرضا أيضا ؟ إذا رضي فإنه ينعم من رضي عنه ويثيبه ، أذكر في حديث قدسي، وإن كان ضعيفا لكنه يكثر الاستشهاد به ويكثر الاستشهاد به للاستئناس لفظه: 🕮 إذا أوتيت رضيت وإذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد 🕮 على تقدير أن هذا المستعمل أنه يستشهد به فيه إثبات أثر الغضب وأثر الرضا ، ولو لم يأتي في هذا الحديث لكن ذلك من مقتضياته ، فأنت تقول للإنسان الذي تنصحه: لا تفعل ما يغضب الله هذا الفعل يغضب الله هو يعرف أن الله إذا غضب عاقب ، اتبع ما يرضي الله، عليك بما يرضى به عنك ربك يعرف إنه إذا ﷻ أثابه ، هو يحرص على الفعل الذي يكون به ربه راضيا عنه ، ويبتعد عن الفعل الذي يكون الرب عليه غضبان؛ لأنه يعرف أن في هذا الغضب عذاب وفي الرضا ثواب ، إذن فلهما آثار في الدنيا وفي الآخرة ، ويقال كذلك أيضا في الصفات الأخرى ، في صفة السخط وفي صفة الكراهية وفي صفة المقت وفي صفة الأسف وفي صفة الكيد ، يقال: إن الله يمكر بهؤلاء يعني: يعطيهم، ثم يعطيهم، ثم يأخذهم على حين غفلة فكأنه مكر بهم .

أذكر في بعض الأحاديث مر بنا لما ذكر بعض تمادي بعض الكفار والعصاة قال: مكر بالقوم ورب الكعبة، يعني: خدعوا بما وسع عليهم وما توسعوا فيه مما أوقعهم في الذنوب إلى أن حصل لهم ما حصل من نزول العذاب بهم بغتة وهم لا يشعرون .

يتبقى في هذه الآيات أنها دالة على صفات فعلية، وأنها غير مكيفة وأن الذين أنكروها وبالغوا في إنكارها ليس معهم إلا أدلة عقلية ، أجاب عنها شيخ الإسلام وغيره، لعلكم قرأتم جوابه لإفحامهم في أول "التدمرية" لما قال لهم: أنتم تعترفون بالإرادة والإرادة ميل النفس إلى المراد وتنكرون الغضب، وتقولون: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فلماذا فرقتم بينهما ؟ فقالوا: ما نفسر الإرادة بأنها ميل

القلب إلى المراد، فإن هذه إرادة المخلوق ، قال: فكيف تفسرون الغضب بأنه غليان دم القلب لطلب الانتقام، فإن هذا غضب المخلوق فقد فرقتم بين متماثلين ؟ أثبتم الإرادة ونفيتم الغضب ، وكلاهما يفسر عندكم بهذا التفسير الذي هو من خصائص المخلوقين فانقطعت بذلك حجتهم .

الأدلة على إثبات الصفات الفعلية لله تعالى من السنة

ومن السنة قوله ﷺ ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا وقوله: يعجب ربك من شاب ليست له صبوة وقوله: يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر، ثم يدخلان الجنة فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت روايته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه لا شبيه له ولا نظير ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ وكل ما يخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله -تعالى- بخلافه .

هذه الأحاديث من أحاديث الصفات الفعلية ، أحاديث النزول، ذكر ابن كثير وغيره أنها متواترة، ويذكر أن الذين رووها نحو عشرة من الصحابة أو أكثر، ومن أراد الاطلاع عليها، أكثرها مروي في كتاب ابن القيم الموصوف "بالصواعق المرسلة" وكذلك في كتاب الحكمي كتاب حافظ الحكمي "معارج القبول" ، وتجد لها أيضا في أمهات الكتب أحاديث النزول بلفظ نزل أو بلفظ ينزل ، أو بلفظ هبط أو يهبط أو نحو ذلك ، ومعلوم أن النزول لا يكون إلا من أعلى، فهي دالة على أن الرب -تعالى- موصوف بصفة العلو وأنها صفة ذاتية بجميع أنواع العلو كما سيأتي، وأما النزول فإنها صفة فعلية ينزل إذا شاء.

والحديث في أنه ينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر وأنه يقول: من يدعوني فأستجيب ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له يتودد إلى عباده وهو عنهم غني ، وإذا آمنا بهذه الصفة فإننا نكل كيفيتها إلى خالقها إلى الرب الذي أثبتها لنفسه ولا نتقعر في ذلك ولا نبالغ في الإنكار ، فنقول: ينزل كما يشاء ، فإذا قالوا: إن النزول يستدعي حركة ، إن النزول يستدعي أن يخلو منه العرش ، إن النزول يستدعي أن يكون بعض المخلوقات فوقه ، إن النزول يستدعي أن يكون محصورا، قلنا: سبحان الله وبحمده، تعالى الله عن أن تدركه الظنون وأن تتخيله الأذهان وأن تمثله الأوهام –تعالى الله عن ذلك– ، بل الرب –تعالى– ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ونزوله يليق به ولا يماثل أحدا من خلقه في هذه الصفة .

وقد تكلم على هذا الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ في رسالة مستقلة بعنوان "شرح حديث النزول" ، رسالة قد تكون تقرب من ستين صفحة أو أكثر في بعض الطبعات ، كلها على هذا الحديث ، وما ذاك إلا لكثرة الخوض فيه ، رفع إليه هذا السؤال، وكان من جملة ما أشكل على السائل الذي أنكره قال: إن الليل يختلف باختلاف البلاد فقد يكون ثلث الليل في هذا البلد هو ضحى ونهار في بلد أخرى ، فيلزم ذلك أن يكون النزول مستمرا عند كل أهل جهة في ثلث ليلهم.

أجاب شيخ الإسلام بأنه لا مانع؛ لأن الله –تعالى– لا يشغله شأن عن شأن ، لا مانع أن ينزل عند هؤلاء وهؤلاء كما يشاء ، وأيضا يمكن أن النزول يختص ببلاد المسلمين وبكل حال نثبت هذه الصفة ولا نردها ، لماذا ؟ لأن الله –تعالى– على كل شيء قدير؛ ولأن الذين نقلوها هم الذين نقلوا جميع الأحكام فإذا رددناها لزم أن نطعن فيهم وفيما نقلوه ، ونخطئهم ، ولهذا يقول أبو الخطاب الكلوزاني في عقيدته:

قالـوا: النزول فقلـت ناقلـه لنـا ... قـوم همـوا نقلـوا شـريعة أحمـد

قـالوا: فكـيف نزولـه فأجبتـهم: ... لـم ينقـل التكييف لي في مسـند

يقول: ناقلوه لنا الذين نقلوا الشريعة ، فكيف نرد هذا النقل ونقبل أمثاله وعشرات الأمثال له ، لمجرد أن العقل أنكر هذا في زعمكم مع أنه زعم خاطئ؟ وإذا أثبتناه فلا نخوض فيما وراء ذلك كما تقدم يعني: أنا لا نقول: إن نزوله يشبه نزول الإنسان من كذا وكذا فإن هذا خطأ ، وخطّأ العلماء النقل الذي ذكره ابن بطوطة في رحلته حيث ذكر أنه وصل إلى دمشق يقول: فوجدت فيها ابن تيمية وإذا هو على المنبر يتكلم على النزول فقال: إن الله ينزل كنزولي هذا ، يعني: من المنبر ، قالوا: هذا كذب على ابن تيمية من ابن بطوطة ، ابن تيمية قد تكلم على النزول في هذا الحديث و لم يقل: إنه كنزوله من المنبر أو كنزوله من سطح أو نحو ذلك ، بل قال: ينزل كما يشاء ،، ثم خطئوه أيضا وقالوا: إن ابن بطوطة لما أتى إلى دمشق كان ابن تيمية قد سجن في القلعة فكيف رآه؟ مما يدل على أنه كذب هذه الكذبة ، أو تلقاها من بعض الكاذبين ، فلا يقال: إن ابن تيمية يمثل النزول بنزول الإنسان وحاشاه من ذلك .

الحديث الثاني حديث العجب: 🕮 عجب ربك من الشاب ليست له صبوة 🕮 هذا الحديث مروي في المسند وفي بعض السنن، وهو مما يستشهد به وإسناده حسن ، ومعناه: أن الشاب الذي في سن الشباب عادة يكون له ميل إلى اللهو وميل إلى الصبا وميل إلى اللعب ، فإذا من الله على بعض الشباب وأقبلوا على العلم وعلى الدين وعلى العبادة وصدوا عن اللهو واللعب وعما يوجبه الصبا فإن ذلك غاية العجب ، وذلك فضل الله عليه ، 🕮 عجب ربك من الشاب ليست له صبوة 🕮 أي: ميل إلى الصبا وإلى اللهو ، والشاهد من الحديث إثبات العجب ، أن الله يعجب، وهي صفة فعليه لا نكيفها بل نقول: هي كما يشاء الله -تعالى- .

وقد قرأ بعض القراء السبعة قوله -تعالى- في سورة الصافات: " بل عجبتُ ويسخرون" بضم التاء

لإسناد العجب إلى الله ، وهي قراءة سبعية ، لما ذكرها ابن جرير في التفسير قال: مع قراءة 🕮 بل عجبت 🕮 هما قراءتان مستفيضتان في قراءة المسلمين فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، ولو قال قائل: بأيتهما نزل القرآن قلنا: نزل بهما جميعا ، ففي هذه القراءة أن الله يعجب: " بل عجبتُ " وكذلك في سورة الرعد ﴿ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ ﴾ أخبر الله أنه عجب ، يعني: أن الله يعجب منهم .

ينكر كثير من الأشعرية ونحوهم صفة العجب أخبرني بعض الزملاء أنه كان يدرس على بعض الأشاعرة ، ويعرب له قوله -تعالى- في سورة عبس: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ فهذا الزميل كان قد تلقى عن مشايخه أن: " ما " تعجبية ، ما أكثر الماء ، تعجبية ، فأنكر ذلك الأشعري وقال: لا نثبت صفة العجب ولا نقول: إنها تعجبية ، ولكنا نقول: إنها نافية أو أنها ناهية أو ما أشبه ذلك ، لماذا لا تثبت؟ قال: العليم الخبير لا يعجب ، لا يجوز أن يوصف الله بالعجب؛ لأن العجب إنما هو انتباه شيء في الإنسان وفي القلب يورث دهشة أو نحوها، ترافعوا إلى بعض مشايخ أهل السنة ، الظاهر ذلك الأشعري رجع ظاهرا، فقال: نعم. نثبت عجبا لا يشبه عجب المخلوقين ، وفي كل حال فهذه من الصفات الفعلية .

ومثلها أيضا حديث آخر في السنن ، وهو قوله ﷺ 🕮 عجب ربك من قنوط عباده وقرب غِيَره ... -وفي بعض الروايات- ... وقرب حيره ينظر إليكم آزلين قانطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب ، أو فرحكم قريب 🕮 فإن في هذا الحديث إثبات صفة العجب كما أن فيه إثبات صفة الضحك ، والحديث الذي عندنا أيضا فيه إثبات صفة الضحك 🕮 يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة قالوا: كيف ذلك ؟ قال: يقاتل أحدهما في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد 🕮 فكلاهما قتل شهيدا ، فكلاهما يدخل الجنة ، القاتل والمقتول ، هذا مما يورث العجب ، يضحك الله إلى ذلك ، نثبت هذه الصفة صفة الضحك ، وننفي عنها تشبيهها بما يختص بالمخلوقين، ونقول: إن الله -تعالى- أثبتها لنفسه ونحن نثبتها دون أن نبالغ في التمثيل، أو نقول عنها ما

ليس بحق، ومعلوم أن صفة المخلوق تناسبه الضحك للمخلوق الذي هو قهقهة وصوت يكون عن شيء يعجبه أو يفرحه أو يسره ، ولكن الرب –تعالى– يضحك كما يشاء بصفة لا نعلمها ولا نعلم كيفيتها.

وفي الحديث الطويل الذي ذكره ابن القيم في "زاد المعاد" ، وأشار إلى أن علامة الصحة عليه ، وحديث أبي رزين العقيلي لما قال في أثناء الحديث: ﴿ يضحك الله من قوله فقال أبو رزين: أو يضحك ربنا ؟ قال: نعم ، قال: لن نعدم خيرا من رب يضحك ﴾ أقره النبي ﷺ على ذلك .

وفي كل حال هذه من الصفات الفعلية، صفة الضحك لله –تعالى– كما يشاء ، وإذا عرفنا هذه الصفات التي وردت في هذه الأحاديث وفي هذه الآيات وهي كثيرة ، فموقف أهل السنة منها أنهم يقولون: آمنا بها كما جاءت ، نقرها ونمرها ونثبت حقيقتها ولا نرد شيئا منها ، ولا نتكلف فيها ، ولا نقول: إنها صفات نقص، والرب منزه عنها ، ولا نقول: إنها تستلزم كذا وكذا ، تستلزم أنه يتجدد لله شيء أو ما أشبه ذلك ، يقول هذا الكثير من النفاة وأهل الاعتزال ونحوهم ، فإذا أُسندت إليهم أو هذه الصفات يقولون: إن هذا يستلزم حلول الحوادث بذات الله ، حلول الحوادث ممتنع ـــ تعالى– الله أن تحل به الحوادث ، وليس في هذا شيء من الحوادث بل الله يفعل ما يشاء ، ويضحك إذا يشاء ويرضى إذا يشاء ويغضب إذا يشاء ويفعل ما يشاء دون أن يكون في شيء من ذلك نقص أو نسبة نقص إلى الله –سبحانه– .

س: هذا السائل يقول: هل يصح أن يقال: إن العينين في الوجه لله ـــ –تعالى– ـــ وأن الأصابع في اليد، وهكذا أم هذا من التشبيه ؟ .

ج: لم يرد في ذلك ما يعتمد عليه، ولكن بالنسبة للأصابع ورد الحديث الذي فيه أن ذلك اليهودي جاء إلى النبي ﷺ وأشار بيده، أشار بأصابعه، وقال: ﴿ إنا وجدنا في كتبنا أن الله يضع السماوات على ذه والأراضين على ذه والجبال على ذه والمياه والبحار على ذه والمخلوقات على ذه وكل ذلك يشير إلى أصابعه ، وأن النبي ﷺ قرأ بعد ذلك الآية: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ وضحك تصديقا لقول الحبر ﷺ فإذا أقره على ذلك أفاد بأن الأصابع في اليد، ولكن مع ذلك لا يلزم أن تكون مثل أصابع المخلوقين في أناملها وفي طولها وفي كذا وكذا ، بل إنما فيه إثبات اليد وفيه إثبات الأصابع فيها.

وأما الوجه فأثبت الله -تعالى- الوجه وأثبت النظر له -سبحانه- والرؤية في قوله: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ وما أشبه ذلك ، فنثبتها كما أثبتها الله وأثبتها أيضا رسوله، وأثبت لربه -سبحانه- كمال الصفات حتى قال في حديث الدجال: ﷺ إن ربكم ليس بأعور ﷺ فأخذ من ذلك إثبات صفة العينيين كما يشاء الله .

س: وهذا يقول: يوجد حديث ورد فيه ما نصه لمسلم عن ابن عمر مرفوعا: ﷺ يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟، ثم يطوي الأراضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ ﷺ .

ج: التساؤل في إثبات لفظ الشمال لله كيف يمكن الجمع بينه وبين الراوية وبين حديث: ﷺ المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ﷺ يعني: أن في هذا الحديث: ﷺ كلتا يديه يمين ﷺ وفي الحديث الثاني: ﷺ يطويهن بشماله ﷺ .

يظهر لي الجمع بينهما أن المراد بالشمال ما تقابل اليمين، فإن ما يقابل اليمين اسمه شمال، ويظهر من قوله: ﷺ وكلتا يديه يمين ﷺ أن المراد أنها يمين في البركة ، وفي الخير، فإن اليُمن أصله كثرة الخير أصله البركة والخير ، فعلى هذا لا مخالفة بينهما ﷺ كلتا يديه يمين ﷺ مباركة في كثرة الخير ، ولله شمال تقابل اليمين، وليس في ذلك نقص .

س:وهذا يقول: ورد الحديث: ﷺ لأحرقت سبحات وجهه ﷺ ما معنى قوله: سبحات ؟ .

ج: نحن لا نخوض في كيفيتها، معروف أن السبحات هي أسارير الوجه ، عندما يكون الإنسان مستنيرا ومشرقا وجهه يكون في وجهه أسارير وتلك الأسارير قد يكون فيها ضياء إذا كان مثلا فرحا

مسرورا، فالأسارير التي في جبينه تسمى سبحات –ولله المثل الأعلى– أثبت الرسول له هذه السبحات ، ونتوقف عندها .

س: يقول: كيف نوفق بين ما نقل عن ابن تيمية في الفتاوى في آية البقرة ﴿ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾ وأنها لا تدل على صفة الوجه وما ذكر هو في بيان تلبيس الجهمية من أنها تدل على صفة الوجه، وما ذكره ابن القيم كذلك من أنها تدل على الوجه في "مختصر الصواعق" فهل يصح أن يقال: إن الوجه جزء من ذات الله ؟. .

ج:سؤاله الأول: يعني: المشهور أن آية البقرة: ﴿ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾ قد أخذها بعض أهل الوحدة والاتحاد دليل على أن الله في كل مكان؛ لأنهم قالوا: إذا توجه الإنسان فوجه الله هنا، ووجه الله هنا، ووجه الله هنا، فقال ابن تيمية: في مواضع من "المجموع" إن هذه الآية ليست من آيات الصفات، وإنما المراد وجه الله يعني: الجهة التي يوجه العبد إليها أو يأمل في توجهه إليها ، هكذا الذي نفهم ، أما في تلبيس الجهمية ما أذكر أنه قال ذلك، وإن كان قال ذلك فيمكن إنه قال: إنها دالة على إثبات صفة الوجه باللزوم، ولكن يكون معناها أنها دالة على صفة الوجه وعلى صفة الجهات الأخرى ، والوجه لا شك انه جزء من الذات في حق الإنسان، وكذلك في حق الله –تعالى– أنه من ذاته ، وجه الله من ذاته .

س:وهذا يقول: هناك منشورات تدخل المسجد مقتضاها ترويج التجارة، وتخفيضات لكتب علمية أو أشرطة سمعية ومذابح تبيع اللحم المذبوح على الطريقة الإسلامية؟ .

ج: لا يجوز أن تكون في داخل المسجد إذا كان القصد منها الدعاية إلى التجارة وإلى ترويج البضائع ونحوها ، إن أرادوا ترويجها ينشرونها في خارج المسجد في حيطان المسجد الخارجية، أما في داخل المسجد فلا يجوز؛ لأن ذلك دعاية إلى ترويج البضائع، والنبي ﷺ قد نهى عن البيع والشراء في المسجد وقال: 🕮 إذا رأيتم من يبيع ويشتري في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك 🕮 .

س:هذا يقول: نقل بعضهم عن شيخ الإسلام ابن تيمية الجزء الثاني من كتاب "درء تعارض العقل

والنقل" أنه قال بعض السلف: إنهم يثبتون مع مجيء الله وإتيانه حركة، ومنهم إسحاق الحربي وغيره، وفي المسألة خلاف .

ج:لا عبرة بذلك ، في كل حال إذا قالوا ذلك فيمكن أنهم قالوا: حركة تناسبه ولا يلزم من الإتيان حلول الحوادث والتغيرات التي هي محظورة عند الأشعرية ونحوهم .

س:وهذا يقول: هل يجوز الإشارة إلى آيات الصفات كأن يقول: يضع الجبار قدمه في النار ويشير إلى قدمه، أو يطوي السماوات بقبضته ويشير بيده ؟.

ج:قد يجوز ذلك مع من يعتقد عدم التمثيل، وأما إذا خيف أنه يفهم منه تمثيل وتشبيه فلا يجوز، ودليله ما ذكرنا في الحديث الذي فيه أن اليهودي أشار إلى أصابعه: ﷺ يضع السماوات على ذه والجبال على ذه ...إلخ ﷺ وأن النبي ﷺ أقره على ذلك، وقرأ الآية، والأولى أن تقرأ الأحاديث دون أن يشار إلى ذلك إذا كان يتعلق بالصفات ، وسمعت أن بعض الشراح وبعض الوعاظ استدل في حديثه أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، وأنه أشار بأصبعيه، قال: بأصبعين وأشار بأصابعه ، وأنا لا أستحب ذلك، بل إذا أراد التحقيق فيقول: أصبعين كما يشاء ، إذا أشار بيديه كأنه بأصابعه فكأنه يشبه أصابعه بأصابع الرب -تعالى- .

س:يقول: هل التوسل بدعاء الرجل الصالح يقدح في توكل العبد على الله ؟ .

ج: ما يقدح إذا كان ذلك الرجل حيا ، الرجل الصالح تطلب منه أن يدعو لك ويستغفر لك فلا يقدح في التوحيد ، وأما إذا كان ميتا فلا تطلب منه أن يدعوا، تتوسل به فإن ذلك من الشرك .

س:واما هذا يقول: يستنكر حديث: ﷺ يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة ﷺ أن في سنده ابن لهيعة .

ج:هذا الحديث حسنه كثير من العلماء، وابن لهيعة ولو كان فيه مقال، لكن يروي عن الإمام أحمد كثيرا مع تشدده ومع تثبته، وكأنهم يقولون: إنه ثقة وثبت وكان يعتمد على كتب له ولكنها احترقت كتبه فوقع في حفظه شيء من الخلل، وفي أحاديثه التي رواها شيء من الخطأ ولكن لا تردوا كل أحاديثه

.

س:هذا يقول: ما تفسير السلف الصالح رضوان الله عليهم لقوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ فإن بعض الطوائف من أهل هذه البلاد تقول: إن كل صفاته هالكة إلا الوجه ، ومن ثم يستدلون أن صفاته مخلوقة فهي تبلى كما تبلى كل المخلوقات .

ج:لا يلزم ذلك ولا يجوز، بل وجه الله –تعالى– صفة من صفاته وجزء من ذاته وكل صفاته لا يأتي عليها التغير ، فلا يقال: إنها تفنى ، –تعالى– الله عن ذلك، فإذا كان وجهه باقيا ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ فكذلك بقية صفاته التي هي من ذاته ، ونقف عند هذا، والله أعلم وصلى الله على محمد .

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه .

قرأنا في الليلة الماضية بعض الصفات الفعلية ، كصفة الغضب وصفة الرضا وصفة الكراهية وصفة السخط وصفة الرحمة وصفة المحبة، وما يلحق بها ، وعرفنا أن هذه الصفات تثبت لله –تعالى– كما وردت، ولا يجوز صرفها وتأويلها وتحريفها ، كما تفعله النفاة، فمثلا المعتزلة ، يفسرونها بالعذاب أو بالثواب ، فيقولون: غضبه عقابه ورحمته ثوابه ، أو غضبه النار ورحمته الجنة ، وأما الأشاعرة فيفسرونها بالإرادة فيقولون: غضبه إرادة الانتقام ومحبته إرادة الإنعام، هكذا يقولون .

قد ذكرنا أنه يلزمهم في الإرادة مثل ما لزمهم أو مثل ما ألزمونا في الغضب والرضا ، فإذا أنكروا علينا، فقالوا: تصفون الله بالغضب والغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا لا يقوم إلا بمخلوق قلنا: تصفونه أنتم بالإرادة إرادة الانتقام ، والإرادة إنما هي ميل القلب إلى ما يريد أو ميل القلب إلى نيل المراد ، فإذا قالوا: هذه إرادة المخلوق قلنا: وهذا غضب المخلوق ، فالأولى لكم أن تفسروه بغضب يليق بالله وبإرادة تليق بالله، ورحمة ومحبة تليق بالله وأنها صفات حقيقية أثبتها الله لنفسه ، وتقولون إن لها لوازم ، فإنه إذا غضب فإن المغضوب عليهم يستحقون العذاب ، وإذا رضي فالمرضي عنهم من أهل

الثواب ، وهكذا يقال في بقية الصفات ، ونقرأ الليلة في آيات العلو ونحوها ، في الليلتين القادمتين -إن شاء الله- في صفة الكلام حيث إنه أطال على صفة الكلام مطلقا، وعلى صفة أن القرآن كلام الله ، كذلك أيضا في الليلة التي بعدها لعل ما نقرأ في إثبات الرؤية، وفي الليلة التي بعدها في القضاء والقدر، وهكذا نواصل إلى أن نكمل -إن شاء الله- في هذه الدورة .

والآن نواصل القراءة.

صفات الله تعالى حقيقية من غير تشبيه بصفات المخلوقين

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال -رحمه الله -تعالى-: فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت روايته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله -سبحانه- لا شبيه له ولا نظير: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ وكل ما يخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله -تعالى- بخلافه .

الأحاديث التي في الصفات والآيات يعني: جئنا نوعا منها يسيرا، أخبر أن هذا ونحوه دلت عليه النصوص التي هي ثابتة يقينا من الأحاديث التي هي أحاديث صحيحة كحديث النزول ونحوه ، ومن الآيات، هذه النصوص نؤمن بها ونتقبلها ونشهد بصحتها ونثبتها ، نثبتها صفات لله -تعالى- يقينية، صفات حقيقية ، ولكن لا نكيفها ولا نمثلها بصفات المخلوقين، بل نتره الرب -تعالى- عن سمات المخلوقين وعن صفات المحدثين ، والصفات والسمات متقاربة، الصفة هي ما يمكن ينعت به المنعوت؛ ولذلك يقولون في النعت: إنه صفة ، وأما السمة فهي العلامة ومنها اشتقاق الوسم ، الوسم في الدابة ، يقال: وسمت الدابة سمة.

فالسمات هي العلامات الله -تعالى- يتره عن صفات المخلوقين وعن سمات المحدثين، ومعلوم أن

المخلوقين محدثون ، أن المخلوق حادث بعد أن كان معدوما وأنه يأتي عليه العدم ، كان معدوما، ثم وجد ثم يعدم ، قال -تعالى-: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ فإذا أتى عليه العدم دل على نقصه فلا يشبه به الخالق الذي لا يأتي عليه العدم: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ .

فهذه الصفات نتقبلها ، ولا ننكر شيئا منها ولا نرده، وكذلك نتوقف عندها فلا نزيد من قبل أنفسنا شيئا ، وإذا أثبتناها لم نشبهها بصفات العبد فنستحضر هذه الآية التي في سورة الشورى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ فقد تكررت هذه الآية التي فيها رد على النفاة ورد على المشبهة ، ثم ذكر أنه كل ما خطر بالبال وكل ما دار في الخيال فإن الرب بخلافه، كل ما تصوره المتصور أو تخيله في ذهنه أو خطر بباله من الهيئات أو الكيفيات أو الصفات فإن الله -تعالى- بخلاف ذلك ، ولعل الدليل على ذلك قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ فإذا كانوا لا يحيطون به علما، فإنهم لو فكروا وقدروا ونظروا وظنوا وحدسوا ، وتخيلوا أن الله -تعالى- على هذه الهيئة أو على هذه الصفة فإن كل ذلك ليس بصواب والله بخلاف ذلك ، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

نقرأ .

إثبات صفة العلو لله تعالى

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ وقول النبي ﷺ ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمه وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء قال: أعتقها فإنها مؤمنة رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة .

قلنا: إن هذا ابتداء في صفة العلو وهي من الصفات الذاتية، ومن الصفات التي كثر فيها النزاع وكثر فيها المخالف، وطال فيها الكلام والجدال بين أهل السنة وبين المبتدعة، وأنكرها أغلب الأشاعرة أنكروها ، وكذلك المعتزلة ، غالب الفرق الضالة ، وما ذاك إلا أنه في زعمهم، أن إثبات صفة العلو يستلزم التحديد ، أو يستلزم التجسيم ، ويستلزم التحيز وهم يستعظمون ذلك ، يستعظمون أن يكون الله في حيز أو في جهة، أو أن يكون الرب موصوفا بجهة أنه في هذه الصفة ، يخيل إليهم أنه إذا وصف بذلك أنه محصور وأن جهة تحويه أو نحو ذلك ، ونحن نقول: إنه أثبت لنفسه هذه الصفة، ولا يلزم من ذلك ما تخيلوه بل هو فوق العباد كلهم ، ومع ذلك لا تحويه الجهة التي يشار إليها ولا تحصره ، وليس هناك محذور من إثبات هذه الجهة أو هذه الصفة .

الدليل الأول : قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ ذكر العلماء أن صفة العلو دل عليها العقل، وصفة الاستواء دل عليها السمع ، العقل والفطرة تضطر كلَّ عاقل إلى أن يطلب ربه من فوقه ، إذا دعا الله –تعالى– فإنه يجد من قلبه ارتفاعا ونظرا إلى العلو لا يلتفت يمنة ويسرة ، ولا يطلب عن يمينه ولا عن يساره ولا تحته ولا أمامه ولا خلفه، بل فطرته وعقله يضطره إلى أن يرفع يديه ويرفع نظره ويرفع قلبه ، ويستحضر أن ربه فوقه، فهذه الفطرة فطرة عقلية لا يستطيع أحد أن يجحدها ، بل ذكروا أنها حتى في البهائم، إذا أجدبت فإنها ترفع رءوسها إلى السماء تستسقي كما قاله بعضهم، بل إنها فطرة حتى في الجاهلية كما ذكر ذلك ابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية"، قال: إنها مقالة معروفة حتى عند الجاهلية في قول بعضهم: "إذا كان ربي في السماء قضاها" .

وبكل حال فصفة العلو صفة ذاتية، ثم هي أيضا صفة ثابتة أدلتها متواترة لا مجال لإنكارها إلا مع المكابرة والمعاندة ، وقد ذكر العلماء أن الأدلة عليها كثيرة وحصروها في واحد وعشرين نوعا، وبعض الأنواع أفراده قد تصل إلى عشرين دليلا أو أكثر، وقد يصير مجموع الأفراد إلى ألف دليل ، مما يكون سببا في الاضطرار إلى الإقرار بهذه الصفة ، والذي ذكرها واحدا وعشرين نوعا ابن القيم في منظومته "النونية" الكافية الشافية ، ولما قسمها إلى واحد وعشرين نوعا بدأ بآيات الاستواء التي هي:

سبع أتت في محكم القرآن
وكذلك اطردت بلا لام كانت بمعنى اللام في الأذهان
ولو الباقي عليها وهو ذو إمكان
لأتت بها في موضع كي يحمل

أي: أن آيات الاستواء وردت في سبعة مواضع في سورة الأعراف ، وفي سورة يونس وفي سورة الرعد، وفي سورة طه وفي سورة الفرقان وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد، كلها ذكر فيها الاستواء .

السلام عليكم ورحمة الله .

ـ الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه .

فصفة العلو صفة ذاتية، ثم هي أيضا صفة ثابتة أدلتها متواترة لا مجال لإنكارها إلا مع المكابرة والمعاندة ، وقد ذكر العلماء أن الأدلة عليها كثيرة وحصروها في واحد وعشرين نوعا وبعض الأنواع أفراده قد تصل إلى عشرين دليلا أو أكثر، وقد يصير بمجموع الأفراد إلى ألف دليل ، مما يكون سببا في الاضطرار إلى الإقرار بهذه الصفة ، والذي ذكرها واحدا وعشرين نوعا ابن القيم في منظومته النونية الكافية الشافية ، ولما قسمها إلى واحد وعشرين نوعا بدأ بآيات الاستواء التي هي:

سـبع أتت فـي محكـم القـرآن

وكـذلك اطـردت بـلا لام كانت بمعنى الـلام فـي الأذهـان

ولـو البـاقي عليهـا وهـو ذو إمكـان

لأتـت بهـا فـي موضـع كـي يحمـل

أي: أن آيات الاستواء وردت في سبعة مواضع في سورة الأعراف ، وفي سورة يونس وفي سورة الرعد وفي سورة طه وفي سورة الفرقان وفي سورة السجدة وفي سورة الحديد، كلها ذكر فيها الاستواء ، وخص الاستواء بالعرش، وقد ذكر أن هذا إجماع من العلماء.

الدليل السادس عشر يقول:

هـذا وسـادس عشـرها إجماع أهـل العلـم أعـني حجـة الأزمـان

من كل صـاحب سـنة شـهدت لـه أهـل الحـديث وشـيعة الرحـمن

لا عـبرة بمخـالف لـه ولـو كـان عديـد الشـاء والجـعران

ثم ذكر تفسيرهم لآيات الاستواء بقوله:

ولهم عبادات عليها قد حصلت للفارس
أربع الطعان
وهي استقر وقد علا ارتفع الذي ما فيه من
وكذلك نكران
وكذاك قد صعد الذي وأبو عبيدة صاحب
هو رابع الشيباني
يختار هذا القول في أدرى من الجهمي
تفسيره بالقرآن
والأشعري يقول: تفسير بحقيقة استولى من
استوى البهتان

فذكر أنهم فسروا الاستواء، هذا هو المشهور عندهم ، الكثير منهم يقولون: استوى استواء يليق بجلاله ولكن لما كان الاستواء له مفاد فإنهم فسروه، وسيأتينا قول الإمام مالك: الاستواء معلوم ، وإذا كان معلوما فإنه فصيح وبلغة فصيحة فلا بد أنه يفسر ولا بد أنه يترجم من لغة إلى أخرى ولا بد أن يكون له معنى؛ فلذلك فسروه بأربع تفسيرات: **التفسير الأول**: استقر ، استوى استقر مشهور ذلك عنهم، ومع ذلك فالنفاة أخذوا يوردون عليه إيرادات وحشية فرضية، ذكرها ابن خطيب الري الذي هو الرازي صاحب التفسير الكبير في سورة الأعراف عندما أتى على هذه الآية: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وفسر الاستواء قال: إنه هناك من فسره بالاستقرار، زيفه بوجوه، وأطال على ذلك ، وكذلك صاحب الكشاف، وهو الزمخشري ونحوهم من المعتزلة والأشاعرة، ولكن لا عبره في تزييفهم فإن تلك التزييفات التي زيفوه بها والتي طعنوا فيه بها كلها تخيلات وعقليات لا يلتفت إليها مع مقابلة النص ومع الذي تؤيده

اللغة الفصحى.

وإذا قلنا: استوى أي: استقر فلا محذور في ذلك، فالله –تعالى– مستقر على عرشه، ولكن لا يلزم من ذلك محذور.

والتفسير الثاني: هو الذي يفعله ابن جرير وابن كثير أيضا عند تفسير آيات الاستواء يقول: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: علا، هكذا يقول، وهو صريح في العلو الذي هو العلو الحقيقي.

والتفسير الثالث: الارتفاع: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: ارتفع.

والرابع: الصعود، استوى على العرش، أي: صعد ، سمعنا أن أبا عبيدة يختار هذا القول ، معمر بن المثنى الشيباني وهو من علماء اللغة فيفسر " استوى" بمعنى: صعد، وذكروا عنه أنه نقل عن بعض فصحاء العرب، طرق عليه الباب بعض أصحابه وكان في علية مرتفعة فقال لهم: استووا يعني: ارتفعوا ، فكأنه يقول: إن الاستواء بمعنى الصعود "استوى" ، ومعلوم أيضا أن الكلمة وردت بعدة عبارات ووردت في القرآن غير مقيدة بحرف.

قال –تعالى–: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ ههنا لم يكن بعدها حرف فكيف تفسر؟ ، تفسر هنا بمعنى الكمال، "استوى": ﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ يعني: كمل ، والموضع الثاني أنها قيدت بـــ "إلى" قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ هنا قيدت بـــ (إلى) وتفسر أيضا "استوى" إليها يعني: ارتفع إليها.

وأما إذا قيدت بـــ "على" فلا خلاف أنها بمعنى العلو ، ومنه قوله –تعالى–: ﴿ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ ﴾ يعني: ارتفعت عليه واستقرت عليه، وهو جبل رفيع لما أنه نضب الماء استوت السفينة على ذلك الجبل فها هنا استقرت وارتفعت وصارت مرتفعة فوقه ، وكذلك قوله –تعالى–: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ يعني: المركوبات أي تستقروا وترتفعوا ، وكذلك قوله: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ يعني:

ارتفع السنبل: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ أي: ارتفع، فعرفنا أن هذا دليل واضح على أنها إذا قيدت بـــ "على" فهي دالة على الارتفاع.

إذن فهي دليل واضح على الارتفاع أن الله فوق العرش ارتفع فوق العرش كما يشاء ، أما المعتزلة ونحوهم من النفاة فقد كبرت عليهم هذه الآية وذكروا عن الجهم الذي هو رئيسهم لما قرأ هذه الآية، وعنده بعض أصحابه قال: لو تمكنت لمحوت هذه الآية من المصاحف -والله حسيبه- كأنها ثقلت عليه ، ولما ثقلت عليهم كانت صريحة في الرد عليهم لم يجدوا بدا من الخوض في تأويلها ، وأكثرهم فسروا "استوى" باستولى ، واستدلوا ببيت لا يعرف قائله ، الذي يقول فيه:

قـــد اســـتوى بشـــر علـــى العـــراق مـــن غـــير ســـيف أو دم مهـــراق

لا يدر من هو هذا البيت له ، وبعضهم يقول: إنه للأخطل ، والأخطل نصراني لم يدخل الإسلام ولو كان عربيا من بني تغلب ، ولعل ذلك هو الذي أراده ابن القيم بقوله في النونية:

ودليلهـــم فـــي ذاك بيـــت قالـــه فيمـــا يقـــال الأخطـــل النصـــراني

وفي لامية شيخ الإسلام ابن تيمية يقول فيها:

قبـــح لمـــن نبـــذ الكتـــاب وإذا استدل يقـــول: قـــال الأخطـــل وراءه

ثم نقول: هذا البيت على تقدير صحته، الاستواء فيه بمعنى العلو استوى على العراق، يعني: استقر على سريرها ، فهو دال على العلو ، فلا يكون دالا على الاستيلاء، ثم نقول: إن الاستيلاء ليس خاصا بالعرش، وهذا هو الذي ذكره ابن القيم عن الأشعري:

والأشـــعري يقـــول تفســـير اســـتوى بحقيقـــة اســـتولى مـــن البـــهتان

فالأشعري هو أبو الحسن الذي تنتسب إليه الأشعرية إلى مذهبه الأوسط وقد رجع عنه ، ذكر في كتابه الإبأنة يقول: إنهم فسروا الاستواء بالاستيلاء ، ولو كان الأمر كما يقولون لم يكن للعرش ميزة ، فإن الله –تعالى– مستولٍ على كل شيء ، ولا يجوز أن يوصف بأنه استولى على غير العرش ، فلا يجوز أن تقول: إن الله استوى على الجبال ، إن الله استوى على الأرض ، إن الله استوى على الحشوش، إن الله استوى على الأشجار وعلى القصور، لا يجوز ما دام أنه خص الاستواء بالعرش فنخصه به ، فإذا كان الاستواء بمعنى الاستيلاء، فلماذا يخص العرش وحده؟ الله مستول على الجميع هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن الاستيلاء لا يكون إلا بعد منازعة ، سمعت حكاية أن بعض المعتزلة وبعض الأشاعرة في مسجد من المساجد يتكلم على الاستواء، وأخذ يكرر أن استوى بمعنى استولى ، الله هو المستولي، ويستولي على العرش وكذا وكذا ، ثم إن بعض الحاضرين أمر غلاما له صغيرا في الثانية عشر أو الثالثة عشر أن يخرج ويطل من على النافذه ويقول له: بلهجته ، قبل أن يستولي على العرش من العرش له ؟ فبهت ذلك الذي يتكلم، فقالوا له: صحيح هذا سؤال وارد ، نحن نقول مثلا: إن هذه البلاد قد كانت في غير ملك الدولة في ملك آل رشيد مثلا، ثم إن الملك عبد العزيز جاء واستولى عليها بعد قوة وبعد منازعة ، لما أنهم كانوا مغتصبين ومستولين عليها بدون حق ردها الله إلى الملك عبد العزيز بعد قوة.

إذن لا يكون الاستيلاء إلى بعد منازعة وبعد مجادلة ونحوها ، كذلك يقال: من العرش له قبل أن يستولي عليه؟ وكذلك غيره ، وبهذا نعرف بطلان هذا التفسير .

التأويل الثاني: قالوا: إن العرش بمعنى الملك ، استوى على العرش، أي: استوى على الملك ، وهذا أيضا بعيد تفسيره للعرش بأنه الملك كله إبطال للعرش الذي ذكره الله –تعالى– ووصفه بصفات خاص

الله -تعالى- وصف هذا العرش بقوله: ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ هل يقال رب الملك؟: ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ وذكر أنه يحمل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾ ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ في آيات كثيرة ، أفتبطل هذه كلها ويقال العرش الملك؟! هذا من خطأ ، زيادة على النصوص الكثيرة التي فيها إثبات حملة العرش وكيف حملوه وعددهم وبأي شيء حملوه وما أشبه ذلك ، كل ذلك يدل على أن العرش مخلوق كبير لا يعلم قدره إلا الله -تعالى- .

ورد في بعض الأحاديث أن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، نسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، الحلقة هي الحديدة المتلاقية الطرفين ، ماذا تشغل من أرض واسعة فلاة ؟ فكذلك نسبة العرش والكرسي، العرش لا يعلم قدره إلا الله والكرسي هذه نسبته مع أن الكرسي قد وسع السموات والأرض ، الكرسي وسع السموات والأرض كما نص الله على ذلك وقال بعض السلف: ما السموات السبع والأراضين السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس ، الترس هو المجن الذي يوضع على الرأس في القتال ماذا تشغل السبعة منه؟ ، فإذا كانت هذه نسبة المخلوقات العلوية والسفلية العظيمة إلى الكرسي وهذه نسبة الكرسي إلى العرش فما تكون نسبة العرش وما هو مقداره ؟ لا يقدر قدره إلا الله -تعالى- ، الأمر عظيم ، إذن فهذان تأويلان باطلان والأول هو الأشهر استوى بمعنى استولى ، أنهم زادوا فيها لاما ، ويسمى هذا تحريفا لفظيا ، زيادة هذه اللام .

سمعتم كلام ابن القيم في النونية يقول:

كذلك اطّردت بلا لام ولو ... كانت بمعنى اللام في القرآن
لأتت بها في موضع ... يحمل الباقي عليها وهو ذو إمكان

كــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي

لو كانت بمعنى اللام لكانت في موضع واحد من السبعة ذكر استولى حتى يقولوا: نحمل هذا على هذا ، نحمل المطلق على المقيد، إذن فهذه اللام التي زدتموها زائدة في القرآن شبيهة بالنون التي زادها اليهود حينما قيل لهم: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ قالوا: حنطة ،هكذا شبهها ابن القيم بقوله:

نــون اليهــود ولام جهـــميّ همــا فــي وحــي رب العــرش زائــدتان

شبهها بنون اليهود ، هذا تحريف لفظي ، إذن فنحن نعرف أن هذا من الأدلة الواضحة على صفة العلو لله -تعالى- ولا نخوض في أكثر من ذلك .

الدليل الثاني: الآيات التي فيها ذكر " في السماء ": ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الله -تعالى- أفرد يعني: قطع الكلام عن ما بعده بقوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ هذا وقف مطلق ... ﴿ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ ﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ هنا وقف مطلق أو وقف جائز... ﴿ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ ﴾ لا شك أن هذا دليل واضح على إثبات العلو ، كيف نحمل هذه الآية؟ ، يفسرونها بتفسيرين: الأول أن تكون (في) بمعنى (على) فتكون في السماء بمعنى على السماء ، وهذا مشهور في اللغة كما في قوله -تعالى- ﴿ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ في الأرض أي على الأرض وفي آيات كثيرة: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ليس المراد في جوفها ، أي على الأرض ، وكذلك قوله عن فرعون: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ

ٱلنَّخۡلِ ﴾ ليس المراد أنه ينحت لهم ويدخلهم في الجذوع بل المراد أنه يصلبهم عليها على جذوع النخل ، فدل على أن (في) تأتي بمعنى (على) ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني: على السماء .

التفسير الثاني: أن السماء بمعنى العلو ، فإن كل ما ارتفع فإنه سماء يقولون: سما فلان يعني: ارتفع سما هذا البناء: ارتفع ، هذا بناء سام أي: مرتفع ، هذا جبل سامٍ أي: مرتفع ، أي: رفيع ، فالسمو بمعنى الارتفاع، فإذا قيل: ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من في العلو ، من في جهة العلو التي لا يعلم نهايتها وقدرها إلا هو –سبحانه– فلا دليل فيها على الحصر ، ليس معنى: ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ ﴾ أن السماء تحصره أو تحويه ، –تعالى الله– بل هو فوقها كما يشاء ، وإذا استدلوا بقوله –تعالى–: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌ ﴾ قد يستدلون بهذا، ويقولون: هذا دليل على أنه في الأرض كما أنه في السماء ، والجواب عن هذه الآية وعن الآية التي في أول سورة الأنعام: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ ﴾ .

الجواب: أن المراد: الإله ، الإله في السموات والإله في الأرض ، الإله بمعنى المألوه ، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾ يعني: مألوه ، يعني: إله أهل السماء ، وإله أهل الأرض الذي تألهه القلوب والذي يستحق أن يكون إلها معبودا وحده ، وذلك؛ لأنه لم يقف عند السماء، بل وصلها لم يقل وهو الله في السماء، وهو الذي في السماء وفي الأرض بل قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌ ﴾ يعني: إله في السماء وإله في الأرض ، ويمثل بعضهم ذلك بما إذا قلت مثلا: فلان أمير في الرياض وأمير في مكة وأمير في المدينة ، مع أنه في أحدهم ، هل معنى أن إمارته عامة لهذه البلاد ، فكذلك الله – تعالى– ألوهيته عامة للسموات وللأرض ولما شاء الله ، إله أهل السماء وأهل الأرض ، هذا الدليل الذي هو إثبات ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ ﴾ ورد أيضا في الأحاديث فالحديث الأول: قوله في رقية المريض: ☜ ربنا الله

الذي في السماء تقدس اسمك ﷺ .

حديث مشهور في سنن أبي داود وإن كان في سنده مقال ، ولكن شيخ الإسلام يكثر الاستدلال به مما يدل على أن المقال لا يقدح فيه ، في رقية المريض يقول فيه: ﷺ ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع ﷺ يقول: ﷺ إذا مرض أحدكم أو مرض أخ له فليقل: ربنا الله ... ﷺ ثم ذكره ، واضح قوله: ﷺ ربنا الله الذي في السماء ﷺ و لم يقل في السماء والأرض ، و لم يقل: في السماء ملكك ، كما يعبرون عنه ، أو في السماء سلطانه كما تقوله النفاة ، أو في السماء أمره كما يقولونه ، الأحاديث في هذا كثيرة .

ومنه هذا الحديث الثاني قصة الجارية ، ﷺ جاء رجل وقال يا رسول الله: إن علي عتق رقبة وإن عندي جارية ، أفعتقها ؟ فجاء بها –فامتحنها النبي ﷺ هل هي مؤمنة؟ ﷺ ؛ لأن من شرط العتق أن يكون العتيق مؤمنا لقوله: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ أول شيء بدأه بقوله: ﷺ أين الله ؟ فقالت: في السماء ﷺ –إما أن ذلك فطرة، وإما أن ذلك عن علم تلقت ذلك وتعلمته– ، قال: ﷺ من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله ، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة ﷺ زكاها وشهد لها بالإيمان مع أنها اعترفت بأن الله في السماء ، فدل أنه لا يكمل الإيمان إلا بهذا الشرط ، الاعتقاد أن الله في السماء ، فيفيد أن من اعتقد غير ذلك فإنه ناقص الإيمان ، ومثل هذا أيضا قوله ﷺ ﷺ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ﷺ أي: ربكم الذي في السماء ، ومثله قوله: ﷺ ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء ﷺ أي: يأتيني الخبر من السماء أي: من الله الذي في السماء ، والأحاديث كثيرة، والحاصل أن هذا دليل من أدلة إثبات العلو ، ومحمله كما قلنا .

وبعد ذلك نواصل .

وقال النبي ﷺ لحصين: ﷺ كم إلها تعبد ؟ قال سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء قال من

لرغبتك ورهبتك: قال: الذي في السماء ، قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء ، وأنا نعلمك دعوتين ، فأسلم وعلمه النبي ﷺ أن يقول: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ﷺ .

هو حديث صحيح مروي في السنن والمسند في قصة حصين والد عمران بن حصين الأسدي جاء إلى النبي ﷺ قبل أن يسلم، ولكنه لمس منه الرغبة في الإسلام فسأله: ﷺ كم إلها تعبد ؟ قال: سبعة ﷺ فصل ، ﷺ قال: ستة في الأرض وواحدا في السماء ، فقال: من لرغبتك ورهبتك ؟ قال: الذي في السماء ﷺ .

فدعاه إلى الإسلام وقال له: ﷺ إذا أسلمت فإني سأعلمك كلمتين نافعتين ، فأسلم وعلمه النبي ﷺ قوله: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ﷺ دعوة عظيمة.

قوله: ﷺ من لرغبتك ورهبتك ؟ ﷺ يعني: من تعده إذا كانت رغبتك ملحة وشديدة ، ورهبتك يعني: خوفك ، فالرهبة الخوف ، والرغبة الرجاء ، يعني: من الذي ترجوه عندما تحل بك الأزمات أن يفرج عنك ؟ ، ومن الذي تخافه عندما تفعل المعاصي والمحرمات أن يبطش بك؟ من الذي تعده للرغبة والرهبة ؟ فقال: الذي في السماء ، أقره النبي ؟صلى؟الله؟عليه؟وسلم؟ على ذلك ولو كان هذا غير جائز ، لأنكر عليه ولقال له: هذا تجسيم أوهذا تشبيه أو هذا إثبات جهة أو نحو ذلك ، الذين ينكرون صفة العلو إذا جادلناهم قالوا: أن تتجهم أنت تثبت جهة ، أنت تجسم ، جسمت شبهت ، جهمت وأشباه ذلك كما يسمون أهل السنة بألقاب ابتدعوها ، ثم لهم نوابت يسمونهم غثاء وغسرا ومجسدة وحشوية ، ومشبهة وممثلة ، وأشباه ذلك ، وهم أولى بتلك الأسماء التي ابتدعوها ونابذوا بها أهل السنة ، وعلى كل حال فإن هذا دليل واضح على إقرار النبي ﷺ لمن يعتقد أن الله تعالى في السماء .

إثبات صفة العلو من كتب المتقدمين

وفيما نقل من علامات النبي صلى الله عيه وسلم وأصحابه في الكتب المتقدمة أنهم يسجدون في الأرض ويزعمون أن إلههم في السماء ، وروى أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عيه وسلم قال: ﷺ إن ما

بين سماء إلى وسماء مسيرة كذا وكذا ۞ وذكر الخبر إلى قوله: ۞ وفوق ذلك العرش ، والله – سبحانه– فوق ذلك ۞ فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف ـــ رحمهم الله ـــ على نقله وقبوله ، و لم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل مالك بن أنس الإمام ﷺ فقيل: يا أبا عبد الله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ كيف استوى ؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج . هذا الأثر في صفة هذه الأمة من الأخبار التي تنقل عن كتب المتقدمين وهي من الأخبار التي قال فيها النبي صلى الله عيه وسلم: ۞ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ ۞ ولكن هو مطابق للواقع ، مطابق لوصف هذه الأمة ، أنهم يسجدون في الأرض وإلههم في السماء ، معلوم أنهم على الأرض وأنهم يسجدون عليها وأنهم يضعون جباههم عليها تواضعا لربهم ، وأنهم يعتقدون أن إلههم فوقهم ، فهذا دليل مطابق للواقع .

وأما الحديث الذي بعده فهو يسمى الأوعال ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية ، ولما حصلت المناظرة بينه وبين الأشاعرة في دمشق وأرادوا أن ينكروا عليه، وكان مما استدل به هذا الحديث الذي فيه ذكر النبي صلى الله عيه وسلم خلق المخلوقات،ثم قال في آخره : ۞ والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه ۞ العرش فوق ذلك لما ذكر السموات وذكر البحار التي فوقها وذكر الأوعال ، التي هي الملائكة الذين يحملون العرش ، ذكر أن العرش فوق ذلك يعني: فوق ظهور الأوعال ، وهذا الحديث يسمى حديث الأوعال ، بعد ذلك قال: ۞ والعرش فوق ذلك ۞ يعني: فوق ظهور الأوعال ، مع ذكره لعظم خلقهم ، والله تعالى فوق العرش، دليل صريح بذكر الفوقية ، قالوا : إن الحديث في إسناده عبد الله بن عميرة وأنه لا يعرف إلا به ، ولكن شيخ الإسلام يقول: إن هذا الحديث قد رواه كثير من الأئمة مؤيدين له، وذلك دليل على توثيقهم لابن عميرة ولبقية الرواة.

ومن جملة ما من رواه إمام الأئمة ، إمام الأئمة من هو؟ ابن خزيمة في كتاب التوحيد المطبوع

المشهور المحقق ، ذكر في أول الكتاب ، في عنوان الكتاب: أنه لا يروي إلا ما صح عنه ، الأحاديث التي صحت ، ليس في أسانيدها طعن ، وليس في أسانيدها انقطاع ، روى فيه هذا الحديث وسكت عنه ، وذلك دليل على ثبوته ، وفيه إثبات الفوقية أن الله تعالى فوق المخلوقات ، كلها فوق العرش الذي هو فوق المخلوقات ، ولا دلالة أصرح من هذا الدليل ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه يعني: مع علوه هو سبحانه- يطلع عليكم ولا يخفى عليه منكم خافية ، يعلم القريب والبعيد ، وآيات المعية وآيات القرب متكاثرة متواترة.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن ما ذكر في القرآن من علو الله تعالى وفوقيته لا ينافي ما ذكر من قربه ومعيته ، فإنه سبحانه- لا يقاس بخلقه ، و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وهو عليٌّ في دنوّه قريب في علوه ، نصفه بأنه هو الأعلى وهو معنا ، يعني: مطلع علينا يرى عباده ويعلم أحوالهم كما في قوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ وفي قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ فهذه الأدلة ونحوها أدلة صريحة في إثبات صفة العلو ، والأدلة كثيرة ، يعني: مر بنا مثلا آيات الاستواء وآيات ذكر السماء ، فلم نعدم الدليل ، والثالث آيات العلو كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ ﴿ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ ونحو ذلك .

العلو لا بد أن يكون لله تعالى بجميع أنواعه ، أنواع العلو ثلاثة: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات ، ومثله آيات الفوقية ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ ومثل قوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ فإذا قال النفاة إن قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ إن الفوقية هنا فوقية الغلبة ، يعني: القاهر الغالب فوق عباده ، يعني: غالب لهم ، وقاهر لهم ، وشبهوا ذلك بقول فرعون: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ وكذلك قالوا: إن العلو هنا علو الغلبة وغلو القهر ، وقالوا:

إن هذا شبيه بقول فرعون: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

الجواب: أولا: هذا لا يتأتى بآية النحل ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ فإنه صريح في أن الفوقية ثابتة ﴿ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ يمكن أن يصح في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ أنها فوقية القهر وفوقية الغلبة ، وفوقية القدر ، ومع ذلك يلزم من فوقية القهر فوقية الذات ، فالله تعالى فوق عباده بذاته ، كما أنه فوقهم بقدْره وفوقهم بقهره وغلبته ، وكذلك العلي بذاته والعلي بقدره والعلي بقهره ، يعني: القاهر لهم ، والذي هو فوقهم كما يشاء وبكل حال هذه أدلة ، آيات الاستواء ، وآيات العلو وآيات الفوقية وآية الرفع كقوله: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ ونحوهما وآية العروج ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ وآيات الصعود: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ومثلها ما ذكر الله عن فرعون أنه أراد الصعود إلى السماء: ﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾ لا بد أن موسى أخبره بأن الله في السماء ، ولو كان موسى أخبره أن الله في كل مكان لما تكلف أن يبني الصرح ، فهذا دليل على أن الله أمر موسى بأن يبين له ويعلمه أن الرب تعالى في السماء ؛ فلذلك بنى الصرح محاولا أن يطلع على إله موسى.

ومن الأدلة على ذلك إثبات أو إقرار الأشاعرة بالرؤية ، رؤية المؤمنين لربهم؛ ولذلك أنكرها المعتزلة وقالوا: إنها تستلزم الجهة ، تستلزم أن الله تعالى في جهة ، ونحن نقول إن الله من جهة العلو وأنه يراه عباده كما يشاء .

وبكل حال هذا هو القول الواضح، ومع الأسف مع كثرة الأدلة فإنهم أنكروا ذلك مع كثر ما عليه من الأدلة ووضوحها ، حتى إن بعض الأشاعرة رد على ابن القيم في النونية، ومنهم السبكي وغيره ، ثم إن الكوثري هذا المتأخر الزاهد الكوثري حقق هذا الرد الذي على ابن القيم ، وقدم له مقدمة بشعة أخذ

يسبه فيها ويصفه بصفات تصل إلى الكفر –والعياذ بالله– ، كفره وفسقه وشتمه ولعنه ، ودعا عليه ، وشنع به وما ذاك إلا أنه يعجز – الكوثري وأمثاله ـــ أن يتأولوا هذه الأدلة وأن يردوها فلما رآها صريحة ورأى أن الذين ردوا عليه تكلفوا في ذلك لم يكن بد من أن يحمل عليه ، ويقول: إنه وإنه .

أما هذا الأثر عن مالك فهو مشهور عنه أنه جاءه رجل فقال يا أبا عبد الله أريت قول الله تعالى–: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه ، خفض رأسه ، حتى علاه الرحضاء يعني: العرق–، ثم رفع رأسه وقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولا أراك إلا مبتدعا ، ثم أمر به فأخرج هكذا روي عن مالك رحمه الله اشتهر عنه وانتشر، وهكذا أيضا روي عن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن من علماء المدينة شيخ الإمام مالك وهو من مشاهير العلماء أنه قال في الاستواء: الاستواء معلوم والكيف مجهول ، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم، مقالة يا لها من مقالة!، حكم وعلوم لا تصدر إلا عن علم، وقد روي هذا أيضا عن أم سلمة إحدى أمهات المؤمنين أنها قالت: الاستواء معلوم والكيف مجهول .. إلخ.

ورواه بعضهم عن أم سلمة مرفوعا إلى النبي صلى الله عيه وسلم ولكنه لا يصح مرفوعا ، وصحته إنما هي عن مالك وعن شيخه، ولا شك أن هذا قول الأئمة كلهم ، يقرون بأن الله تعالى على العرش استوى، وأن الاستواء معلوم غير مجهول ، معلوم يعني: مفهوم المعنى ، له معنى مدرك ، معناه واضح يفسر ويبين ويفهم ، وينقل ويترجم من لغة إلى لغة ، فله معنى بخلاف من يقول: إنه لا يعلم معناه وأنه لا يدرى ما معناه، وإنما هو كالألفاظ الأعجمية التي نتكلم بها ولا ندري ما مفادها أو كالألفاظ التي لا استعمال لها أصلا ، لفظ لم يستعمل ولا يدرى معناه .

هذا افتراء على مالك مادام أنه قال: معلوم غير مجهول لا أجهله أنا ولا تجهله أنت ؛ لأنه بلغة فصيحة بلغة واضحة إلا أن له كيفية، الكيف مجهول ، الكيف غير معقول ، الكيفية التي عليها هذا الاستواء هي المجهول؛ فلأجل ذلك في اصطلاح أهل السنة يقولون في آيات الصفات: أمرّوها كما

جاءت بلا كيف ، أي اجتنبوا التكييف ، ويقولون: نؤمن بما وصف الله به نفسه وما وصف به رسوله صلى الله عيه وسلم من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تكييف ولا تعطيل.

التكييف له أحد معنيين:

الأول: أن التكييف هو السؤال بكيف ، كيف استوى كيف يترل كيف علمه كيف يغضب ؟ فيقال لا يجوز التكييف .

المعنى الثاني: أن التكييف هو الإخبار بالكيفية ، أن يقال: كيفية الترول كذا وكذا ، كيفية الاستواء كذا وكذا ، وهذا أيضا لا يجوز اعتماده ، ولا يجوز العمل به ولا القول به ، بل الله سبحانه كما يشاء في صفاته دون أن يكون له كيفية مفهومة لنا .

هناك: الكيفية مجهولة ، وأما قوله: "والإيمان به واجب " لماذا ؟؛لأن الله أخبربه في عدة آيات، وكل ما أخبر به وجب التصديق به ووجب اعتقاده ، والسؤال عنه بدعة؛ لأنه من العلم الذي حجبه الله عنا ، السؤال عن الكيفيات بدعة؛ ولهذا في منظومة أبي الخطاب:

قـــالوا: أفتـــزعم أن علــــى العـــرش اســـــــــــــــــــــــــتوى	**قلـــت: الصـــواب كـــذاك أخـــــبر ســـــــــــــــــــــــــــــيدي**

يعني: نؤمن بذلك.

قالـــوا: فما معنى اســـتوائه قـــل لنـــا	**فـــــأجبتهم هـــــــذا ســـــــؤال المعتـــــــــــــــــــــــــدي**

فالسؤال عنه بدعة عن الكيفية ؛ ولأجل ذلك أمر بإخراج هذا المبتدع ، نعرف من هذا طريقة السلف ـــ رحمهم الله ـــ في إثبات الصفات وفي الرد على المبتدعة .

وهذه أسئلة بعضها يتعلق بالأحكام ، وبعضها يتعلق بالعقائد ، نجيب عليها بحسب الوقت .

س: هذا يقول: ما حكم السترة مع الأدلة ؟.

ج: إن كان يريد بالسترة اللباس في الصلاة ، فلا شك أن ستر العورة شرط من شروط الصلاة ، لا تصح الصلاة مع كشف العورة، أجمعوا على فساد صلاة من صلى كاشفا العورة وهو قادر على أن يستر العورة ، وقد دلت النصوص على أن العورة عورة الرجل-ما بين السرة إلى الركبة ، فمنها الفخذ، ثبت الحديث أنه قال: 🕮 الفخذ عورة 🕮 في حديث ، وفي حديث عبد الله بن جحش وفي حديث علي ، وبعضها يقوي بعضا ، 🕮 الفخذ عورة 🕮 والفخذ ينتهي بنهاية الركبة .

وأما إذا كان يقصد الحاجز الذي أمام المصلي الذي يجعله أمامه ، فنقول: السترة هذه الحكمة فيها أن المصلي يقصر نظره عليها ولا يتجاوزها؛ ولهذا مأمور بأن ينظر إلى موضع سجوده حتى لا يتشتت قلبه ، ومأمور أن يرد من يمر بينه وبين موضع سجوده حتى لا يشوش عليه ، ولا يفسد عليه صلاته أو عبادته ، فهذا لا شك أنه مندوب ، مندوب أن الإنسان يقصر بصره ويجعل له موضعا يحد بصره فلا يرفع بصره ، ورد أيضا النهي عن رفع البصر في الصلاة حتى توعد عليه 🕮 لينتهين أقوم يرفعون أبصارهم إلى السماء .. 🕮 فاشتد قوله حتى قال: 🕮 لينتهن أو لتخطفن أبصارهم 🕮 لكن هل يلزم المصلي أن يجعل أمامه شاخصا يكون ساترا له أم لا يلزمه ؟.

الصحيح أنه إذا كان يصلي في صحراء فإنه يلزمه ، فقد 🕮 كان النبي صلى الله عيه وسلم إذا سافر تنصب بين يديه عنزة 🕮 وهي حربة صغيرة، 🕮 وإذا خرج ليصلي في الصحراء في البقيع صلاة العيد أو الاستسقاء ينصب له حجارة يصلي إليها وتكون سترة له 🕮 وأما في المسجد فإنه هو والمصلون يكتفون بحيطان المسجد إذا كان في داخل المسجد فلم يكونوا ينصبون لهم شيئا، إنما يصلون إلى عمد المسجد أو إلى حيطان المسجد ولو كانت بعيدة بينهم وبينها هذا هو المشهور ، لم يُنقل أن أحدهم كان

ينصب شيئا يدخل به حجرا أو عودا أو نحو ذلك وما ذلك إلا أنهم أمنوا من أن يفسد عليهم أحدهم صلاتهم ، يفسد عليهم صلاتهم أحد ممن يمر أمامهم وإذا كان أمامهم الحائط ولو كان بينهم وبينه ثلاثة أمتار أو أربعة أو نحو ذلك رأوا ذلك كافيا ، فهذا هو الصحيح.

وأما الحديث الذي قد يستدلون به على الوجوب الحديث الذي في صحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم بلفظ: « لا تصل إلا إلى سترة ولا تدعن أحدا يمر بين يديك، فإن أبى فقاتله فإن معه القرين » فتتبعت طرق هذا الحديث فوجدته في صحيح مسلم وفي مسند الإمام أحمد وفي سنن ابن ماجة، وليس فيه هذه الزيادة إسناده واحد ، كلمة: « لا تصل إلا إلى سترة » هذه زيادة يظهر أنها مدرجة من بعض المتأخرين.

أما لفظ الحديث في صحيح مسلم فيقول: « لا تدعن أحدا يمر بين يديك، فإن أبى فقاتله فإن معه القرين » فدل على أن هذا لا يصلح معتمدا ، ومثله أيضا حديث في سنن أبي داوود وغيره يقول: « إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها ولا يدعن أحدا يمر بين يديه » كأنه يقول: إنه قد يحتاج إلى سترة ، أحيانا يحتاج إلى سترة إذا كان في طريق أو في ممر فليدن من هذه السترة ، مشهور إنه عليه السلام- « إذا صلى إلى سترة في الصحراء يجعل بينه وبينها - أي إذا سجد - كممر الشاة » فعلى هذا نقول إنها مؤكدة إذا خاف أن يمر بين يديه أحد ، ومستحبة إذا لم يخف ذلك ، والحكمة فيها ما ذكرنا .

س: له سؤال ثاني يقول: هل يرفع المصلي يديه بدعاء القنوت في صلاة الوتر ؟ وما حكم المداومة على دعاء القنوت ؟.

ج: نعم. السنة أن يرفع الداعي يديه في كل دعاء ومنه دعاء القنوت؛ وذلك لكثر الأحاديث التي في رفع اليدين في الدعاء ، فإنها بلغت حد التواتر، ولعلكم قرأتم الكتاب الذي بعنوان: "حفظ الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء" للسيوطي، ومثله أيضا قد كتب قبله المنذري في أحاديث رفع اليدين في الدعاء زادت على أربعين حديثا من قول النبي صلى الله عيه وسلم ومن فعله مثل حديث سلمان وفيه:

﴿ إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا ﴾ فيستحب أنه إذا دعا أن يرفع يديه، فهذا الدعاء دعاء القنوت فيرفع يديه كأنه يطلب من ربه خيرا، أما الدعاء داخل الصلاة السري مثلا كدعاء الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ﴾ وكذلك الدعاء في السجود أو بين السجدتين، فهذا اليدان فيه لهما وظيفة، فاليدان في السجود يضعهما يسجد عليهما، واليدان في الجلسة أو في التشهد يجعلهما على فخذيه ويشير بالسبابة في التشهد أو في الدعاء يشير بها يدعو يها ، هذا هو الوارد وذلك؛لأن الصلاة محل للسكون، أما المداومة، فالمشهور أنه لا يداوم؛ لأنها إنما رويت من قول النبي صلى الله عيه وسلم و لم تثبت من فعله ، إنما علّم الحسن هذا الدعاء وعلّم علي دعاء آخر فدل على أنه يفعل ذلك أحيانا لا دائما .

س: وهذا يقول: يسأل سؤال خاص به، أحس باضطراب في بطني قرب الخاتم وأحس أن له صوت، ولكن أشك أنه خرج مني ريح هل هذا حدث ؟.

ج: ليس بحدث بل هو ما يسمى بالقراقر كثيرا ما يحدث أن الإنسان يحس ببطنه بأشياء ، بين ذلك النبي صلى الله عيه وسلم في قوله: ﴿ لما شكي إليه أن الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة ، فقال: لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا ﴾ يعني: يتحقق الحدث .

س: وهذا يقول: سألت سؤالا البارحة و لم أجب عنه ، وهو كيف نرد على من يقول: إن نزول الله يجعله يخلو منه عرشه ؟.

ج: الجواب: لا يجوز لنا أن نخوض في هذا نحن إذا ثبت عندنا حديث الترول فإننا نقول: يترل كما يشاء ،و ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ وليس كترول الإنسان من سرير أو نحوه ، بل يترل كما يشاء فلا يلزم أن يخلو منه العرش فلا نقول: يخلو أو لا يخلو ، هذا إلى الله تعالى ، نزوله ، نقول: الكيف مجهول .

س: وهذا سؤال يقول ما معنى الأوعال ؟.

ج: معروف أن الأوعال التي نعرف نوع من الصيد ، وهي تسمى تيس الجبل ، لكونه يعتصم بالجبل كثيرا ، والذي له قرون متشعبة ، ويسمى أيضا الإيل الذي في الحديث: ﴿ لأجعلن له قرني إيّل فيخرج من بطنك فيشقه ﴾ ويسمى التيتل ، والأنثى منه تسمى الأروى ، لكن شبه الملائكة الذين هم حملة العرش بهذه المخلوقات التي هي الأوعال ، ثمانية ﴿ أوعال يحملون العرش ﴾ ولكن ذكر في بعض الروايات أن أقدامهم أو حوافرهم تحت الأرض السابعة، وأن ظهورهم فوق السماء السابعة ، يعني: لا يقدر قدرهم إلا الله وفي حديث آخر أنه قال : ﴿ أذن لي أن أحدث عن ملك ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة ﴾ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه ، ما مقدار خلقة هؤلاء ؟ الله أعلم الله الذي خلقهم.

س: ويقول هذا السائل: ما هو العرش، وقد ثبت أنه موضع قدمي الرحمن؟ ، وما هو الكرسي؟.

ج: أما العرش: فهو الذي خصه الله بالاستواء عليه ، وليس هو موضع القدمين كما قالوا، بل هو الذي استوى الله تعالى عليه كما يشاء وهو لا شك أنه مخلوق كبير، وأنتم تعرفون اسم العرش ، اسم العرش هو سرير الملك كما حكى الله تعالى في قصة بلقيس: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴾ فالله تعالى رب العرش العظيم الذي لا يقدر قدره إلا الله ، أما الكرسي ففسر بأنه كالمرقاة بين يدي العرش، وفسر بأنه موضع القدمين والله تعالى-أعلم بذلك .

س: قول المعتزلة: إن الله لم يكن متصفا بالخلق قبل خلق القلم ، هل نرد عليهم بأن الله كان متصفا بالخلق قبل أن يخلق أم ما هو الصواب؟.

ج: ذكر أهل السنة كما في عقيدة الطحاوي: أن الله تعالى- متصف بالصفات قبل أن توجد آثارها فيقول: متصف بأنه الرازق قبل أن يوجد الخلق الذين يرزقهم ، متصف بأنه الجواد قبل أن يوجد من يجود عليهم ، متصف بأنه الخالق قبل أن يخلق أحدا ، متصف بأنه الكريم قبل أن يوجد من يتكرم عليهم ، متصف بأنه العزيز الحكيم وأشباه ذلك قبل أن توجد آثارها أو مؤثراها ، فمادام كذلك فنقول: إن الله

هو الذي خلق القلم وخلق العرش وخلق المخلوقات، واسمه الخالق قبل أن يوجد المخلوقون .

س: يقول هذا السائل: أيهما أفضل وأوجب طلب العلم أو الجهاد في سبيل الله وأنت تعلم ما تلاقيه الأمة الإسلامية والمسلمون في هذا الأثر فما حكم الجهاد في هذه الحالة ؟.

ج: نقول: لا تجاهد إلا بعد أن تتعلم ، تتعلم دينك وتتعلم الأحكام التي تلزمك ، فطلب العلم لا شك أنه أوجب الواجبات ، فالمصلي لا يصلي إلا بعد ما يتعلم أحكام الصلاة وكيفيتها ، وكذلك الحاج لا يحج إلا بعد ما يتعلم كيفة أداء المناسك وكيفية المشاعر وأعمالها وما أشبه ذلك ، وكذلك بقية العمال ، فكذلك الذي يجاهد وهو جاهل بصلواته وجاهل بكلام ربه وجاهل بدعائه وجال بالأحكام وجاهل بالعقيدة وجاهل بالتوحيد ، ما فائدة هذا العمل؟ يجاهد وهو لا يعرف شيئا، فعليه أن يتعلم العبادات الواجبة ويتعبد بها ويؤديها، فإذا كان على بصيرة من أمره فبعد ذلك له أن يبدأ بالجهاد، ولا شك أن الجهاد من أفضل القربات والأعمال سيما في الزمن الذي تشتد فيه غربة الإسلام وتحتد فيه قوة الكفار ويكثر فيه كيد الأعداء على المسلمين كما في هذه الأزمنة التي تكالبت فيها الأعداء على كثير من بلاد المسلمين ، فالمسلمون الذين عندهم قدرة وقوة ومعرفة يلزمهم أن يجاهدوا بما يستطيعون لقوله في الحديث: ﷺ جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ﷺ كل يجاهد على حسب علمه وعلى حسب قدرته .

س: هذا يقول: يوجد في دولتنا أئمة مساجد صوفيون يعلمون الولاد التصوف وهم من الهنود فهل يجوز استخدام الحيل معهم لإخراجهم من بلدنا علما بأن مكتب الأوقاف القائمون عليه صوفيون ؟.

ج: نقول: إذا كان التصوف بمعنى الزهد ولباس الخشن من الثياب فهذا لا بأس به، وإن كان التصوف هو الاعتقاد في الأئمة، والاعتقاد في الأولياء، وأن الأولياء أفضل من الأنبياء وأن لهم مكانة أرفع من الأنبياء، وأن الولي يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه النبي أو الملك أو نحو ذلك ، فمثل هؤلاء خطرهم كبير، فإذا كان يعلمون أولاد المسلمين هذه العقائد السيئة فعلى الذي له قدرة أن يمنعهم أو يسعى في منعهم بأية وسيلة .

س: بعض الأخوة يثني على الكوثري ويدافع عنه بشدة ويقول: إن ما حدث بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية وتكفيره له إنما هو اجتهاد منه وخلاف بين أهل العلم وهو بين أجر أو أجرين، أما من يقول بقريب من هذا القول موجود معنا الآن فهل ننصحه علما أنه يطلق على الكوثري شيخ الإسلام ومجدد الملة؟ .

ج: هذا لا شك أنه اجتهاد خاطئ هذا الذي يمدح الكوثري ، فالكوثري هو في الحقيقة عالم بالحديث ، وله اطلاع على الأحاديث ومعرفة بأماكنها ، إذا حقق كتابا فإنك تجد أنه يذكر مواضع الأحاديث والدلالة عليها ، ومع ذلك يؤخذ عليه مآخذ: المأخذ الأول: تشدده في نصر المذهب الحنفي ، وتصلبه فيه ولو خالف الدليل؛ ولأجل ذلك رد على الخطيب صاحب "تاريخ بغداد" لما ترجم أبا حنيفة أطال في ترجمته ، استغرقت ترجمته نحو مائة صفحة من "تاريخ بغداد" ، نصفها أو ثلثها في مدح أبي حنيفة والباقي في ذمه ، فرد عليه هذا العالم الذي هو الكوثري بكتاب له مطبوع اسمه "تأنيب الخطيب" ، ثم إن الكوثري في هذا الرد تشدد وبالغ في ذلك حتى طعن في رجال لا مطعن فيهم من الأسانيد ، يريد بذلك أن يرد تلك الأسانيد التي يستدل بها الخطيب في الطعن على أبي حنيفة ، وكان الأولى أن يقول: هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة في أبي حنيفة مجتهدون على حسب ما قيل فيهم ولا نطعن في تلك الأسانيد بالطعن في رجال غير متهمين ، تعرفون أنه رد عليه العالم المشهور الذي هو عبد الرحمن المعلمي أو المعلمي في كتابه المطبوع الذي سماه "التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل" ، في مجلدين ناقشه في ذلك مناقشة كاملة .

وبكل حال هذا مما يؤخذ عليه ، تعصبه للمذهب الحنفي حتى إنه انتقد الإمام ابن القيم في رده على الحنفية ، لعل ذلك مر عليكم أمثلة منه في أصول الفقه ، فإنه ابن القيم رحمه الله في كتاب "أعلام الموقعين" ناقش مخالفات الحنفية لكثير من الأحاديث ، وقال: خالفتم الحديث كذا وخالفتم الحديث كذا وكذا ، فالكوثري انتقده في ذلك ، مع أنه مسبوق بذلك قد سبقه إلى ذلك ابن أبي شيبة ، لعلكم اطلعتم على ذلك في آخر مصنفه ، فإنه جعل نحو نصف مجلد كلها في ما خالف أبو حنيفة له من

الأحاديث ، الأحاديث التي خالفها أبو حنيفة ، على كل حال هذا مطعن منه ، ولكن هذا سهل ، ولكن الأمر الأشد هو مبالغته في نصر المذهب الأشعري ، وبالأخص صفة العلو ، فإنه بالغ في ذلك وأنكر على من نشر الكتب التي تعتني بذلك.

ولما طبع بعض الكتب في زمانه امتعض لذلك وغضب على كتاب التوحيد لابن خزيمة ، حتى قال: الأولى أنه يسمى كتاب الشرك أو كتاب التشكيك ، كتاب التوحيد لابن خزيمة مع ما فيه من الأحاديث الصريحة الصحيحة في الأسماء والصفات ، ولما طبع كتاب الدارمي الذي هو رد الإمام الدارمي على بشر المريسي العليل امتعض أيضا لذلك وغضب وأنكر على الذين طبعوه ، وذلك؛ لأن فيه تصريح بالرد على شبهات المعتزلة والأشاعرة ونحوهم ، فهو في هذا الباب يبالغ ـــ عفا الله عنه وعامله الله بما يستحق ـــ يبالغ في الرد على من يحدث هذه الصفات ، وقد سمعنا أنه حقق كتاب "الأسماء والصفات" للبيهقي وأفسده بكثرة التأويلات والتحريفات التي علق عليه ، وقدم له مقدمة ذكر فيها ابن تيمية وابن القيم وبالغ في الحمل عليهما ، وسبهما سبا مقذعا نحن نقول: المرجع هو الدليل ، هل تستطيع يا كوثري أو غيره أن ترد هذه الأدلة ؟ لا تستطيع ذلك إلا بتأويلات بعيدة يبعدها العقل ، فعلى المسلم أن يأخذ الدليل منه ، ويقول بعض العلماء في الأقوال: أيها المنصف انظر إلى المقال لا إلى القائل ، انظر إلى القول ولا تنظر إلى من قاله ، فاقبل الحق ممن قاله ولو كان عدوا بعيدا ، ورد الباطل على من قاله ولو كان صديقا حميما ، والله أعلم وصلى الله على محمد .

السلام عليكم ورحمة الله، ﷺ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه .

انتهينا من أدلة إثبات صفة العلو لله –سبحانه– ، وكان آخر ما قرأنا الأثر المروي عن الإمام مالك ، وهو قوله: الاستواء معلوم أو غير مجهول والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، ويقال: هذا من الصفات ، فإذا قيل: كيف نزل ؟ نقول: النزول معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، أو كيف يجيء؟ أو كيف يأتي؟ أو كيف يتكلم؟ أو ما أشبه ذلك، الكيف

مجهول ، ثم هذا أيضا معنى ما أثر عن السلف في قولهم في آيات الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف ، وكثيرا ما يقولون في آيات الصفات طريقة السلف: إمرارها كما جاءت من غير تكييف ، فهذه طريقتهم ، وقد ذكرنا وتكرر معنا أن قوله: الاستواء معلوم ، يقال أيضا كذلك في بقية الصفات ، ويقال في المحبة وفي الرحمة وفي الرضا وفي الغضب وفي الإرادة وفي العلم أنها معلومة ولها كيفية ، تلك الكيفية مجهولة ، والآن نبدأ في مسألة الكلام ، نستمع إلى كلام الموفق:

إثبات صفة الكلام لله تعالى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال ـــ رحمه الله تعالىـــ: " فصل ومن صفات الله –تعالى– أنه متكلم بكلام قديم، يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى –عليه السلام– منه من غير واسطة، وسمعه جبريل –عليه السلام– ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه –سبحانه– يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ، ويأذن لهم فيزورونه" .

مسألة الكلام التي وقع فيها الخلاف ، ولعل الذين أنكروها توهموا أنها تستلزم ما يستلزمه الكلام في الإنسان ، قالوا: إن الإنسان إنما يتكلم بلسان ، وبشفتين وبأسنان وبلهوات وبحنجرة وبنفس ونحو ذلك ، وهذه ينزه الرب أن تكون ماثلة فيه فلأجل ذلك أنكروا أن يكون الله –تعالى– متكلما ، ثم جاءهم القرآن والذي كما سيأتينا أنه كلام الله فادعوا أنه مخلوق ، وقد أنكر عليهم السلف ـــ رحمهم الله ـــ إنكارا بليغا وشددوا في الرد عليهم وضللوهم في هذه الصفة التي جحدوها وبينوا الأدلة الواسعة الواضحة في إثباها وبينوا النقائص التي تستلزم من نفيها التي تلزمهم إذا نفوها وبينوا الأدلة العقلية والنقلية ، اشتهر أن أول من أظهر إنكارها هو الجعد بن درهم، الذي أنكر أن الله متكلم وأنكر أن الله كلم موسى وهو الذي قتله خالد القسري في يوم العيد وفيه يقول ابن القيم في النونية:

ولأجـــــل ذا ضحّـــى بجـــعد	القســـري يـــوم ذبـائح القربـان
خـــــــــــالد	كلا ولا مـوسـى الكلـيم الـداني

إذ قــــال: إبـــــــــراهيم ليـــــس خليلـــــــــــــــــــــــــه
لـلــه درك مــــن أخـــــي قربـــــان
شـــكر الضـــحية كـــل صـــــاحب ســـــــــــــــــــــــنة

أي: جعله بمترلة الأضحية التي يتقربون بها في يوم العيد ، فشكروه على ذلك، وذكر من عقيدته أنه قال: إن إبراهيم ليس خليل الرحمن ، إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم موسى تكليما ، فهذا من أول ما ظهر من هذه البدع ، وتمكنت هذه المقالة في الجهمية وتمكنت في المعتزلة وصرحوا بأن القرآن مخلوق وبأن الله لا يتكلم –تعالى– الله عن قولهم.

وسيأتينا أدلة واضحة في أن الله –تعالى– متكلم ، أما قول الموفق: إنه متكلم بكلام قديم فلا يفهم منه أن كلام الله قديم، ثم انقطع بل الله –تعالى– لا يزال يتكلم إذا شاء؛ ولذلك الصواب أن يقال: إن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، ومعناه أنه قديم النوع، يعني: جنس كلام الله قديم ليس له مبتدأ، وأما آحاده فإنها تتجدد ، فيتكلم إذا شاء بما شاء؛ ولأجل ذلك استدل بأن الله –تعالى– أسمع كلامه من يشاء، سمع موسى كلام الله كما تقدم في قوله: أبكلامك أسمع أم كلام رسولك فقال: بل كلامي يا موسى وسمعه أيضا جبريل عليه السلام ويسمعه المؤمنون في يوم القيامة إذا كلمهم.

فعلى هذا الله –تعالى– متكلم بكلام مسموع كما يشاء ولا يلزم من ذلك محذور ، ولا تلزم الإلزامات التي أثبتوها في أن الكلام لا يخرج إلا من بين الشفتين ومن بين اللهوات، ومن الحنجرة وبدافع النفس ونحو ذلك، فإننا نقول: هذا كلام المخلوقين، وأما الرب –تعالى– فإنه يتكلم كما يشاء ، وقد تجدد في زماننا هذا خروج الكلام من غير اللهوات ولا من بين الشفتين ، فأنتم تشاهدون الإذاعة تتكلم في مظاهرها في أجهزة الراديو ونحوه ، وكذلك المسجل وفي الفيديو وما أشبهه ، فهل يقال: إن هذه

تتكلم بلسان وبشفتين ونحو ذلك ؟، إنما تحفظ الأصوات وتسجلها، ثم تخرجها إذا أخرجت دون أن يكون لها هذه الأدوات.

والحاصل أن الله -تعالى- يتكلم بكلام مسموع وأن الذين يسمعونه يفهمونه، فإذا سمعه أهل الجنة في يوم القيامة فهموا كلامه وموسى لما ناداه ربه وأسمعه كلامه كما في قول الشيباني في عقيدته:

على الطور ناداه وأسمعه الندا وكذلك جبريل عليه السلام قرأتم في كتاب التوحيد في باب قول الله -تعالى-: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ حديث النواس ابن سمعان في قوله ﷺ إذا أراد الله أن يوحي بالأمر -تكلم بالوحي- أخذت السموات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة خوفا من الله ﷻ فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما يشاء ﷻ فأثبت أنهم يسمعون كلام الله وأن السموات ترتجف منه، وأن جبريل يرفع رأسه وأن الله يكلمه ويسمعه كلامه ، وكذلك موسى ـــ كما سيأتي ـــ أسمعه الله -تعالى- كلامه.

قال -سبحانه-: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ وقال -سبحانه-: ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ وقال -سبحانه-: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ .

قوله -تعالى-: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ واضح بأن الله كلم موسى وأنه أسمعه كلامه، وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ يعني: موسى أي: من الرسل من كلمه الله وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ واضح في أن الله كلمه وأنه اصطفاه واختصه برسالته وبتكليمه له،

واضحة في أن الله أسمعه الكلام ، ذكروا أن أحد الجهمية جاء إلى أبي عمرو القاري ، أبو عمرو ابن العلاء أحد القضاة السبعة في العراق جاء إليه وقال: أريد منك أن تقرأ هذه الآية: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ بنصب الله، وقصده أن يكون موسى هو الذي كلم ربه هو الذي كلم الله لا أن الله هو الذي كلم موسى ، يريد بذلك نفي كلام الله لموسى ، ولكن أبا عمرو ـــ رحمه الله ـــ قال له: هب أني قرأت أنا أو أنت هذه الآية هكذا، لكن كيف تفعل بقول الله -تعالى-: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ هل تستطيع أن تغيرها ؟ هل تستطيع أن تقدم فيها أو تؤخر ؟ فتحير ذلك الجهمي وعرف أنه لا حيلة له في تغيير هذه الكلمة ، أراد أن يحرفها تحريفا لفظيا ويجعل الكلام من موسى لا من الله ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ فجاءت هذه الآية في سورة الأعراف التي تبطل تحريفه: ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ فقدم ضمير "كلمه"، الضمير المفعول به، والرب هو المكلم، فلم يكن له فيها حيلة.

ثم ذكر شيخ الإسلام أن المعتزلة والجهمية تأولوا هذه الآية الكريمة ، حرفوها تحريفا بليغا تحريفا عجيبا، فقالوا: التكليم: التجريح: ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ يعني: جرحه بأظافر الحكمة، وقالوا: إن الجرح هو الكلم كما في قوله ﷺ ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى ، اللون لون الدم، والريح ريح المسك .

فذهبوا مذهبا بعيدا وفسروا التكليم بأنه التجريح، سبحان الله! وهل التجريح شرف، وهل فيه ميزة، هل فيه ميزة لموسى؟ ولماذا اختصه بقوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ بعدما ذكر أنه أوحى إلى النبيين، وبقوله: ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ ؟ لو كان ذلك التجريح ما كان فيه فضيلة.

كيف يكون جرحه بأظافر الحكمة؟! التجريح عذاب سواء كان حسيا أو معنويا، ثم يبطله -أيضا- قوله -تعالى- في سورة الأعراف، الآية التي سمعنا، وهي قوله: ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ

بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ ولم يقل: بتكليمي، والكلام واضح بأنه أراد ما سمعه من كلام الله له، فبطل بذلك تأويلهم.

كذلك -أيضا- آية سورة الشورى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ ليس المراد أن يجرحه إلا وحيا، وهل الوحي تجريح بأظافر الحكمة؟ فعرف بذلك أن التكليم هو الكلام؛ ولهذا قال: ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ أو يكلمه من وراء حجاب، أو كما حصل لموسى. .

فقال -تعالى-: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ وقال -سبحانه-: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ وغير جائز أن يقول هذا إلا الله .

من الأدلة -أيضا- آيات النداء لموسى: "نودي" النداء هل يكون بغير الكلام؟ لا يعرف النداء إلا بالكلام، وقد ذكر الله النداء في عدة آيات حتى في سورة القصص ذكره في ثلاث آيات ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النداء لايكون إلا بصوت وبكلام، بكلام مسموع، قال الله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ وقال -تعالى-: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ .

وفي هذه الآية: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ "نودي" وكذلك قوله في سورة مريم: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ .

فلا شك أن النداء كلام مسموع، فلا بد أن يكون كلام الله الذي تكلم به من الكلام المسموع

الذي فهمه موسى من كلام الله؛ ولهذا لما سمع كلام الله سأل النظر إليه، فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ إلخ، فدل على أنه تحقق أنه سمع كلام الله، فلا شك أن هذه من الأدلة الواضحة آيات النداء، وهي كثيرة.

ثم لا شك أن موسى سمع قول الله -تعالى-: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ من الذي قال هذا لموسى؟ هل قالته الشجرة؟ هو لما رأى النار قال: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ .

يعني: سمع نداء الله: ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ ﴾ .

هل تقول هذه الشجرة هذا الكلام الذي ذكره الله، هل الشجرة تقول: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ ﴾ ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ ﴿ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ ﴾ ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ ﴾ ؟!

هذا لا يقوله إلا ربه -سبحانه- الذي هداه، فعرف بذلك أنه كلام صريح تكلم الله به.

وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه-: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء وروي ذلك عن النبي ﷺ .

يكفينا المرفوع عن النبي ﷺ قد ذكرت قريبا في الحديث المذكور في كتاب التوحيد به قوله -تعالى-: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ .

وقوله حديث: إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، وإذا تكلم بالوحي أخذت السماوات

رجفة شديدة خوفا من الله ﷻ فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله ﷻ صريح بأنه يكلمه الله من وحيه بما يشاء، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله.

فالحاصل: أن في هذا الدليل الواضح على أن موسى وعلى أن جبريل كل منهم سمع كلام الله، ولا بد أن يكون المسموع مفهوما لكل من سمعه .

وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ ﷻ يحشر الخلائق يوم القيامة حفاة عراة فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان ﷻ رواه الأئمة واستشهد به البخارى .

وهذا -أيضا- من الأدلة، هذا يكون في يوم القيامة عندما يبعثون من قبورهم يحشرون حفاة عراة غرلا بهما كما في بعض الروايات، حفاة أي: غير منتعلين ليس عليهم أحذية، عراة أي: ليس عليهم أكسيه عراة الأجساد كلا، غرلا أي: الرجال منهم غير مختنين، أي: إنه كما بدأ خلقهم، وكما خرجوا إلى الدنيا يكون خلقهم كاملا، يعود إليهم ما أزيل عنهم من تلك القلفة التي تقطع من مذاكيرهم في الصغر فيكونون غرلا بهما.

قيل: إن معناه أنهم يغلب عليهم السواد من الحر ومن العرق ونحوه، البهم: هو السواد، ومنه الكلب البهيم، وقيل: إن معناه أنهم لا يتكلمون كالبهائم؛ ولهذا قالوا في آيات أخرى: ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ هذا لأنهم شاخصة أبصارهم كما في قوله: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

والحاصل: أنه ذكر في هذا الحديث أنهم إذا حشروا يسمعون نداء الله -تعالى- ينادي بنداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، يخبرهم بأنه سوف يحاسبهم ، وتارة يكون النداء لبعضهم، في حديث

آخر أن النداء لموسى، ينادي الله موسى بصوت فيقول: يا آدم -ينادى آدم- ۞ يا آدم، أخرج من أمتك أو من ذريتك بعثا إلى النار ۞ ؛ فهذا ونحوه دليل واضح على أن كلام الله -تعالى- مسموع يسمعه من بعد ويسمعه من قرب.

وفي بعض الآثار ۞ أن موسى -عليه السلام- ليلة رأى النار فهالته وفزع منها ناداه ربه: يا موسى. فأجاب سريعا إستئناسا بالصوت، فقال: لبيك لبيك، أسمع صوتك أرى مكانك فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، فقال: فكذلك أنت -يا إلهى- أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسى ۞ .

لهذا من الآيات الإسرائيلية التي اضطر للاستئناس بها لا للاستدلال بها، وقد تقدم أنه -عليه السلام- قال: ۞ إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ۞ وكذلك قال: ۞ حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ۞ ؛ فإنه كان فيهم الأعاجيب .

، هذا الأثر فيه أن موسى لما أتى إلى الشجرة ناداه مناد فلباه، قال: لبيك. فعند ذلك سأله: أكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي . وأما قوله: ۞ أنا فوقك وعن يمينك وعن شمالك وأمامك وخلفك ۞ المراد أنه يذكره بقربه، أي: إني قريب منك، وإني أراك وأنك لا تخفى علي.

ولا ينافي ذلك أنه -تعالى- فوق عباده كما يشاء لاينافى صفة العلو والفوقية؛ حيث أنه أراد بذلك القرب والمعية وعدم الغيبوبة عنه، أي: أنا عندك وأنا قريب منك، لايخفى علي من أمرك شيء.

وبكل حال هذا دليل على أن الله -تعالى- تكلم، وأنه أسمع كلامه لمن شاء ومنهم موسى .

ومن كلام الله -تعالى- القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود .

لما تكلموا على أن الله متكلم ويتكلم كان ولا بد من أن يذكر أمثله من كلامه الذي وصل إلى البشر، لا شك أن من أقرب ذلك هذا القرآن الذي بين أيدينا، الذي هو أعظم الكتب والذي هو أشرفها - الكتب المنزلة على الأنبياء-، لا شك أنه كلام الله.

معلوم أن الله أنزل على الأنبياء كتبا: أنزل على موسى التوراة، وأنزل على عيسى الإنجيل، وأنزل على داود الزبور، وأنزل على إبراهيم صحفا كما في قوله: ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

فأنزل على الأنبياء كلاما، ولا شك أن ذلك كله من كلام الله الذي تكلم به، وضمنه شريعته وأمره ونهيه، وكان من آخر الكتب هذا الكتاب المبين، وهذا الذكر الحكيم الذي وصفه بذلك، وصفه بأنه الذكر الحكيم -أي: المحكم-، وصفه بأنه القرآن المبين -يعني: المبيِّن-، وصفه بالهدى، وصفه بالبيان، وصفه بالشفاء، وصفه بالموعظة، وصفه بصفات تدل على عظمته وعلى عظم مكانته.

وأخبر بأنه منزل من الله في قوله -تعالى- في سورة الشعراء: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ أنزله الله بلسان عربي حتى يفهمه المرسل إليهم؛ قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ .

فجعل هذا القرآن بلسان قوم النبي ﷺ وبلسان العرب مع أن كلام الكتب المنزلة قبله بألسنة الذين نزلت عليهم بالسريانية وبالعبرية التي هي لسان اليهود أو النصارى، أما القرآن فإنه بهذه اللغة الفصيحة

بلسان العرب .

هذا هو قول أهل السنة: إن القرآن منزل غير مخلوق. ردا على الذين يقولون: إنه مخلوق. منه بدأ – يعني: تكلم به الرب –سبحانه وتعالى– وإليه يعود، إذا لم يعمل به في آخر الزمان يرفع من الصدور، ويرفع من الأسطر ومن الكتب، ولايبقى منه شيء.

هذا معنى قوله: وإليه يعود. كما فسر ذلك شيخ الإسلام في بعض كتبه "منه بدأ وإليه يعود" هذا هو قول أهل السنة: إن كلام الله –تعالى– كلام صحيح ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ وإنه كلام مسموع

.

أما الأشاعرة فذهبوا إلى أن الكلام معنى قائم بالنفس، معنى يقوم بالنفس. قالوا: إن عبر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبر عنه بالعبرية فهو توراة، وإن عبر عنه بالسريانية فهو إنجيل.

هكذا يقولون، وأنكروا أن يكون هذا الكلام الذي بهذه الحروف هو نفس كلام الله، وقالوا: إن كلام الله هو المعنى ليس هو اللفظ، اللفظ هذه الحروف التي في هذه المصاحف ليست هي عين كلام الله. وأرادوا بذلك التستر حتى لايقولوا: إن القرآن مخلوق.

وإنه قول قريب من قول المعتزلة الذين يقولون: إن كلام الله مخلوق، إن القرآن مخلوق. هؤلاء قالوا: إنه كلام الله، ولكن كلام الله المعنى دون اللفظ، وكثيرا ما يستدلون بالبيت المشهور في كتبهم يقولون: إن الشاعر العربي يقول:

إن الكـــــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا جعل اللســـان علـــى الفـــؤاد دلـــيلا

فيقولون: إن كلام الله هو المعنى دون اللفظ، وإن الكلام فى الحقيقة إنما هو ما يقوم بالنفس، وإن ما

يسمع باللسان لايسمى كلاما وإنما يسمى عبارة وحكاية. فيقولون: إن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله، وليس هو عين كلام الله.

فهذه عقيدتهم فكيف نرد عليهم؟ العرب لاينسبون للساكت كلاما، ولو كانت نفسه يجول فيها كلام إنما يسمى كلاما بعدما ينطق به، فأما قبل أن ينطق به فلا يسمى كلاما، وأما البيت الذي استدلوا به فينسبونه إلى الأخطل، وليس بصحيح، فلم يوجد بديوانه، وأكثر الشعراء وعلماء الأدب ينكرون هذا البيت ويقولون: إنه مختلق لا أصل له.

ثم رواه بعضهم:

إن البيـــــان لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا جعل اللســـان علـــى الفـــؤاد دلـــيلا

ثم لو قدرنا أنه صحيح، وأنه من قول الأخطل لم نقبله؛ وذلك لأن الأخطل نصراني مشهور بتمسكه بالنصرانية، ويفتخر بها ويمتنع أن يفعل ما يفعله المسلمون، تذكرون مقالته في قوله:

ولســـــت بقـــائم كـــالعير يدعـــــو قبيل الصبـــح حـــي علـــى الفـــلاح
ولســـــت بقـــائد عيســـــا بكـــورا إلـــى بطحـــــاء مكـــــة للنجـــــاح
ولســـت بصـــائم رمضـــــان طوعـــا ولســـت بـــآكل لحـــــم الأضـــاحي
ولكـــــني سأشـــــربها شـــــهولا وأســـجد عنـــــد منـــدرك الصـــباح

لا شك أن هذا يدل على كفر صريح، فإذا كان يفتخر بأنه نصراني فكيف يستشهد بكلامه في أمر

يتعلق بالعقيدة؟ وأيضا هو يسمى الأخطل، والخطل هو عيب في الكلام فلا يستشهد بكلامه، ثم – أيضا– هو نصراني، والنصارى قد غلوا في مسمى الكلام؛ حيث جعلوا عيسى نفس الكلمة، فإذا كان كذلك فكيف يستشهد بكلام هذا الأخطل النصراني على أمر من أمور العقيدة؟!

وقد ذكرت لكم البيت الذي قاله ابن القيم في "نونيته" حيث يقول:

ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني

وكذلك البيت المنسوب إلى شيخ الإسلام في "القصيدة اللامية" التي أولها:

يا سائلي عن منهجي وعقيدتي رزق الهدى ما للهداية يسأل

حب الصحابة كلهم ومودة القربى بها أتوسل

لمذهب لكنما الصديق منهم أفضل

ولكلهم قدر وفضل

ساطع

إلى قوله:

قم للكتاب وإذا استدل يقول قال الأخطل

ورائه

قم قل له: كيف ينظر الكتاب، ويستدل بقول الأخطل؟! فعلى هذا كيف يكون كلام الأخطل دليلا على مسألة الكلام وأن الكلام هو المعنى دون اللفظ؟! فالعرب لا تنسب للساكت كلاما، ولو كان يحدث نفسه، والنبي- صلى الله عليه وسلم- يقول: ﴿ عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لا تتكلم أو تعمل ﴾ .

ولما قال له بعض صحابته: ﴿ إن أحدنا ليجد في نفسه ما أن يخر من السماء أحب إليه من أن يتكلم به. فقال: الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة ﴾ .

والحاصل أنني أطلت في هذا، وهو رد ومناقشة لكلام هؤلاء الذين يقولون: إن الكلام هو المعنى دون اللفظ. نحن نقول: كلام الله القرآن لفظه ومعناه كله، كلام الله كما سيأتي.

القرآن سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات

وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض .

نشاهد هذا الوصف في مصاحف المسلمين أنه مائة وأربع عشرة سورة، وأن كل سورة فيها عدد آيات، وأكثر آياته سورة البقرة مئتان وست وثمانون آية، وأقل سوره أو أصغرها سورة الكوثر ثلاث آيات، وكذلك سورة العصر ثلاث آيات، وسورة النصر ثلاث آيات، ومنه ماهو فوق المئتين كالأعراف، ومئتان كآل عمران.

الحاصل: أنه سور وآيات، وأن الصحابة جزءوه إلى ثلاثين جزءا -يعني: قسموه تقاسيم متقاربة،

فجعلوه ثلاثين جزءا، وجعلوه أحزابا كل جزء جعلوه حزبين، ومعروف -أيضا- أن بعض العلماء اشتغلوا بعد آياته فذكروا أن آيات القرآن أكثر من ستة آلاف، ستة آلاف وزيادة مجموع آيات القرآن.

واشتغل بعضهم بعدِّ كلماته الكلمات التي هي قول مفرد، واشتغل بعضهم بعد حروفه أن هذه السورة كذا وكذا حرفا، وهذه الآية كذا وكذا آية؛ هذا دليل على أنه سور، وبكل سورة آيات وأجزاء وحروف وكلمات، له أول وله آخر بمعنى ما رتبه عليه الصحابة؛ حيث جعل أوله سورة الفاتحة وسموها فاتحة الكتاب، أنزلت السبع المثاني وجعلتها فاتحة الكتاب، وبينت الأحكام في البقرة، وكذلك كل سورة جعل لها اسم مما اشتملت عليه.

كذلك -أيضا- له آخر آخره سورة الناس، وترتيبه هذا الذي في المصاحف ترتيب من الصحابة، والأكثر من العلماء أنه توقيف أن النبي ﷺ أوقفهم على هذا الترتيب فقال: «اجعلوا هذه السورة بعد هذه السورة» أو نحو ذلك.

ومن العلماء من يقول: ترتيب السور باجتهاد من الصحابة؛ قدموا السبع الطوال، ثم أتبعوها بالمئين، ثم اتبعوها بالمثاني، ثم اتبعوها بالحواميم، ثم ختموها بالمفصل؛ وذلك اجتهادا منهم، وقالوا: إن مصاحف الصحابة اختلفت في هذا الترتيب، ولكن بكل حال نرفض أنه كان يقرأ وقت النبي أو زمن النبي ﷺ مرتبا.

يدل على أنه كان يقرأ كله، وبكل حال لا ينافي كونه كلام الله.

وصف القرآن

متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ

تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ .

هذا من وصف القرآن: نتلوه بالألسن، نقرأه بألستنا، ونتلفظ بكلماته، ونسمعه بآذاننا نسمعه؛ قال الله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ ونكتبه بأيدينا في المصاحف يكتب في المصاحف، ويسطر فيها أسطرا متتابعة، فهو بهذه الصفات لايخرج عن كونه كلام الله إذا قرأه القارئ؛ فإنه كلام الله.

يقال: هذا يتكلم بكلام الله، ولو كان ذاته شكاية لغيره، فإذا قلنا -مثلا-: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ قلنا: هذا كلام الله عن فرعون، وإذا قرأنا قوله: ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ قلنا: هذا كلام الله عن إبليس.

فالحاصل: أنه إذا كتب لن يخرج عن كونه كلام الله ، وإذا قرئ وإذا سمع وإذا نسخ مصحف في مصحف فكله كلام الله .

اشتمل القرآن على محكم ومتشابه في قوله -تعالى-: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ ﴾ وقد فسر المحكم بأنه: الذي ليس به نسخ ولا تغيير، وبأنه الذي يفهم من أوله، يفهمه الذي يسمعه .

هذا هو المحكم، آيات الإحكام محكمة ظاهرة الإحكام، وأما المتشابه فهو: الذي يشتبه على بعض الناس. وقد تقدم في أول الرسالة ذنب الذين يتبعون ما تشابه منه، وهو من أهل الزيغ، وذكرنا أمثلة مما يتشبسون به، وفيه -في القرآن- أمر ونهي، الأوامر والنواهي كثيرة: الأمر منه قوله: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ والنهى: ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ وفيه ناسخ ومنسوخ -يعني: آيات منسوخة، منسوخ لفظها أو

منسوخ معناها.

وما هو بكم في أصول الفقه للناسخ والمنسوخ، كذلك -أيضا- فيه مطلق ومقيد، المطلق: الذي يحتاج إلى تقييد. مثل قوله: ﴿ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ والمقيد: ﴿ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ ﴾ ونحو ذلك -يعني: فيه هذه الكلمات التي اشتمل عليها- وكله لايخرج عن كونه كلام الله، وصفه الله بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

.

"العزيز" يعني: الجليل، عزيز يعني: ذو عزة وذو قوة وذو بلاغة وذو أسلوب قوي. "لا يأتيه الباطل" الباطل: معناه الخطأ لايتطرق إليه الخطأ من بين يديه ولا من خلفه من أية جهة؛ لأنه كلام الله.

﴿ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ لو اجتمع أولهم وآخرهم على أن يعارضوه ويأتوا بقرآن مثله لعجزوا عن ذلك، فهذا تحدٍ من الله وإخبار بأنهم عاجزون، وقد وقع كما أخبر فدل ذلك على أنه كلام الله.

القرآن كلام عربي

وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ وقال بعضهم: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ فقال الله: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وقال بعضهم: هو شعر؛ فقال الله: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ فلما نفى

الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهه لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو حروف وكلمات وآيات؛ لأن ما ليس كذلك لايقول أحد: أنه شعر .

يشير إلى أن القرآن الذي هو كلام الله هو هذا الموجود الذي في المصاحف؛ فإنه كلام عربى، قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ كيف يرسل إلى قوم عرب ويكون القرآن أعجميا!

وقال -تعالى-: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ وصفه بأنه لسان عربي، ثم حكى الله عن المشركين الذين عارضوه هذه الحكايات، فحكى عنهم أنه أساطير الأولين لما سمعوا فيه هذه القصص، قالوا: إنه أكاذيب الأولين.

قال -تعالى-: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ كيف تملى عليه وهو لم يخط لقوله -تعالى- ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ كيف تملى عليه وهو أمي لم يكن يقرأ ولا يكتب؟!.

كذلك حكى الله عنهم أنهم قالوا: إنه شعر، إنه كهانة. الشعر معروف أنه له أوزان وله قواطع وله قواف؛ وهذا ليس كذلك. والكهانة معلوم أن الكهنة يستعملون السجع في كلماتهم سجعات متتالية، وليس كذلك القرآن؛ ولهذا نفاه الله قال -تعالى-: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

ولما أوردوا هذه الإيرادات على بعض كفار قريش لم يقنع بها، فقالوا: ماذا تقول. قال: نقول: "إنه سحر يؤثر" يعني: ينقل ممن قبله، فقال الله -تعالى- عنه ما حكاه الله أنه قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

كيف يكون سحر يؤثر! من أين أثر، ومن أين جاء؟.

فالحاصل: أن هذا دليل على أنهم يشيرون إلى القرآن الذي يتلى عليهم؛ لأنه لو كان -مثلا- معنويا لم يوصف بأنه شعر، ولا أنه سحر، ولا أنه كهانة، ولا أنه أساطير الأولين، ولا أنه افتراه كما في قولهم: افتراه . -يعني: كذبه واختلقه- فدل ذلك على أنهم يشيرون إلى هذا القرآن .

من الأدلة على أن القرآن كلام الله لفظا تحدي الله للكفار أن يأتوا بمثل مثله

وقال الله -تعالى-: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما يدرى ما هو ولا يعقل .

يشير إلى أن المثل لا بد أن يكون معروفا مشهورا مشاهدا، فقوله: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ في سورة البقرة، وفي سورة يونس ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾ لو كان المراد المعنى الذي تتخيله الأشاعرة أنه المعنى لم يعرفوا المثل؛ لأنهم يقولون: إن القرآن إنما هو هذا المعنى، وأما اللفظ فإنه تعبير من محمد وتعبير من جبريل وهذا خطأ، وإلا لما قال الله: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ .

من الأدلة على أن القرآن كلام الله لفظا قول المشركين " ائت بقرآن غير هذا أو بدله"

وقال الله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ ﴾ فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم، وقال -تعالى-: ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ ﴾ بعد أن أقسم على ذلك، وقال -تعالى-: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ﴾ ﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ ﴾ وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة .

دليل على أنه هو هذا القرآن؛ فإن قوله -تعالى- في سورة "يونس": ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَـٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾ الإشارة إلى هذا الذي يسمعونه: ﴿ ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَـٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴾ .

أخبر بأنهم يشيرون إلى شيء، بقرآن غير هذا "أو بدله" فدل على أن هذا هو الذي سمعوه، وهو الذي قرأه عليهم، وكذلك آية سورة "العنكبوت": ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾ ﴿ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٞ فِي صُدُورِ ﴾ يعني: محفوظ في صدورهم، في صدور الذين أوتوا العلم؛ فدل على أنهم يسمعون أو يحفظون هذه الآيات التي اشتملت عليها هذه السور، فدل على أنه كلام مسموع له مبادئ وله كلمات وحروف وما أشبهها.

وكذلك ما أقسم الله في سورة الواقعه في قوله -تعالى-: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ ﴾ يعني: مكتوب أصله في اللوح المحفوظ: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

هذه الصفات صفات القرآن: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ لا شك أن هذه كلها صفات للقرآن الذي بين أيدينا فكيف يكون بالمعنى! لا شك أنه أراد هذا الكلام المحفوظ المسموع.

وقوله: افتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعه. يعني: التي افتتح بالحروف، يعني: -مثلا- آلم البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والسور التي بعدها، وكذلك المر، والسور التي بعدها، والمص، وكذلك السور المتفرقة: كطه، وكهيعص، والحم، والطسم، ويس، وص، وق، ون، وطه، مجموعها تسع وعشرون سورة افتتحها بالحروف المقطعة.

هذه الحروف لا شك أنها حروف؛ لأنها تنطق بنفس الكلمة -يعني: هو يكتب حرفا- ولكنه ينطق بكلمة، فإن قولك -مثلا-: "كاف" ما يكتب فيه ألف وفاء بل يكتب "ك"، وكذلك "عين" ما تكتب الياء والنون إنما تكتب "ع"، وهكذا رويت ونطق بها النبي ﷺ .

من الأدلة على أن كلام الله هو هذا القرآن الذي فيه حروف

وقال النبي ﷺ 🕮 من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة 🕮 حديث صحيح.

وقال -عليه السلام-: 🕮 اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لايجاوز تراقيهم، يتعجلون آخره ولا يتأجلونه 🕮 وقال: أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-: "إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه"، وقال علي -رضي الله تعالى عنه-: "من كفر بحرف منه فقد كفر به كله".

واتفق المسلمون على عد سور القرآن وكلماته وآياته وحروفه، ولاخلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو كلمة أو آية أو حرفا متفق عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

فهذه الأدلة أدلة واضحة على أن القرآن به كلمات وحروف وآيات ونحوها، وقوله ﷺ 🕮 من قرأ

القرآن فله بكل حرف حسنة، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف، والحسنة بعشر أمثالها ﷺ .

أخبر بأنه يثاب على هذه الحروف، دل على أن القرآن هو هذه الحروف، وكذلك قوله: ﷺ من قرأ القرآن فأعربه ﷺ ﷺ من قرأ القرآن ولحن فيه ﷺ ﷺ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ﷺ ويقول: ﷺ تعاهدوا القرآن؛ فإنه أشد تفلتا من صدور الرجال من الإبل في عقلها ﷺ .

ويحث على تعلمه وتعليمه: ﷺ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﷺ ويخبر بحظ من يحمله: ﷺ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ﷺ يعني: إنه يقرأ القرآن وإن القرآن قد امتلأ به قلبه، وامتلأ به ضميره، وكذلك كلام الصحابة الذي سمعنا تفضيلهم إعراب القرآن -يعني: تجويده وتحقيق كلماته على كثرة التلاوة- كل ذلك دليل على أنهم فهموا أن القرآن هو هذا المكتوب الذي في المصاحف، الذي هو كلمات وحروف.

وكذلك اتفق أهل السنة واتفق أئمة الأمة على أنه يجوز أن تعد كلماته وأن تعد حروفه وأن تعد آياته؛ لذلك دليل على أن كلام الله هو هذا القرآن الذي فيه حروف، وذلك مبالغة الإمام الموفق -رحمه الله- في ذلك يشير إلى أن قول المعتزلة: "إنه مخلوق" قول باطل.

وكذلك قول الأشاعرة: "إن الله لا يتكلم بحرف وصوت" قول باطل؛ إنهم يريدون بذلك إبطال قول القرآن، كلام الله حروفه ومعانيه؛ فإن كلام الله هو القرآن حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

ولما اشتهر شيخ الإسلام -رحمه الله- بأنه يثبت كلام الله، ويثبت أن الله يتكلم بكلام مسموع أنكر ذلك عليه الأشاعرة، ولما أخبروه في نصب لمجادلته انتصب له أحد علماء الشافعية، ووقف خصما له عند القاضي أو رئيس القضاة في ذلك الوقت من الحنفية، فقال له: أدعي على هذا الفقيه أنه يقول: إن الله يتكلم بحرف وصوت.

هكذا نقموا عليه: "إن الله يتكلم بحرف وصوت". كأن هذه كبيرة عندهم، وكأن هذا أكبر الذنوب وأكبر الكبائر وأنه كفر، فلم يكن من شيخ الإسلام إلا أنه ذكر لهم الأدلة، وطلب منهم أن يفسروها فعجزوا عن ذلك، ولما كان كذلك اجتهد الشيخ موفق الدين في هذا الباب في أن يورد كافة الأدلة التي تثبت أن كلام الله -تعالى- هو هذا القرآن حروفه ومعانيه.

س: يقول السائل: قام أحد الأشخاص ببناء مسجد في حينا، وهذا الشخص عرف لدى الناس بأنه يستثمر أمواله في البنوك الربوية، فما حكم الصلاة في هذا المسجد سواء بالنسبة لأهل الحي أو لغيرهم؟.

ج: لامانع من الصلاه فيه؛ فإن الذنب على المكتسب، فأما المال نفسه فإنه مال الله يؤتيه من يشاء، فإذا أخرجه وبنى به مسجدا فهو من أفضل ما عمله.

الحاصل: أنه لامانع من أن يصلي فيه، ولو كان من ثمن الكلاب، أو من ثمن الخمور، أو من غير ذلك، أموال المشركين التي هي من ثمن الخنازير وثمن الخمور وما أشبهها يغنمها المسلمون ويبنون بها المساجد.

س: يقول: كل مسلم يعرف زكاة عيد الفطر نوعها ووقت إخراجها، ولكن هناك دول تلزم المواطنين بدفع زكاة على عدد الأنفس نقودا للدولة غير الزكاة المفروضة شرعا، ويتم دفعها في شهر عشرة، فما رأى فضيلتكم فمن مثل هذا العمل، هل هو صحيح أو باطل، وإذا كان باطلا فما يجب على المواطنين أن يفعلوه؟.

ج: ليس بباطل -إن شاء الله- مادام أنها تلزمهم فليس لهم إلا الامتثال، وحيث أن هناك مذهب الحنفيه: "جواز إخراج الزكاة نقودا زكاة الفطر قيمة" فلا مانع من أن يتعاونوا على حسب ما تلزمهم به، ولكن إذا قدر أن أحدا سلم من إلزام الدولة له هذا الإلزام فيخرجه طعاما كما أراد.

س: يقول هذا السائل: ما حكم التشكيك فى القبلة؛ إذ نرى البعض يشكك بقبلة بعض المساجد بحجة أن البوصله تدل على أن القبله منحرفة؟.

ج: لامانع من الانحراف اليسير؛ ففى الصحيح أنه ﷺ قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»

يخاطب أهل المدينه؛ لأن قبلتهم جنوب فيقول: إذا صليتم بين المشرق والمغرب هنا أو هنا فإن ذلك جائز، ونحن كذلك نقول: ما بين الشمال والجنوب قبلة.

أما هنا أو هنا فلا مانع، ولكن لنا عند تأسيس المساجد الأولى أنه يتحرى بها تحريا دقيقا.

س: هذا السائل يقول: قوله ﷺ ﴿ الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ﴾ فما المقصود بقوله: ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ وهل هذا الحديث صحيح؟.

ج: صحيح هذا الحديث، قاله عند خروجه من الدنيا في آخر حياته يوصيهم بالصلاة؛ لأنها أفضل الأعمال البدنية، ويوصيهم بالمماليك أن يرفقوا بالمماليك، وألا يسيئوا صحبتهم، وألا يشددوا عليهم.

والمماليك: هم الأرقاء الذين ملكوهم بملك اليمين سواء شراء أو وراثة أو غنيمة أو نحو ذلك.

س: ويقول -أيضا-: ما حكم تقويم الأسنان، وهل يكون فيه تغير لخلق الله؟.

ج: يظهر أنه لا مانع من ذلك، لا مانع -إن شاء الله- من أن يقوم أسنانه إذا لم يكن في ذلك ضرر عليه، يعني: بحك بعض الأسنان، أو بتسوية الزائد منها، أوما أشبه ذلك.

س: وهذا يقول: هل الكفار يكلمهم الله لقوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ وهل يعارض هذا القول: ﴿ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ ؟.

ج: نعم، في القيامة يسمعون كلام الله عندما يناديهم، يسمعون هذا النداء سماعا عاما، مر بنا في الحديث: أنه ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب. وأما قوله: ﴿ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فالمراد -والله أعلم- لا يكلمهم كلام رحمة، وإلا قد أخبر بأنه يكلمهم كلام شدة كما في قوله -تعالى- قال: ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

س: هل يجوز تشغيل العمال الهندوس في الأعمال التجارية، وهل نعاملهم بإحسان؟.

ج: لايجوز ذلك إذا وجد غيرهم، أو أمكن الحصول على غير الكافر، فلا يجوز تشغيله أيا كان؛ وذلك لأن فيه إعانة لهذا الكافر، وفيه تعزيز له، وفيه تقوية لمعنويته، وفيه إعطاء له لهذه المصلحة وهذه

المنفعة، ثم -أيضا- فهم يأخذون هذه الأموال ويتقوون بها على حرب الإسلام والمسلمين، سواء النصارى على التبشير ضد الإسلام، أو الهندوس على حرب المسلمين وإبادتهم، أو البوذيين على شركهم وعبادتهم غير الله.

ومادام أنه يوجد كثير من البلاد التي فيها مسلمون محققون الإسلام فيستغنى بهم، أما معاملتهم إذا وجدوا فإذا رجي إسلامهم وقناعتهم بالإسلام فهو الأولى أنهم يعاملون حتى يدخلوا في الإسلام، وأما إذا عرف عنادهم واستكبارهم فيعاملون بالشدة.

وهذا يقول: قال ابن حزم: إن كل اسم معبد لايجوز إلا لله عدا اسم عبد المطلب نقل هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب التوحيد قال: أجمعوا على أن كل اسم معبد لغير الله لا يجوز: كعبد شمس، أو عبد الحارث، أو نحو ذلك، حاشا عبد المطلب.

والصحيح: أنه لا يجوز في الإسلام تسمية تعبيد لغير الله -تعالى-، وأما عبد المطلب لايجوز؛ وذلك لأنه اسم جاهلي، وأما افتخار النبي ﷺ في قوله: ﴿ أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ﴾ فهو مجرد نسبة، يعني: تعريف كما أنه ابن عبد مناف، أي: من أجداده ابن عبد مناف، وأجداده عبد المطلب، وكذلك من قريش عبد شمس، عبد الدار، بنو عبد شمس، بنو عبد الدار، فلا يزالون يذكرون.

فأما في الإسلام فلا يسمى عبد المطلب، ولا يسمى عبد الحارث، ولايسمى عبد الدار، ولا يعبد أحد لغير الله، والرافضة الآن كما يسمون عبد علي أو عبد الحسين أو عبد الحسن أو نحو ذلك، خالفوا هذه النصوص وجعلوا عبوديتهم لغير الله تعالى.

س: يقول: هل صفة الكلام لله صفة ذاتية أو فعلية؟.

ج: ذاتية؛ ذلك أنها صفة كمال، ولأن ترك الكلام نقص وعيب؛ لأن ضد الكلام الخرس، ولأن الله عاب عجل بني إسرائيل في قوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴾ فدل على أنها صفة كمال، وأنها ثابتة له؛ فهي ذاتية.

س: وهذا يقول: أشكل علي الأثر الذي أورده ابن كثير عن أنس بن مالك؛ حيث قرأ الآية في سورة "المزمل": ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦ ﴾ وأصوب قيلا، فلما سئل عن ذلك قال: إن أصوب وأقوم وأهيأ وأشباهها بمعنى واحد. وهل ذلك يجيز التصرف في اللغة بألفاظ القرآن ما لم تخالف المعنى؟.

ج: لا إشكال في ذلك، والصحيح أن هذا جاء به على وجه التفسير "وأصوب قيلا" أنه قرأه على وجه التفسير، وأنه قراءة "وأصوب" إنما هي بالمعنى، وهناك من يجيز القراءة بالكلمات المترادفة، كما روي أن بعض الصحابة أخذ يقرئ أعرابيا كلمة في آخر سورة الدخان، ويقول: هو في قوله في صفة جهنم: ﴿ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ ﴾ فصعب عليه النطق بطعام الأثيم فقال له: قل: طعام الفاجر. فدل على أنه يقرأ ذلك لأجل التفسير ولأجل الإيضاح.

س: فسؤال جاء به هذا الطفل وهو سؤال خاص يقول: زوجة والدي أرضعت ولد أخي، فهل أزوجه أحد بناتي؟.

ج: لا تزوجه مادام أن زوجة والدك أرضعته؛ فإنه قد أصبح أخا لك، لأنه ابن لوالدك، لأن اللبن للوالد، فإذا أصبح ولدا لك فلا تزوجه بناتك؛ لأنه عمهم. والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم.

السلام عليكم ورحمة الله: ﷺ والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه.

قرأنا في الليلة الماضية ما يتعلق بكلام الله وما يتعلق بالقرآن، وقد توسع الموفق -رحمه الله- في باب القرآن أنه كلام الله، ولعل توسعه قوة الخلاف وكثرته، وقل: قدمه، وكثرة النزاع فيما بين أهل السنة وبين +كالمعتزلة، فإنهم يدعون أن هذه طريقة الحنابلة، وأن هذا مذهب الحنابلة فقط، أنهم هم الذين يقولون: أن الله يتكلم بحرف وصوت، أو أن القرآن هو كلام الله حروفه ومعانيه.

وأما غيرهم فيقولون: إنه عبارة، أو إنه حكاية عن كلام الله، أو إن الكلام هو المعاني، أو إن الكلام

معنى يقوم بالمتكلم، يقوم بحد أنه هو الكلام المسموع، وينكرون أن يكون الله يسمع أو يتكلم بكلام يسمعه من قرب أو من بعد، فلما كانوا يرمون الحنابلة بهذا ويسمونه بذلك مشبهة وجهلية، وممثلة وحشوية، ونوابت وغثاء، وغثرا ونحو ذلك من ألقابهم التي يشينون بها أهل الإسلام أو أهل عقيدة سببية.

لا جرم أورد ابن قدامة -رحمه الله- الأدلة الكثيرة على أن الله -تعالى- متكلم ويتكلم إذا شاء، وأن الكلام صفة كمال، وأن نفيه صفة نقص، وأن الناقص هو الذي لايقدر على الكلام؛ ولهذا عاب الله عجل بني إسرائيل بنفي الكلام في قوله -تعالى-: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴾ .

عيب فيه أنه لا يكلمهم فدل على أن الله -تعالى- يكلم عباده، وأنه يكلم ملائكته، وأنه هو الإله الحق، فلما أخبر الله أنهم اتخذوا عجلا جسدا له خوار وأنه لايكلمهم دل على أنه كل من لا يكلم فإنه لا يصلح أن يكون إلاها لوجود النقص الواضح فيه.

أما ما يتعلق بالقرآن فقد توسع العلماء في ذكر الأدلة على أنه كلام الله، واستدلوا بالآيات الصريحة مثل قوله -تعالى- في البقرة: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ وكقوله -تعالى-في سورة الفتح: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ صريح؛ حيث جمع بين الكلام والقول.

وكذلك في القرآن آيات كثيرة يذكر فيها أو يسند فيها القول إلى نفسه: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ ﴾ ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ ﴾ ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ وكذلك تسميته قيلا وحديثا: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ .

كل ذلك أدلة واضحة على أن نأتي هذه الصفة، ولما أن المعتزلة تمكنوا وادعوا أن الله -تعالى- لا

يتكلم لم يكن بد من أن يقولوا في القرآن: "إنه مخلوق" ولما قالوا بذلك وزينوه لبعض الخلفاء كالخليفه العباسي المأمون، وزينوا له هذا المعتقد حيث استولى عليه الكثير من المبتدعة من العرب كابن أبي دعاء، ومن العجم -يعني: كثير من الترك والروم ونحوهم ممن أرادوا بذلك أن يذلوا الأمة-، فعند ذلك حصلت المحنة العظيمة، محنة أئمة الإسلام: فمنهم من أجاب وادعى أنه مكره، ومنهم من اختفى، ومنهم من امتنع وصبر.

و لم يشتهر بالصبر على الأذى غير الإمام أحمد، وزينوا له بابه وقالوا له: وافق وأنت مكره على أن القرآن مخلوق. ولكنه اعتذر وقال: لو وافقت لانخدع بي وقلدني جماهير كثيرة وكنت سببا في إضلالهم.

ذكروا أنه قال لذلك الرجل: اخرج وانظر من في الأذقة ومن في التراب، وإذا خلق عظيم ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر ما يقوله أحمد حتى نثبته ونكتبه. فرجع إليه وأخبره بأنه وجد ألوفا؛ فقال: لو قلت: إن القرآن مخلوق ووافقوني كلهم لصرت سببا في إضلال هذا الجمع الكبير.

فتحمل الإيذاء وصبر على الحبس سنين، وصبر على الجلد حتى كاد جلده يتمزق من شدة الضرب صبر على ذلك، ومدحه العلماء وأثنوا عليه حتى يقول فيه بعضهم لما ذكر مذهبه: ومذهب الإمام أحمد بن محمد -أعني ابن حنبل- الفتى الشيباني... إلى أن قال لما ذكر ضربه يقول:

ويقول عند الضرب لست بتابع ... يا ويحكم لكم بلا برهان
أترون أني خائف من ضربكم ... لا والإله الواحد المنان
كن حنبليا ما حييت فإنني ... أوصيك خير وصية الإخوان
ولقد نصحتك إن قبلت فأحمد ... زين الثقات وسيد الفتيان
حمدا لربي أن هداني لدينه ... وعلى طريقة أحمد أنشاني
واختار مذهب أحمد فيما صبر ... ومن الهوى والغي قد أنجاني

فصبره وقوله: "لن أجيبكم ولو فعلتم ما فعلتم" صار سببا للثناء عليه، ولتوقيره وتقديره رحمه الله وأكرم مثواه.

وبكل حال مر بنا القول بأن القرآن كلام الله، والأدلة عليه وأنه حروف وأنه له معان، وأن هذا القرآن الذي بين أيدينا، والذي هو سور وآيات وأجزاء وحروف وكلمات وأحزاب، وله أول وآخر وفيه المحكم والمتشابه، وفيه المجمل والمبين وفيه المطلق والمقيد، وفيه القصص والأمثال، وفيه الأحكام والوعد والوعيد، مشتمل على كل ذلك، فيه والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك، أنه هذا هو عين كلام الله، وأنه الذي تلقته الأمة بالقبول، ونقل نقلا متواترا حتى لا يشك فيه.

كتب في المصاحف:

أولا: كان محفوظا في الصدور في العهد النبوى، ولما حصلت واقعه اليمامة التي مع بني حنيفة قتل فيها خمسمائة من القراء وحملة القرآن، فخاف الصحابة أن يفقد شيء من القرآن، فحرصوا على حفظه فكتبوه في عهد أبي بكر في مصحف متكامل حتى لايفقد منه شيء، ولما كان في عهد عثمان ووجد بينهم اختلاف في قراءته أمر بنسخ المصاحف، فرتبت على هذا الترتيب.

وكتب في هذا المصحف العثماني أو الرسم العثماني، وانتشر في الآفاق، وحفظه الصغير والكبير، وأصبح محفوظا كله لا يقبل الزيادة ولا يقبل النقص، من جحد منه شيئا –من جحد منه سورة أو كلمة أو حرفا مجمعا عليه– اعتبر قد جحد شيئا من كلام الله، ومن رده أو شك في صحته اعتبر طاعنا في كلام الله و طاعنا في آياته ومعجزة رسوله ﷺ .

فواجب على الأمة أن يحترموا هذا الكتاب، وأن يتخذوه دليلا؛ ولأجل هذا يعتبر هو أقوى الأدلة،

وذاك إلا بثبوته القطعي، و-أيضا- يعتبر هو الدليل الواضح الذي دل على أن ما استدل به وما اشتمل عليه فلا يجوز مخالفته.

إذا جاءك الدليل من القرآن دليلا واضحا فإنك تقدمه على كل دليل، وتعمل به وتطرح به كل ما يخالفه، مشهور في حديث معاذ: قال له النبي ﷺ كيف تقضي؟ فقال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ . قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي .

بدأ بالاستدلال بالقرآن، أن يبدأ بالقرآن قبل كل شيء، وهذا دليل على أنه هو الدليل القطعي، والذي لا يقدم قبله شيء، وإجماع العلماء إذا قيل: أجمع العلماء على كذ وكذا فإنهم غالبا إنما يجمعون على ما دليله من القرآن دلالة قطعية، وهذا موجود بكثرة في الكتب التي تحكي الإجماع.

إذا قالوا: "أجمعوا على كذا" نظرنا وإذا دليله واضح جلي من كتاب الله -سبحانه-، هذا دليل على أن القرآن هو الدليل الأصلي وهو البرهان الواضح الذي لا يجوز مخالفته، ومع ذلك وللأسف مع صراحته نرى أن كثيرا من المبتدعة إما أن يخالفوا دلالته، وإما أن يتأولوه تأويلا بعيدا، أو يصرفوه عن ظاهره، وقد تقدم لنا أمثله من تحريفاتهم وردهم، أو تفسيرهم تفسيرا بعيدا.

فتفسيرهم: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ (أي: جرحه بأظافير الحكمة) لا تعرفها العرب بهذا المعنى، لا سيما وقد أكد بالمصدر: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ .

وكذلك تفسيرهم اليد بالقدرة: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ (أي: بقدرتي) صرف للفظ عن مدلوله، وكذلك تفسيرهم -أيضا- للعلو بعلو الغلبة: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ وكان الله عليا: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ﴾ إن الأعلى هو الغالب، وليس العلو بالذات.

وهذا -أيضا- رد لدلالة كلام الله، وهكذا تفسيرهم للفوقية بالقهر: ﴿ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾ ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ فوقهم يعني: قاهر لهم، وأنكروا ولما أنكروا صفاتهم عند ذلك لم يجدوا بدا

من أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، فشابهوا بذلك اليهود الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ .

فتارة يحرفونه تحريفا لفظيا كتفسيرهم استوى باستولى بزيادة لام، وقولهم: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ (يعني: موسى كلم ربه) تحريفا لفظيا، وتارة تحريفا معنويا كما ذكرنا تجسيدهم اليد بالقدرة، والوجه بالذات، والعلو بالغلبة، والفوقية بالقهر، وما أشبه ذلك.

والواجب على المسلم أن يتقبل كلام الله، وألا يرد منه لا معنى ولا لفظا ما دام أنه صريح الدلالة.

والآن نواصل القراءة.

رؤية المؤمنين لربهم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

فصل: والمؤمنون يرون الله -تعالى- في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله -تعالى- ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق .

لهذا ابتداء في مسألة النظر إلى وجه الله ورؤية الله -تعالى-، وهي -أيضا- من المسائل المهمة التي تكلم فيها أهل السنة وأثبتوها بالأدلة، وخالف فيها المعتزلة خلافا صريحا، وخالف فيها الأشاعرة خلافا معنويا، وهدى الله أهل السنة لقبولها، و لم يلزمهم محظور من إثباتها والحمد لله.

أولا: قد اختلفوا س: هل يمكن النظر لله -تعالى- في الدنيا، وهل رآه النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

ج: والصحيح أنه لا يمكن لأحد من البشر أن يرى ربه في الدنيا؛ ولأجل ذلك لم يتمكن موسى -عليه السلام- من النظر إلى ربه بعد أن سأل النظر، فأخبره الله بعدم التمكن من ذلك في سورة الأعراف: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

هذا دليل على أن البشر لضعف خلقتهم الدنيا لا يتمكنون من رؤية الله -تعالى- وصحيح أن النبي ﷺ لم ير ربه رؤية بصرية في الدنيا، ودليل ذلك قوله ﷺ نور أنى أراه لما قيل له: هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه! أي: كيف أراه ودونه ذلك النور!

وكذلك في رواية: رأيت نورا وذلك أن الله -تعالى- احتجب عن عباده بالنور، وفي حديث آخر يقول ﷺ حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقة .

فالصحيح أنه إن كان رآه فهي رؤية قلبية لا رؤية بصرية، والذين أثبتوا الرؤية له استدلوا بقوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ والصحيح أن الضمير يعود إلى جبريل -أي: ولقد رأى جبريل نزلة أخرى-، وكذلك قوله في سورة التكوير: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الضمير يعود -أيضا- إلى جبريل -عليه السلام-؛ لأنه الرسول المذكور في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ .

هذه صفات الملك، فالضمير يعود إليه، وقد ثبت أنه ﷺ أخبر بأنه رأى جبريل على صورته التي خلق عليها مرتين، له ستمائة جناح قد سد ما بين الأفق، أوقد سد الأفق، وكان يترل عليه كثيرا، ولكنه يتمثل في صورة إنسان أو نحوه، وعلى كل حال فهذا لم يقم عليه دليل، إن كان الرؤية في الدنيا لا دليل

عليه.

وقد خالف في ذلك المتصوفة، وادعوا أن الأولياء يرون الله عيانا، وأنه يعرج بأرواحهم، وأن أرواحهم تتمكن من النظر إلى ربها، وأنهم... وأنهم...؛ ولأجل ذلك فضلوا أوليائهم وسادتهم على الأنبياء، بل وعلى الرسل وعلى الملائكة، وهذا من شطحاتهم، غير هذا بالنسبة للرؤية في الدنيا.

وأما الرؤية في الآخرة فأثبتها أهل السنة رؤية صريحة، أن المؤمنين في الجنة يرون الله -تعالى- ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، بل ثبت بالسنة وفي الأحاديث أن رؤية الله -تعالى- في الجنة للمؤمنين هي أعظم لذة لهم، وأعظم نعيم وأعظم سرور يصل إليهم، يبهج نفوسهم، تستنير به وجوههم، تضيء به وجوههم، يكتسبون أعظم لذة؛ حيث أنهم لا يلتفتون إلى شيء ما داموا ينظرون إلى ربهم حتى يحتجب عنهم هذا من أعظم لذة لهم.

يقول بعض العلماء وإن كان مثالا دنيويا:

ولـــو أني اســـتطعت غضـــت طـــرفي فلـــــن أنظـــــر بـــــه حـــتى أراك

فإذا كان من أعظم اللذة لأهل الجنة فالذين يحرمونه هم المحجوبون عن ربهم -أي: المبعدون عنه-، وقد سمعنا هذه الآية التي أوردها الموفق -رحمه الله- وهي قوله -تعالى-: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الكفار ﴿ كَلَّاۖ بَلۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

وصفهم بهذه الصفة أنهم محجوبون عن ربهم، والحجب: هو الحيلولة بينهم وبين ربهم، فلا ينظرون إليه ولا يرونه، ولا يتمتعون برؤيته، ويالها من عقوبة تصل إليهم أنهم محجوبون عن ربهم! وذلك أشد

العذاب؛ فكل من حجب عن رؤية ربه فإنه معذب، حجبه عن ربه عذاب له، وأي عذاب.

استدل بهذه الآية الشافعي -رحمه الله-، وأشهر من استنبط منها رؤية المؤمنين، وقال: ما دام أن الكفار محجوبون عن ربهم فهو يدل على أن المؤمنين والمسلمين وأهل الجنة غير محجوبين عن ربهم بل يرونه، فلو كان لا يراه أحد لم يكن هناك فرق بين المؤمنين والكفار لكان الجميع كلهم محجوبين عن ربهم .

والحجاب: هو أن يكون بينه وبينهم حاجز فلا يرونه. فإذا كان هؤلاء يرونه كانوا غير محجوبين، وهؤلاء لا يرونه فهم المحجوبون، هذا دليل واضح، وأما الآية الأولى وهي أصرح الآيات التي استدل بها أهل السنة وهي قوله -تعالى-: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْأَخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ يخاطب الكفار.

﴿ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الدنيا ﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْأَخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ ولا تتنافسون فيها، تذكروا أقسام الناس: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ الوجوه الأولى وصفها بأنها ناضرة -أي: ذات نضرة وبهاء وسرور، ومشرقة ومبشرة ومستنيرة وجوههم-؛ لأنهم يرون ربهم: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: تنظر إلى ربها نظر عيان.

في هذه الآية تثبت الرؤية إلى الوجوه؛ وذلك لأن الوجوه هي محل النظر، لأن الوجوه نظرت إلى ربها أشرقت وأسفرت.

كثيرا ما يصف الله -تعالى- وجوه أهل الجنة بصفات تظهر عليها؛ وذلك لأن الوجه هو محل التأثر، فإذا كان مسرورا رأيت وجهه مستنيرا، وإذا كان حزينا رأيت وجهه مكتئبا، فوصف الله -تعالى- أهل النار بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ -أي: ذليلة- ثم قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ -يعني: منعمة-، فهكذا وصفهم بهذه الآية.

وفى آية أخرى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ -أي: قد أنارت واستنارت- والإسفار: هو الضياء: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ ﴾ مسفرة: عليها آثار هذه الإضاءة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ يعني: مستنيرة.

أما الوجوه الأخرى فإنها ترهقها قترة دل على أن الوجوه يظهر عليها آثار النعيم؛ فإذن هذه وجوههم التي وصفها الله أنها ناضرة. تجدون في الآيتين لفظهما واحد، ولكن خطهما مختلف: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ بالطاء مكتوبة بالطاء، من النضارة -أي: ذات نضرة وبهاء وسرور: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ هذه كتبت بالظاء، من النظر الذي هو المعاينة.

ويقول بعض العلماء: نظروا إلى ربهم فنضرت وجوههم، يعني: استنارت وأسفرت وابتهجت بهذا النعيم. فهذا هو دليلهم.

أورد المؤلف -رحمه الله- هذين الدليلين من القرآن الكريم -يعني: آيتين-، وذكر أن الرؤية تكون في الآخرة، وقد ورد -أيضا- في الأحاديث ما يدل على أن الجميع يرون ربهم يوم القيامة عندما يترل لفصل القضاء أنه يرونه.

في بعض الأحاديث: ﷺ أن الله يقول: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم ربهم فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فلا يبقى من كان يسجد لله طوعا إلا سجد، وأما من كان يسجد نفاقا فإنه إذا أراد أن يسجد خر لقضاه ﷺ فسر بذلك قوله -تعالى-: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ﴿ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

في هذا أنهم يرونه جميعا: المنافقون والمؤمنون يرونه كما يشاء: ﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى

ﭐلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ قيل: إنهم يسألونه علامة فيكشف عن ساق، عند ذلك يعرفون أنه هو ربهم فيسجدون.

على كل حال هذا قد استدل به من استدل على أنهم يرونه يوم القيامة، ولكن هي رؤية ابتلاء وامتحان، أما الرؤية التي هي رؤية لذة وبهجة ونعيم فإنها في الجنة، وقد ذكر بعضهم أن المقربين يرون الله -تعالى- بكرة وعشيا، وأن الأبرار يرونه كل جمعة، أو في +مزن كل جمعة -أي: كل أسبوع-، واستدل على ذلك بحديث جرير الذي في الصحيحين، عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ﴾ -أي: يريد صلاتي العصر والفجر، أي: حافظوا على هاتين الصلاتين- لماذا خصهما؟ قالوا: لأن المقربين يرون الله بكرة وعشيا.

ولقد فسر بذلك -أيضا- قوله -تعالى-: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ وبكل حال فرؤية المؤمنين لربهم من أجل ما أنعم به عليهم وتفضل به عليهم، هذا هو قول أهل السنة، وقد استوفى الكلام على الرؤية الأئمة، ولعلكم قرأتم الكلام عليها من كتاب ابن القيم "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" الذي كتبه عن أهل الجنة، وصفات الجنة، ونعيم الجنة.

في آخر أبوابه باب في "رؤية المؤمنين لربهم"، ذكر الأدلة من القرآن، ذكر سبعة أدلة من القرآن ابتدأها بآية الأعراف، وهي سؤال موسى ربه بقوله: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ ولعلي أبين الدلالة بعد قليل من هذه الآية.

واستدل -أيضا- بقوله -تعالى- في سورة يونس: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ ﴾ الزيادة ورد في الحديث أنها النظر إلى وجه الله، ولهذا قال: ﴿ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ ﴾ -الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله-، فإذا نظروا إلى وجهه فلا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة.

الدليل الثالث: في سورة "ق" قوله -تعالى-: ﴿ وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ فسر المزيد بأنه النظر إلى وجه الله تعالى.

الدليل الرابع: آيات اللقاء وهي كثيرة قوله -تعالى-: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ ﴾ اللقاء لا تعرفه العرب إلا أنه المقابلة والنظر؛ فهو دليل واضح على إثبات الرؤية.

والدليل الخامس: هو دليل يعتمده المعتزلة، ولكنه جعله دليلا عليهم، وهو قوله -تعالى-: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ فهو دليل على إثبات الرؤية كما سيأتي.

والدليل السادس والسابع: الآيتان اللتان ذكرهما ابن قدامة كما ذكرنا؛ فهذه سبعة أدلة وأوضح دلالتها، ثم شرع في الأدلة من السنة، وذكر نحو ستين حديثا أو أكثر، ذكرها بأسانيدها وبطرقها، فيها الأحاديث الصحيحة، وفيها الأحاديث الحسنة، وفيها الأحاديث الضعيفة التي ضعفها ينجبر، وفيها أحاديث ضعيفة ضعفا شديدا ولكنه أوردها للتقوية، وتبعه على ذلك حافظ الحكمي في كتابه المشهور وهو " معارض القبول في شرح سلم الوصول".

فهذا الشرح من أنفس الشروح في "شرح سلم الوصول إلى علم الأصول" لما أتى على ذكر الجنة وذكر الرؤية سرد -أيضا- الأحاديث، وأسقط منها ما هو مكرر أو ما هو شديد الضعف، وفيما ذكره خير كثير، فهذا وجه إثبات هذه الصفة التي هي صفة رؤية المؤمنين لربهم.

وقد جعلها ابن القيم في "النونية" من أدلة إثبات العلو قال: من كان قد أقر بالرؤية لزمه أن يقر بالعلو؛ فإن المؤمنين إنما يرون ربهم من فوقهم كما في قوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ ففي أحاديث: أنه يتجلى لهم من فوقهم فيرونه وينظرون إليه فوقهم. فهو دليل واضح على أنها رؤية حقيقية، ينظرون إليه كما يشاءون.

عرفنا بذلك مذهب أهل السنة، وهل نقول: إنهم يرونه في جهة؟ لا شك أنهم يرونه من فوقهم ،

وأنهم يرونه رؤية حقيقية ورؤية مقابلة كما يشاءون، وأن الأدلة واضحة، ومن أصحها حديث جرير لقوله: ﷺ كما ترون القمر ليلة البدر ﷺ أو: ﷺ كما ترون هذا القمر ﷺ .

والتشبيه هنا للرؤية، شبه الرؤية بالرؤية، وليس المراد تشبيه الرب -تعالى- بالقمر، وإنما تشبيه رؤيتكم بأنها رؤية حقيقية كرؤيتكم لهذا القمر؛ ولهذا قال: ﷺ لا تضارون في رؤيته ﷺ -أي: لا يلحقكم في رؤيته ضيم ، الضيم: هو الضرر-، ثم مع هذه الأدلة التي ذكرناها قد خالف في ذلك المعتزلة؛ فأنكروها صريحة وخالفوا فيها خلافا عنادا، وأنكروا الرؤية؛ وذلك لأنها عندهم تستلزم إثبات الجهة، أو تستلزم المقابلة، فلم يكن بد من أن يردوا الأدلة ردا شديدا، ويخالفوها مخالفة واضحة، ولا يزالون على ذلك.

وطبع قبل عشر سنين أو خمس عشرة سنة كتاب اسمه "متشابه القرآن" في مجلدين للقاضي عبد الجبار -وهو من رءوس المعتزلة-، وحققه أحد المحققين في سوريا، يقال له: عدنان محمد زرزور. وذهب إلى ما ذهب إليه القاضي إذا أتى على آيات العلو وآيات الاستواء وآيات الرؤية حرفها، وجعلها غير متشابهة، وحملها محامل بعيدة، وإذا أتى على الآيات التي فيها شبه استدلال لهم يقول لنا قوله -تعالى-: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ في سورة الأنعام لنا قوله: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ لموسى ليجعل هذا دليلا لهم -أي: فيما يثبت الرؤية-، وهكذا يستدلون.

وطبع -أيضا- قريبا كتاب لأحد الإباضية الذي يقال له: أحمد الخليلي، في عمان اسمه "الحق الدامغ" انتشر وصاروا يوزعونه بكميات؛ لأنه في زعمه أنه وصل إلى الحقيقة، وأنه قد سقط على المراد، تكلم فيه على مذهبهم في العقيدة في ثلاث مسائل: في مسألة الرؤية ينكرها إنكارا صريحا، وفي مسألة خلق القرآن يدعي أنه مخلوق، وفي مسألة إثبات خلق الله لأفعال العباد ينكر قدرة الله على أفعال العباد، ويبالغ في هذه المسائل الثلاث.

والذي يهمنا تأويلهم لمسائل آيات الرؤية، مثلا: كثيرا ما يردد قوله -تعالى-: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ

﴿ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ويقول: الإدراك: اللحاق -لا تلحقه، أي: لا تراه-، فهي دليل على أنها لا تراه، والأبصار: معلوم أنها هي الأعين، فإذا كانت لا تدركه -أي: لا تلحقه- فكيف يقال: إنه يرى. ويقال ما دون ذلك.

وإذا نظرنا لتفسير أهل السنة رأيناهم يفرقون بين الإدراك وبين الرؤية؛ وذلك لأن الإدراك هو الإحاطة بالشيء من كل جهاته، وأما الرؤية فإنها رؤيته مع المقابلة حقيقة. فالله -تعالى- ما نفى الرؤية إنما نفى الإدراك، والإدراك شيء زائد على الرؤية.

روي أن ابن عباس سئل عن هذه الآية فقال للسائل: ألست ترى القمر؟ قال:نعم. قال: أكله؟ قال: لا. قال: فذلك الإدراك -أي: لا ترى القمر كله إنما ترى ما يقابلك، و-أيضا- إنما تراه من بعيد ولا تتحقق ماهيته، فإذا كان كذلك هل أنت تدري مما هذا القمر، ومن أي شيء صنعته، وماهية جرمه، ومن أي شيء تركيبه، وهل هو حجري، وهل هو لوح، ماهيته ما هي؟ فإن كنت لا تراه فإنك لا تدركه.

نحن نرى القمر يصل إلينا ضوءه، ولكن لا ندركه كله، ففرق بين الرؤية وبين الإدراك يدل على ذلك قول الله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ فالدرك ما هو؟ الإحاطة -أن يحيط بكم، ويصل إليكم غضب من الكفار ونحوهم-، ولما أسرع ببني إسرائيل وخرج بهم من مصر وانفصلوا اتبعه فرعون بجنوده، قال -تعالى-: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ تراءى: هؤلاء يرون هؤلاء، وهؤلاء يرون هؤلاء.

﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ﴾ ما المراد بـــ "المدركون"؟ هل المراد بالإدراك النظر؟ النظر حاصل "تراءى الجمعان" إذن المراد بالإدراك الإحاطة -يعني: إنهم سوف يحيطون بنا، ويهتكون بنا، ويمسكون بنا، ولا يتركوننا نتفلت ولا ننجو منهم-، فـــ: ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ

رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ لا تدركون.

فعرفت أن هناك فرق بين الرؤية وبين الإدراك؛ بطلت دلالة هذه الآية على نفي الرؤية، استدل بها أهل السنة على إثبات الرؤية، يقول ابن القيم: إنها جاءت تمدحا الله -تعالى- يمدح بها نفسه، ومعلوم أن الله عندما يمدح نفسه بالأمور الثبوتية -الأمور التي فيها إثبات شيء يمدح به- وأما العدم فإنه لا يمدح به، النفي المحض لا مدح فيه ، فإذا قلنا -مثلا-: إن المعدوم لا يرى، هل هذا مدح له؟ ليس فيه مدح، لأن المعدوم كاسمه ليس بشيء، فإذا كان المعدوم لا يرى فإن نفي الرؤية ليس فيه مدح؛ فعرف بذلك أن الآية وردت للتمدح.

أثبت الله أن الأبصار لا تحيط به -يعني: متى رأته الأبصار لم تحط به إذا حصلت الرؤية يوم القيامة؛ فإن الأبصار لا تحيط به -أي: لا تدرك ماهيته، ولا تدرك كنهه، ولا تدرك كيفية ذاته؛ وذلك لعظمته التي لا يحيط علما أحد من الخلق بها، ولا يحيطون به علما؛ إذن فصارت الآية دليل على إثبات الرؤية لا على نفيها، ولكنهم قوم يجهلون.

لو تأملوا في سياق الآية قوله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

كل هذا تمدح، فكيف يتمدح بشيء لا فائدة فيه؟! نفي الرؤية ليس بمدح فذلك ينطبق على المعدوم، فدل على أنها للتمدح تدل على أن الأبصار تنظر إليه، ولكن تعجز عن الإحاطة بعظمته وكبريائه وجلاله، تعجز على أن تحيط به؛ فصارت الآية من أدلة إثبات الرؤية لا من أدلة نفيها.

وأما الآية الثانية وهي قصة موسى حيث قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾ .

أولا: موسى نبي الله، كليم الله كلمه الله، وحمله رسالته واصطفاه، قال -تعالى-: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ وقال: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى ﴾ موسى نبي الله هل يجهل ما يجب على الله، وما يجوز على الله، هل تكونون -أيها المعتزلة- أعلم من موسى بربه؟! حاشا وكلا، لا يمكن أن موسى يجهل، وأنتم تعلمون أن موسى الذي هو أشرف أو من أولي العزم ومن أشرف الأنبياء ومن أفضلهم يجهل هذا الحكم، ويأتي المعتزلة ونحوهم ويعلمون ما لا يعلمه موسى! هذا من أمحل المحال.

ثانيا: قوله: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ هذا في الدنيا -يعني: أراد أن يتمكن من النظر من ربه رجاء أن يزيد بذلك يقينه، أو أن يتنعم ويتلذذ بهذا النظر، قال الله -تعالى- له: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ هل في هذا عتاب ؟ ما فيه عتاب، الله -تعالى- قد عاتب نوحا لما قال: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ قال الله: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

أنكر على نوح لما سأله: ربى نج ابني الذي غرق في البحر، غرق في الطوفان، لقد وعدتني أنك تنجيني وأهلي، إن ابني من أهلي، والله يقول: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ ﴾ .

فأنكر عليه و لم ينكر على موسى ما قال: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ بل قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ -أي: لن تراني في هذه الدنيا- لماذا؟ لأن بنية الإنسان في الدنيا ضعيفة لا تتمكن من التمثل أمام عظمة الله -تعالى-خلقتنا في هذه الدنيا لا يمكن أن تثبت لجلال الله: ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾ علق الله -تعالى- رؤيته على ثبوت الجبل، أليس ثبوت الجبل ممكنا؟

يمكن أن يثبت الجبل، والله -تعالى- يقول: إذا ثبت الجبل فإنك تراني، إذا كان الثبوت ممكنا فالرؤية

ممكنة، فإذن كيف تنكرون أن يثبت الجبل! فالله -تعالى- يمكن أن يثبت الجبل لبروز الله -تعالى- ولتجليه، وقد علق عليه رؤية موسى، فدل على إمكانها كما أن إمكان الثبوت متحقق.

قوله -تعالى-: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ تجلى الله -تعالى- كما يشاء للجبل، أليس إذا تجلى للجبل يمكن أن يتجلى لعباده يوم القيامة؟ الجبل جماد تجلى الله له، ومع ذلك الجبل لما تجلى له اندك الجبل وذهب حتى قيل: إنه انخسف في الأرض؛ وذلك لهيبة الله وجلاله لما أنه تجلى للجبل جعله دكا.

فالحاصل: أن الآية دليل على إثبات الرؤية لا على نفيها، ولو لم يكن إلا أن موسى -عليه السلام- سأل الرؤية، وهو من أعلم الخلق بربه، هذا من قول المعتزلة.

الخليل في كتابه الذي ذكرنا "الحق الدامغ" تسلط على هذه الآيات التي استدل بها أهل السنة وحرفها تحريفا بليغا، حتى أنه هو وغيره في قوله -تعالى-: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ ﴾ قالوا: إن الله لم يذكر العيون إنما قال: "وجوه" وقالوا أو قال بعضهم: النظر ليس هو المعاينة، وإنما هو انتظار الثواب، ناظرة للثواب منتظرة للثواب.

وتلحن بعضهم وحرف كلمة إلى، وقال: الإلى واحد الآلاء -يعني: النعم-، إلى: أي نعمة، نعمة ربها ناظرة، واحد الآلاء، أين هذا الاستنباط الذي ما تفقد له أحد العلماء ولا من السلف! "إلى" أي: نعمة ربها راضية. تمحل وتكلف وتشدد في صرف القرآن عن مدلوله.

هذا قول المعتزلة، أما الأشاعرة يتظاهرون بأنهم من أهل السنة، وبأنهم من أتباع الأئمة الأربعة: منهم شافعية، ومنهم مالكية، ومنهم حنفية، ومنهم حنابلة كثيرون، ولا يقدرون على أن يصرحوا بالإنكار، أكثرهم الشافعية قد اشتهر عن إمامهم أنه أثبت الرؤية فلا يقدرون على الإنكار.

يثبتون الرؤية ولكن ما المراد بالرؤية عندهم؟ ليس الرؤية التي هي رؤية الأبصار، إنما يفسرونها بالتجليات التي تتجلى للقلوب، ومن المكاشفات التي تنكشف لهم، ويظهر لهم منها يقين وعلم بما كانوا

جاهلين به، تمحلوا وهذا بلا شك قول باطل، وإنكار للحقائق، فتجدهم يثبتون الرؤية ويقررونها في كتب تفاسيرهم حتى أكابر الأشاعرة: كالرازي، وأبي السعود، والبيضاوي، ونحوهم.

ولكن عندما تكلموا عن هذه الآية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ قالوا: "يُرى نفي الجهة" كيف يرى بلا جهة، يرى بلا مقابلة! ما هي الرؤية بلا مقابلة ؟ الرؤية تجليات، الرؤية مكاشفات، فأثبتوا الاسم ولكن لم يثبتوا الحقيقة، وبهذا نكون قد توسعنا في هذا الموضوع؛ وذلك لقوة الخلاف فيه، وحذرا من أن ينخدع بعض من يقرأ كتب تفاسيرهم أو كتبهم التي تمحلوا فيها كما فعل الخليلي.

وكذلك وردت علي رسالة ماجستير ألفتها امرأة طالبة في عمان، وأخذت عليها الامتياز في نفي الرؤية بأدلتهم التي يذكرونها أنها أدلة، وغالبا أنها تمحلات وأنها تأولات بعيدة، والرسالة -أيضا- مطبوعة -رسالة الماجستير لهذه الطالبة العمانية- ولا ينخدع أحد ممن يقرأها بأن نشيره إلى كتب أهل السنة وإلى تراثهم، ففيها الكفاية إن شاء الله.

هذه أسئلة كثيرا منها في مواضيع خارجة ولكنها فائدة.

س: فهذا يقول: راتبي يصرف عن طريق البنك، وأتأخر في استلامه لمدة أسبوع أوأكثر عن موعد الصرف، فهل لي إثم في ذلك، علما بأنه ليس لدي حساب في البنك؟ .

ج: لا إثم عليك، الأولى أنك تبادر باستلامه حتى لا ينتفع به البنك ويأخذ عليه فائدة، ولكن مادام أنك لا تتمكن إما لشغل أو لزحمة أو نحو ذلك فلا إثم عليك إن شاء الله.

س: وهذا يقول: الذين يقولون: إن الرسول ﷺ لم ير ربه في الحياة الدنيا، ماذا يكون في حادث اختصام الملأ الأعلى؟ .

ج: اختصام الملأ الأعلى حادث مشهور، ولكن الرؤية فيه منامية، ليست رؤية بصرية، وكذلك في الحديث أنه قال: ﷺ وضع يده على صدري حتى وجدت برد أنامله ﷺ كل ذلك رؤية منامية، أما الرؤية البصرية التي في اليقظة فالصحيح أنها ما حصلت له، ولا لموسى كما تقدم.

س: وهذا يقول: هل يرى الكفار ربهم يوم القيامة، وهل يكلمونه؟ .

ج: في ذلك خلاف، ولعل المشهور أنه يكلمهم كلاما عاما، يسمعون كلام الله كما في الحديث الذي قد مضى بالأمس، وهو قوله: ﷺ يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ﷺ أما الرؤية فلا يرونه رؤية نعيم، رؤية انبساط وسرور، هذا هو الصحيح.

س: والسؤال التالي: هل صحيح أن الإمام أحمد رأى ربه ﷻ في المنام؟ .

ج: مشهور هذا في قصة امتحانه لخلق القرآن أنه ذكر أنه رأى ربه، يقول: رأيت أن القيامة قد قامت، وأنه قد أحضرت وكأني ضربت حتى وقفت بين يدي الله ﷻ فقال: فيما ضربت؟ قلت: في القرآن... إلى آخر القصة.

ومعلوم أن المنام إنما هو تخيلات، وأن الرؤية في المنام أن يكون في ذلك تشبيه للرب -تعالى- بذلك الخيال الذي تخيل للرائي.

س: وهذا يقول: نظر المؤمنين لربهم يوم القيامة هل هو لوجه الله -تعالى- أم لله، والله -تعالى- يقول: إلى ربها ناظرة؟

إذا كان السائل يريد النظر في موقف القيامة، فإنهم ذكر أنهم ينظرون إلى ربهم عندما يكشف عن الساق، وأما النظر في الجنة فالنظر مذكور أنه إلى الوجه لقوله ﷺ ﷺ وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ﷺ فذكر أن رداء الكبرياء على وجهه، فإذا كشفه فإنهم ينظرون إلى وجهه.

وأما قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا ﴾ فهو وإن كان مطلقا فإنه يفسر بأنه النظر إلى وجه الله.

س: يسأل هذا يقول: ما حقيقة قتل الثعلب وفيه خطر وضرر؟ .

ج: كل شيء فيه خطر وضرر يجوز قتله، وأما إذا لم يكن هناك ضرر فلا يجوز.

يعني +تعيش على ما يخلق الله لها، وعلى ما يقدر الله لها كما نهى النبي ﷺ عن قتل الهرة، وأخبر

بعذاب التي حبستها حتى ماتت.

س: وهذا يقول: ما حقيقة استعمال صائدة الحشرات والصعق التي كثيرا ما نراها في المطاعم، وفي بعض المساجد، علما بأنها موصلة بالكهرباء؟ .

ج: يظهر أنه لا مانع منها -لا مانع من نصبها-، ولكن لأن هذا الجهاز بمنزلة النار التي يوقدها الناس، فتأتي إليها هذه الحشرات، فتتهافت فيها، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك في حديث أنه قال: 🕮 مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا، فجعل هذا الفراش وهذه الحشرات تتهافت فيها، وجعل يحجزهن وهن يغلبن ويقتحمن فيها 🕮 .

وهذا قوله: ﴿ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ﴾ يسأل عن معنى كلمة "حجاب". .

ج: هذه الكلمة أو هذه الآية في سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ﴾ المعنى: من وراء ستر أية ستر -أي لا تسألوهن مقابلة وهن متكشفات- المعنى: لا يتكشفن أمامكم، والخطاب والسياق إن كان في حق أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ فإنه يدخل فيه سائر المؤمنات -المعنى: لا تسألوهن إلا وقد تحجبن- فالحجاب معناه: الغطاء الذي يستر الوجه، والذي يستر جسد المرأة عن الرجال.

س: يقول: ما حكم الترتيل في الذكر بعد الصلاة؟ .

ج: فإنه قد روي بالأمس جواب في ذلك فليتثبت، في الأثر أن الأذكار والأوراد يؤتى بها كأنها كلام، ولا تتشبه بتلاوة القرآن: الترتيل، والمد، وما أشبه ذلك؛ فالقرآن له حكم لقوله -تعالى-: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ فإذا قرأت الأذكار لا يحصل أنك تمد حروف المد، وتقطع حروف القطع، وكذلك -أيضا- تجود في حروف التجويد، وتظهر الحركات التي تستعمل في التجويد: من الإقلاب، والإدغام، والإظهار، وما أشبه ذلك؛ هذا يختص بالقرآن.

أما الذكر فإنك تقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر والحمد لله، ولا حول ولا

قوة إلا بالله. وكذلك الدعاء إذا قلت: اللهم إنا نسألك العفو والعافية، والمعافاة الدائمة. لا يلزم أن تمد الألف كما تمده في القرآن، كما أنك إذا تكلمت بالكلام العادي أوقرأت الأحاديث أو ما أشبه ذلك، فإنك تقرأ قراءة عادية.

س: ويسأل عن الأذكار التي يجهر بها بعد الصلاة. .

ج: الذي ورد أن الصحابة إذا انصرفوا من الصلاة رفعوا أصواتهم بالذكر أو بالتكبير، وليس المراد الرفع الشديد، إنما المراد أنهم إذا انصرفوا استغفر هذا، واستغفر هذا، واستغفر هذا، وهلل هذا، وهلل هذا، وهلل هذا، ومع كثرة الأصوات يرتفع الصوت حتى يسمعه من هو خارج، فيقول ابن عباس: 🕮 ما كنا نعرف انقضاء الصلاة إلا بالتكبير 🕮 ويقول: إن رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة كان على عهد رسول الله ﷺ .

من الأذكار التي بعد الصلاة: كالتهليل والاستغفار "استغفروا الله ...إلى آخره، وقولوا: لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه... إلى آخره، وقولوا: لا إله إلا الله مخلصين له الدين... إلى آخره، وقولوا: اللهم لا مانع لما أعطيت، ونقول: اللهم أعني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك، لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وما أشبهه.

س: وهذا له سؤالان: ما حكم جمع الثياب عند السجود والركوع؟ وما يفعله المصلون عند السجود حتى يسهل عليهم السجود؟ .

ج: الأول: أن الإنسان إذا سجد يسجد على ثيابه دون أن يكفها، ويجمع بعضها إلى بعض؛ فإنه ورد في الحديث: 🕮 ولا تكفوا ثوبا ولا شعرا 🕮 نتركها تسقط على هيئتها، وليس له أن يجمع أطراف الثياب، أو أطراف العباءات، أو نحو ذلك إلا إذا خاف أنها تشق وتضايق غيره.

س: وهذا يقول: ما حكم البنك الذي يعطي فائدة على المال، إذا كان الإنسان يضع نقوده في بنك من البنوك الربوية، وهو مضطر إلى ذلك، فهل يأخذ الفائدة ويتصدق بها أو يتركها؟ .

ج: وفى ذلك خلاف بين المشايخ، ويرى بعضهم كالشيخ ابن حميد -رحمه الله- أخذها وعدم

تركها، والتصدق بها، ويقول: إنها حرام على الذي يتعامل بها، وهكذا -أيضا- يقول شيخنا -الشيخ ابن باز-: إن التحريم يختص بالتعامل -الذي أخذها متعاملا بها-: كصاحب النقود، أو صاحب البنك، هذا هو الذي تحرم عليه، وأما المسكين الذي تعطى له ويتصدق بها عليه فلا يعمه النهي.

يفضلون أنك تأخذها وتتصدق بها؛ لأنك إذا أكلتها فأنت متوعد، وإذا تركتها لهم فأنت متوعد؛ لأن الحديث: لعن الله آكل الربا وموكلها فتركها لهم فيه وعيد موكله، وأخذها للنفس فيه وعيد لآكله، وأما إذا أحلت عليها مسكينا، أو صرفتها في مشروع فالأصل أنك تسلم من آكله وموكله.

ذكر الله في سورة المائدة: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ س: يقول: كيف أنه قال في النصارى: إنهم أقرب مودة من غيرهم من الكفار، وقد ورد بآيات كثيرة أنهم أعداؤنا، فكيف نجمع، ومن المقصود هنا بالآية؟ .

ج: قيل: إنها في النصارى، وإنهم أقرب من اليهود لعداوة اليهود وعداوة المشركين حتى في هذه الأزمنة، اليهود كما تعرفون لهم عداوتهم وأغراضهم والمشركون مثل: الهندوس أضرارهم على المسلمين وحيلهم وأعمالهم، والنصارى كأنهم أخف ضررا.

وقيل: إن الآية في قوم خاصين، وهم نصارى نجران؛ فإن الله -تعالى- مدحهم، وأنهم أقرب إلى الحق، وأنهم صدقوا وآمنوا؛ ففي الآية ما يدل على إيمانهم، فيقول: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ

ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ هذا دليل على أنهم آمنوا أن هؤلاء القسيسين قد آمنوا -أي: في أناس قد آمنوا- لا أنها في كل النصارى .

س: وهذا يقول: ما معنى قوله -تعالى-: ﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ هل المراد الوجه حقيقة أو ماذا؟ .

ج: يعبر بهذا عمن يقصد وجه الله -أي: رضاه-، فإذا قلت -مثلا-: أعطيتك لوجه الله -يعني: لرضا وجه الله- حتى يرضى الرب عنك، ويطلق الوجه على الذات -أي: أنك لا تريد الجزاء في الدنيا، وإنما تريد رضا الله -سبحانه وتعالى-، ويدل عليه قولهم ما حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ .

فهكذا هذه الآية التي في هذا السؤال نزلت في أبي بكر، فإن الله -تعالى- حكى عنه بقوله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ يعني: يخرج ماله حتى يتزكى المال: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾ يعني: ليس يريد جزاء النعمة ﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ .

والله -تعالى- أعلى وأعلم، وصلى الله عليه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهينا مما يتعلق بالصفات والتي آخرها ما يتعلق بالرؤية، ونقرأ الآن -إن شاء الله- فيما يتعلق بالقضاء والقدر، وهو أحد أركان الإيمان كما هو معروف. لنستمع إلى القراءة.

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال -رحمه الله -تعالى-:

فصل: ومن صفات الله -تعالى- أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره .

ذكرت أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان الستة؛ لقوله ﷺ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن باليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

والإيمان بالقدر يعم الإيمان بقدرة الله، وأنه على كل شيء قدير، وأنه لا يخرج شيء عن تقديره، ولا يخرج عن تدبيره، فهو كما وصف نفسه: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد، وإذا كانت قدرة الله -تعالى- التي هي وجود الأفعال وحدوثها عن قدرته فإن ذلك يعم كل الموجودات؛ فإنها تكون بقدرته؛ وتكون بقضائه لا تخرج عن قدرته تعالى.

نعرف أن الخلاف في القدر خلاف عريق، خلاف قديم حدث في عهد الصحابة: في آخر عهد الصحابة خرج من الصحابة رجل يقال له: معبد الجهني. فأنكر العلم السابق، وأنكر تقدير الأشياء وتحديد أماكنها، وقال: إن الأمر أنف، وإن الله لم يقدر الأشياء في مقاديرها ولا في حدودها. فأنكر عليه السلف وبدعوه وشنعوا عليه.

ثم جاء بعده غيلان القدري فابتدع قولا آخر وهو: أن الأفعال التي للعباد لا تخضع لقدرة الله، بل إن العباد مستقلون بأفعالهم، وإن الله -تعالى- لا يقدر على ردهم، ولا على تبديل نياتهم، وإن الله لا يهدي من يشاء ولا يضل من يشاء، ولا يرد ردا عما أراده، بل العبد هو الذي يقدر وتغلب قدرته قدرة الله. هكذا قالوا.

فالأولون ينكرون العلم السابق، ينكرون أن الله -تعالى- علم بالخلق علما قديما، ينكرون أن الله يعلم كتابة الأشياء وتحديد أماكنها قبل إيجادها، وهؤلاء يسمون الغلاة غلاة القدرية.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا"

كيف نناظرهم بالعلم؟ أي: ناظروهم بعلم الله، أي: إن الله -تعالى- بكل شيء عليم، وبكل شيء قدير، وإنه موصوف بأنه يعلم ما تكن الأنفس، ويعلم ما تخفيه الضمائر، ويعلم كل شيء: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ وإنه علم أفعالهم، وعلم أحوال العباد.

فإذا أقروا بأن الله بكل شيء عليم خصموا وانقطعت حجتهم؛ وذلك بأن نقول لهم: ما الفرق بين العلم بالأشياء القديمة والحديثة؟ إذا كان الله بكل شيء عليم؛ فإنه يعلم الأشياء قبل حدوثها: يعلم ما سيولد لهذا، ويعلم من سيؤمن من أهل هذه البلد ومن سيكفر، ويعلم أعمالهم كلها قبل وجودها، ويعلم حرفهم وأهوالهم وأعمالهم، ومكاتبهم ونحو ذلك، علم عدد الرمل وحبات التراب، علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

إذا أقروا به نقول لهم: أليس الله وصف نفسه بأنه يعلم الجهر وما يخفى: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ إذا كان الله بكل شيء عليم فلا فرق بين علم الناظري وعلم المستقبل؛ ورد في الحديث: (أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة، فقال: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة) وذلك على الله يسير.

قال الله -تعالى-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ يعلمها كلها، يعلم ما يكون، وما تتحرك به الأعضاء، وما توسوس به النفوس: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ فإذن بهذا نعرف خطأ هؤلاء.

فأهل السنة يؤمنون بالعلم السابق، لكن هؤلاء الذين أنكروا العلم السابق قد كادوا أن ينقرضوا –

يعني: أنهم اشتهروا في القرن الأول، وتظاهروا بهذا المذهب الشنيع، فلما أنكر عليهم السلف رجعوا أو انقرضوا، وكاد مذهبهم أن ينقرض، ولكن بقي القسم الثاني الذين هم القدرية، والذين ينكرون قدرة الله على أفعال العباد، وهؤلاء هم المعتزلة -يعني: من مذهب المعتزلة إنكار قدرة الله على أفعال العباد، واعتقاد أن العباد مستقلون بأفعالهم- وقد وقع بينهم وبين الأشاعرة معارك في هذه المسألة.

فمن الأشاعرة من غالى في إثبات القدر حتى سلب العبد قدرته وقال بمذهب الجبر، ومنهم من توسط وقال بمذهب أهل الحق كما سيأتي، والقول الوسط كما سمعنا في كلام الموفق -رحمه الله- من أن الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ كما أخبر عن نفسه، لا يخرج شيء عن إرادته، ولا يكون شيء إلا بإرادته، وأنه أراد كل الكائنات -أراد الكائنات كما بدأها- فلا تكون إلا بإرادته وعن علمه، وعن تقديره وعن تدبيره، فهو الذي على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وفعال لما يريد.

جميع الأفعال التي تحدث والتي تحصل كلها مرداة لله

ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما في اللوح المستور، أراد ما العباد فاعلون، ولو عصمهم لما خالفوا، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه؛ خلق الخلائق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وحاجاتهم، يهدى من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته .

نعم، أراد ما العباد فاعلون -يعني: جميع ما في الكون، وما يحصل من الكائنات-؛ فإنه مراد لله -تعالى-، ولكن هذه الإرادة تسمى إرادة كونية، إرادة قدرية، -يعني: أنها يدخل فيها جميع الكائنات فهي مرادة لله-، جميع الأفعال التي تحدث والتي تحصل كلها مرداة لله: الطاعات والمعاصي، والمصائب والحوادث، والأرزاق والآجال، كلها مرادة لله -تعالى- داخلة في إرادته، ولا تخرج عن كونها مرادة.

فطاعة العباد مرداة، ومعاصيهم مرادة، ولكن إرادة الطاعات إرادة قدرية وشرعية، إرادة الطاعات الموجودة وإرادة المعاصي إرادة كونية قدرية وشرعية، فالإرداة كونيه قدرية؛ وبهذا نعرف أن الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية. فالإرادة الكونية يلزم وقوع مرادها، كل ما أراده كونا قدرا فإنه لا بد حاصل وواقع.

فالمعاصي الموجودة قد أرادها الله كونا وقدرا، والمصائب الحاصلة قد أرادها الله كونا وقدرا، والأرزاق موجودة -ولو كانت حراما- أرادها الله كونا وقدرا، وكذلك الأولاد ذكورا وإناثا، والأرزاق والمكاسب، والحرف والصناعات، والدراسات والعلوم، وكل ما يجري في هذا الكون كله قد أراده الله كونا وقدرا؛ لأنه فعال لما يريد، فلا يكون في الوجود إلا ما يريد.

ولو عصمهم لما عصوه ولما خالفوه، فهو الذي يهدى من يشاء ويضل من يشاء فضلا منه ورحمة ونعمة، يضل من يشاء عدلا منه وحكمة، فمن علم الله به خيرا، وعلم من قلبه إقبالا وتقبلا للخير - هداه الله وأقبل بقلبه، ومن علم أنه شرير، وعلم أنه من أهل الشر، وأنه لاخير فيه -حرمه الهداية، وحال بينه وبين الإيمان، وأفضى قلبه وصده عن الخير، ولا يظلم ربك أحدا.

فمن هداه الله فهو فضل منه، ومن أضل فهو عدل منه، ولا أحد يقدر أن يغير ما وقع؛ لقوله -تعالى-: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ وكذلك في حديث من خطبة الحاجة: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له .

فهو يهدى ويضل، يهدى من يشاء، ويضل من يشاء، ولكن هل يقال: إنه ظلم الذي أضله؟ حاشا، لا يظلم ربك أحدا، ولكنه -سبحانه- خلق الخلق وقسمهم إلى أهل طاعة وأهل معصية، وعلم هؤلاء من هؤلاء، علم أهل الخير من أهل الشر، وعلم من يكون قابلا للخير أهلا له، ومن يكون قابلا للشر أهلا له، فجعل هؤلاء أشقياء، وهؤلاء سعداء، ولله الحجة البالغة يقول الله -تعالى-: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ ولو شاء لهداهم كلهم.

يقول -تعالى-: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝٤ ﴾ يعني: لو شاء الله لأنزل آية لاهتدوا بها كلهم، ولكن علم الله من هو أهل للهداية، ومن هو أهل للشقاء، يقول الله -تعالى-: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ .

مزيد لهذا وبكل حال إذا اعتقدنا أن الله -تعالى- هدى هؤلاء فإن ذلك فضل منه، وأنه لو شاء لاهتدى الناس كلهم وذلك فضل منه، وأضل هؤلاء فذلك عدل منه، فلا محيد لأحد عن القضاء الذي قضاه، ولا مخرج له عما حتمه عليه القدر، يقول: 🕮 اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك 🕮 ويقول: 🕮 أن تؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره 🕮 كله من الله -أي: إن ما تكره من الأمور المقدرة فإنها عن حكمة حصلت، وإن الذي قدرها حكيم يفعل ما يشاء قضاء وقدرا، وحكمة وشرعا، لا محيد لأحد عن القضاء المحتوم الذي قدره.

ويأتينا -أيضا- أن هذا كله لا ينافي العمل، ولا ينافي الأسباب وفعل الأسباب؛ فإن النبي ﷺ سئل عن ذلك لما أخبر صحابته بأنه: 🕮 ما منكم من أحد إلا وقد عرف مقعده من الجنة ومقعده من النار. قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل. فقال: اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له 🕮 .

أمرهم بأن يعملوا؛ لأن الإنسان يصير إلى ما قدر له أزلا، لا بد وأن يصير إليه، فمن كتبه الله سعيدا فلا بد وأن يعمل بعمل أهل السعادة ولو في آخر لحظة من حياته، وكذلك من كتبه شقيا: في حديث القدر الذي عن ابن مسعود يقول: 🕮 والذي نفسي بيده، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها 🕮 فالأعمال بالخواتيم.

والله -تعالى- يوفق كلا لأن يختم له من العمل بما هو أهله وما كتب له؛ ولهذا كان كثير من

السلف ومن العلماء يكثرون من السؤال بحسن الخاتمة؛ لأن الأعمال بخواتيمها.

بعض الأدلة على القدر من القرآن

قال الله -تعالى-: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ وقال -تعالى-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ وقال -تعالى-: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ .

بعض هذه الآيات في القدر الذي هو العلم السابق، وبعضها في القدر هو قدرة الله على كل شيء، فقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ هذه في العلم السابق، ومعناه: أن كل شيء له زمان وله وقت لا يتجاوزه ولا يتعداه، ولا يتغير عما هو عليه، فإذا قدر الله -تعالى- أن هذا الإنسان كتب أنه يولد له كذا وكذا من الأولاد فلا بد أن يتحقق ذلك، أن يتحقق هذا الذي قدره الله وأراده، ولو حصل ما حصل من العوائق.

وكذلك إذا قدر الله أن هذا لا يولد له فإنه لا يولد له، ولو حصل ما حصل من الأسباب، ولو فعل ما فعل، وإذا قدر الله أن هذا لا يولد له حتى يفعل السبب الفلاني فإنه يتوقف أن يولد له على فعل ذلك السبب، وقد علم الله أنه يفعله في آخر العمر، أو نحو ذلك.

وهكذا إذا قدر الله -مثلا- أن هذه الأرض تنبت كذا وكذا شجرة فلا بد أن تنبته في الزمن الذي حدده له حدد أن هذه الشجرة أو هذه النباتة تنبت في اليوم الفلاني، وتفنى في اليوم الفلاني، وتثمر كذا وكذا، وعلم عدد ورقها كما في قوله: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ علم ذلك وحدده.

كل ذلك داخل في هذه الآية: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: بمقدار وزمان محدد أوله وآخره، كذلك قوله -تعالى-: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ أي: قدر الزمان الذي خلقه، خلق الفرادي وقدر أعمالهم وآجالهم، فإذا علقت المرأة بالحمل أرسل الله الملك ليكتبوا أجله وعمله، وشقي أو سعيد، ورزقه حلال أو حرام، يكتب ذلك وهو في بطن أمه، ولكن هذه كتابة خاصة.

كذلك -أيضا- جميع ما يحدث داخل في هذه الآية: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ أي: حدده وحدد قدرته وقوته، ومبدأه ومنتهاه وما يصير إليه، وأما قوله -تعالى-: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ فهذا في القضاء الذي هو العلم السابق، وكذلك القدرة على الأفعال -بمعنى: أنه يفعل الأشياء ولا يسأل عن الحكمة فيها- ونحوه.

من عقيدة أهل السنة أنهم يسلمون لأمر الله، ولو لم يظهر لهم فيه مصلحة، ولا يجوز أن تقول: لما خلق الله كذا، ما فائدة الخلق لهذه الأشياء، هذه الأشياء فيها غرابة، لماذا خلقت، ليتها لم تخلق. لا يجوز؛ لأن في هذا اعتراض على تصرف الخالق، فهو الذي خلق الأضداد حتى يعرف أنه القادر على خلق الضدين، وخلق الخير والشر، وخلق الإيمان والكفر، وخلق الحياة والموت، وخلق المسلم والكافر، وكذلك بقية الأضداد.

السلام عليكم ورحمة الله:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى الله وصحبه أجمعين.

قرأت في بعض الكتب: أن رجلًا رأى حشرة، هذه الحشرة التي يقال لها: الخنفساء، فقال: ما فائدة خلقها، لماذا خلقت، لماذا أوجدت؟ كأنه يعترض على الله في أنه خلقها، يقول: فابتلي هذا الرجل بقرحة نبتت في ساقه أو في مجلسته، فعولجت بكل أنواع العلاجات -بأنواع الأدوية- ولم يجدوا لها دواء، وعجزوا أن يجدوا لها شفاء.

وطال زمانه ولزم الفراش، وأيس من الحياة ومن الشفاء، فبينما هو مرة على فراشه سمع رجلًا من العاديين يقول: من به مرض فيعالج، من كان به قرحة؟ من كان به كذا وكذا فعندنا علاجه. فقال لأهله: أخرجوني له. قالوا: كيف نخرجك لهذا العامي الذي لا يعرف شيئا، وقد عجز عنك فحول الأطباء. فقال لهم: لا بد أن تخرجوني.

فأخرجوه فلما رآه ذلك الرجل قال: هلم خنفساء، أعطوني خنفساء. فضحكوا عليه، فقال الرجل المريض: أعطوه ما طلب. فأحرقها حتى صارت رمادا، ثم ذرها على تلك القرحة فبرأت بإذن الله؛ فعلم الرجل أن الله ما خلق شيئا إلا وله حكمة في خلقه، ولو لم تكن ظاهرة.

فلا يجوز أن تقول: لماذا خلق الله البرد والحر؟ خلق ذلك لحكمة. لماذا خلق الله السموم القاتلة؟ خلقها لحكمة. لماذا خلق الله السباع؟ خلقها لحكمة. لماذا خلق الله ذوات السموم: كالحيات والعقارب؟ خلقها لحكمة. لا بد أن تكون فيها حكمة، ولو لم تكن معلومة.

فلا يجوز أن يعترض على الله -تعالى-في خلقه؛ فإنه يفعل ما يشاء: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يدخل في هذه الآية جميع ما أوجده، سواء من المخلوقات ذوات الأرواح، أو من النباتات، أو من الأفعال.

لماذا أمر الله بكذا، ولماذا حرم كذا، ولماذا أوجد كذا؟ كل هذا لا يجوز: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أما قوله -تعالى-: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ فهذه الآية في الإرادة الكونية؛ فإن الإرادة -كما قلنا- نوعان: إرادة كونية، إرادة شرعية.

فالمعنى: أن من أراد الله كونا وقدرا أن يهديه فإنه يشرح صدره للإسلام، فيكون قلبه منبسطا إليه، راغبا فيه محبا له، مقبلًا عليه متقبلًا له، يرغب فيه يحبه ويألفه، ويستحسن أفعاله وشرائعه، ويرى كل ما فيه حقا ومطابقا وصدقا، ليس فيه شيء لا فائدة فيه ولا أهمية له، فيقبل على الإسلام ويتقبله.

هذا الذي أراد الله به خيرا، يشرح صدره للإسلام، قال الله -تعالى-: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ وكذلك أخبر عن ذلك لنبيه: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ ﴾ .

والشرح هنا ليس الشرح الذي هو الشق -كما هو معروف- ولكنه شرح الانبساط، بمعنى: أن قلبه يصير مقبلًا على الإسلام، ويصير صدره متسعا لتعاليم الإسلام، كأن صدره واسع غاية السعة؛ لأجل ما من الله عليه من هذه الهداية: ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ .

أي: من أراد الله إضلاله، وحال بينه وبين الهداية -فإنه يجعل صدره ضيقا.

وليس المراد الضيق الحسي؛ فإنك إذا رأيت اثنين: أحدهما أراد الله أن يشرح صدره، والآخر لم يرد به خيرا، بل أراد أن يضله -ما تفرق بينهما صدر؛ هذا كصدر هذا، ولكن ضيق الصدر هنا ضيق معنوي، بمعنى: أنه لا يتسع صدره للتعاليم الدينية ولا يحبها، ولا يتقبلها ولا يركن إليها، إذا أخبر بها ضاق بها ذرعا، وأبغضها ومقتها واحتقرها، وابتعد عنها واستثقلها كأنها جبال تحمل عليه.

هذا من قضاء الله؛ الله الذي قدر عليه كذا: جعل صدره ضيقا، جعله حرجا -حرجا يعني: فيه الحرج الذي هو الشدة والألم- كأنما يصعد في السماء -كأن قلبه يصعد يطار به، ويحال بينه وبين أسباب الفرح-، لا شك أن هذا أمر الله -تعالى-، وهو الذي هدى هذا وأضل هذا، وقد ذكرنا أن هدايته لمن يهديه فضل منه، وإضلاله لمن يضله عدل منه:

ما للعباد عليه حق واجب ... لا ولا سعي لديه

إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... ضائع

فبفضله وهو الكريم ... الواسع

هذه الآيات ونحوها فيما يتعلق بالقضاء والقدر.

ذكرنا الإرادة نوعان: إرادة كونية قدرية، وإرادة دينية شرعية. فالإرادة الكونية يلزم وقوع مرادها، والإرادة الشرعية لا يلزم وقوع مرادها؛ فوجود الكائنات هذه، وجود هذه المخلوقات هذا مراد إرادة كونية، تقول -مثلًا-: إن الله أراد كونا وقدرا وجود هذا الاجتماع، أراد كونا وقدرا خلق هؤلاء الأشخاص، أراد كونا وقدرا بناء هذا المسجد على هذه الكيفية وإنارته، ونحو ذلك. كل هذا مراد كونا وقدرا.

كذلك أراد كونا وقدرا وجود هؤلاء المبتدعة والكفرة، والعجزة والعصاة ونحوهم، أراد الله وجودهم كونا وقدرا، ولو شاء ما وجدوا؛ فهذه إرادة كونية قدرية أزلية سابقة معلومة لله قبل وجودها وقبل وجود مرادها، ولا بد من تحقق مراد الله الذي أراده في الكون والقدر.

أما الإرادة الشرعية فإنه لا يلزم وجود مرادها، ولكن مرادها محبوب لله -تعالى-؛ فالله تعالى أراد من العباد كلهم أن يؤمنوا دينا وشرعا، أراد منهم أن يعملوا الصالحات دينا وشرعا، أراد منهم أن يصدقوا الرسل دينا وشرعا، أراد منهم أن يتركوا المحرمات دينا وشرعا، ولكن هل وجد هذا المراد كله أم وجد بعضه؟ وجد بعضه.

أراد منهم أن يؤمنوا: فمنهم من آمن، ومنهم من كفر. فالذين آمنوا اجتمعت فيهم الإرادتان، إيمانهم الذي حصل مراد كونا وقدرا؛ لأنه مكتوب ومراد شرعا ودينا، لأنه محبوب، كذلك أعمالكم الصالحة التي عملتموها: صلواتكم وصدقاتكم، وجهادكم وأذكاركم، وتلاوتكم وعباداتكم مرادة دينا وشرعا، كما أنها مرادة كونا وقدرا، بمعنى: أن الله قدر أن هؤلاء يؤمنون ويعملون الصالحات.

قدر ذلك في الأزل، ويكثرون من العبادات، ويتعلمون العلوم النافعة، ويعتقدون العقائد الصالحة، أراد ذلك كونا وقدرا فوجد، وأراده دينا وشرعا فوجد في هؤلاء، أحبه منهم وأراده، الإرادة الشرعية مذكورة في قوله -تعالى-: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ هذه إرادة شرعية.

وفي قوله -تعالى-: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ ﴾ كل هذه إرادة شرعية.

يعني: يريد شرعا وقدرا أن يخفف عنكم، يريد شرعا وقدرا أن يتوب عليكم، فمن تاب تاب الله عليه ووفقه، وكان هذا مرادا شرعا وقدرا، مراد شرعا ودينا وكونا وقدرا، ومن لم يتب لم يوافق الإرادة الشرعية؛ حيث أنه أريد منه التوبة فلم يتب، تجتمع الإرادتان في إيمان المؤمنين؛ أنه اجتمع فيهم أنهم حققوا الإرادة الشرعية، ووقعت منهم الإرادة الكونية؛ اجتمعت فيهم الإرادتان: الكونية والشرعية.

وتنفرد الإرادة الكونية في كفر الكافرين؛ أن الله أراد منهم شرعا ودينا أن يؤمنوا فلم يؤمنوا، وأراد منهم كونا وقدرا أن يكفروا فكفروا، وبكل حال هذا معتقد أهل السنة: أن الله -تعالى- أراد جميع الكائنات، ولا يخرج شيء عن إرادته ولا عن تكوينه، وأن جميع الكائنات حاصلة بقضائه وقدره، وأنه عالم بها .

الآية الخامسة: قوله -تعالى-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ هذه الآية تتعلق بنوع من القدر وهو العلم السابق، أن الله علم الأشياء قبل حدوثها.

فهذا النوع هو علم الله السابق؛ إنه بكل شيء عليم، وأنه عالم بالأشياء قبل وجودها، وبهذا نعرف أن القضاء والقدر ذكروا أنه أربع مراتب: المرتبة الأولى: "العلم" -يعني: العلم السابق قبل وجود الموجودات، علمها قبل وجودها- كل شيء يوجد فإنه معلوم لله.

المرتبة الثانية: "الكتابة" كتبها في اللوح المحفوظ؛ فكل شيء يحدث فإنه مكتوب.

المرتبة الثالثة: "الإرادة" أن الله أرادها وشاءها، ولا بد من وقوع ما شاءه.

المرتبة الرابعة: أن الله أوجدها وخلقها وحقق وجودها. (العلم ثم الكتابة ثم الإرادة -التي هي المشيئة- ثم الخلق الذي هو الإيجاد) إذا آمن العبد بذلك كله صدق عليه أنه آمن بالقدر،

والمرتبة الأولى -التي هي العلم- ذكروا أنها أربعة أقسام، أو التقدير: الأول: "التقدير العام" الذي هو: العلم بالموجودات كلها من أول ما خلقت إلى ما لا نهاية له (العلم السابق).

التقديـــــر الثاني: يسمى "التقدير العمري" وهو: أن كل إنسان كتب عليه وهو في بطن أمه ما سوف يعمله من حين يخرج إلى الدنيا -إلى أن يخرج من الدنيا-، يكتب عليه وهو في بطن أمه: يكتب الملك رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد.

التقديـــــر الثالث: "السنوي" وهو: أنه في ليلة القدر يقدر الله ما يكون في تلك السنة إلى مثلها من +قدر على وجه الأرض، يكتب في تلك الليلة ما سوف يوجد وما سوف يحصل، يقول الله -تعالى- : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾ يعني: في ليلة القدر، بعد قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ .

أما التقدير الرابع: هو "التقدير اليومي" وهو: وقوع ما يحصل في كل يوم، وهو المذكور في قوله -تعالى-: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩ ﴾ .

فأصبح التقدير أربعة أقسام: "التقدير العام" الذي كان قبل وجود المخلوقات، و"التقدير العمري" في الرحم، و"التقدير السنوي" في ليلة القدر، و"التقدير اليومي" في كل يوم ويحصل في ذلك اليوم.

الأدلة على عموم القدر من السنة

وروى ابن عمر -رضى الله -تعالى- عنهما-: 🕮 أن جبريل -عليه السلام- قال للنبي ﷺ ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. فقال جبريل صدقت 🕮 انفرد مسلم بإخراجه.

وقال النبي ﷺ 🕮 آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره 🕮 ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: 🕮 وقني شر ما قضيت 🕮 .

هذه أدلة على عموم القدر؛ فحديث ابن عمر في صحيح مسلم، وهو أول حديث في "كتاب الإيمان"، وهو حديث عمر المشهور، وأوله عن يحيى بن يعمر قال: 🕮 كان أول من قال بالقدر في العراق معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء. فوفق لنا عبد الله بن عمر داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي وظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم، وإنهم يزعمون أن لا قدر، أن الأمر أنف.

فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي نفسي بيده، لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره... 🕮 ثم أنشأ يحدث بهذا الحديث -حديث عمر المشهور- إلى قوله: 🕮 قال: أخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت 🕮 .

فهذا دليل على نوع من أنواع القدر، وهو العلم السابق الذي ذكرنا: أنه العلم الذي علمه الله قبل وجود المخلوقات، وأن معبدا الجهني أنكره وادعى أن الأمر أنف -يعني: مستأنف- أن الله لا يعلم الأشياء حتى تحدث، لا يعلم من سوف يولد لهذا، ولا من سوف يسكن هذه البلد، ولا يعلم متى تعمر هذه البقعة، ولا يعلم متى تنبت هذه الشجرة ولا متى تثمر، لا يعلم ذلك حتى تخرج ثمارها.

وهذا بلا شك تنقص لعلم الله الذي وصف به نفسه بأنه: "بكل شيء عليم". هذا نوع من القدر،

وهو العلم العام.

ولكن الحديث وهو قوله: ﴿ أن تؤمن بالقدر خيره وشره... ﴾ يدخل فيه -أيضا- القدر الذي هو شواهده: أن تؤمن بأنها مقدرة: ﴿ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ﴾ ﴿ لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف ﴾ كما ورد ذلك في حديث ابن عباس.

أما دلالة حديث القنوت في قوله الحديث الذي أوله: ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت... ﴾ إلى قوله: ﴿ وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقني برحمتك شر ما قضيت؛ فإنك تقضي ولا يقضي عليك ﴾ دعا الله أن يقيه الشر.

والدعاء ليس يغير القدر، ولكن الدعاء من القدر -الدعاء نفسه مقدر- وقد جعله الله سببا لوقوع هذا القدر -كما سيأتي-، فدعاؤنا بقولنا: ﴿ قني شر ما قضيت ﴾ -أي: شر ما تقدره- مكتوب أن العبد سيدعو بهذا الدعاء، ويكون سببا في كبت الشر عنه، وليس معناه أنه مكتوب أنه يصيبه ثم لا يصيبه؛ فإن ما أصابك لم يكن ليخطئك ولو احترزت بأية احتراز.

دل على أن المكتوب لا بد من وقوعه، ولا بد من حصوله -ما قدر الله- فلن يتخلى عنه العبد، لا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه.

القضاء والقدر ليس حجة في ترك أوامر الله واجتناب نواهيه

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله حجة علينا بإنزال الكتب، وبعثه الرسل، وقال الله -تعالى-: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ

بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾ ونعلم أن الله -سبحانه- ما أمر بها ولا نهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة.

قال الله -تعالى-: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ وقال الله -تعالى-: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ وقال الله -تعالى-: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ ﴾ فدل على أن للعبد فعلًا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو راض بقضاء الله وقدره.

نعرف أن مسألة القدر انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام: قسم أنكروا قدرة الله، وقسم احتجوا بالقدر، وقسم توسطوا و لم يجعلوا القدر حجة لهم على المعاصي، ولكنهم يحتجون به على المصائب بعد حدوثها.

القسم الأول: الذين أنكروا قدرة الله هؤلاء هم المعتزلة، تعرفون أن أصول المعتزلة خمسة، مطبوع لهم كتاب اسمه "الأصول الخمسة" للقاضي عبد الجبار، أصولهم الخمسة أسماؤها حسنة، ولكن يدخل تحت تلك الأسماء بدع.

الأصل الأول: "التوحيد" ويريدون به نفي الصفات.

والأصل الثاني: "العدل" ويريدون به نفي قدرة الله على أفعال العباد كما سيأتي.

والأصل الثالث: "المترلة بين المترلتين" ويريدون به إخراج العاصي من الإيمان، وعدم إدخاله في الكفر.

والأصل الرابع: "إنفاذ الوعيد" ويريدون به تخليد العصاة في النار.

والأصل الخامس: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ويريدون به الخروج على الأئمة العصاة في زعمهم.

الذي يهمنا هو "الأصل الثاني" وهو "العدل" الاسم حسن، العدل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ العدل شيء حسن، ولكن ماذا يريدون؟ معروف أن العدل هو التسوية بين الخصمين، والحكم بينهما بحكم وسط لا ظلم فيه، ولا جور أو ميلًا لأحدهما على الآخر، كما في قوله -تعالى-: ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ولكن يريدون بالعدل أن الله -تعالى- لا يقدر المعصية على العاصي ثم يعاقبه عليها؛ فإن ذلك يكون ظلما.

هكذا قالوا، فيقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعله، العبد هو الذي يستقل بأفعاله، ولا قدرة لله على فعله: لا يقدر على أن يهدي، ولا يقدر على أن يضل، ولا يقدر على أن يقبل بقلب هذا، ولا يصد قلب هذا الله عزيز عن هذا -تعالى الله عن قولهم- بل العباد بأنفسهم هم الذين يستقلون بأفعالهم.

فجعلوا العبد خالقا مع الله؛ ولهذا يسمون مجوس هذه الأمة، لأنهم جعلوا مع الله من يخلق، لأن المجوس جعلوا الكون صادرا عن خالقين النور والظلمة، وأما المعتزلة فإنهم جعلوا العباد كلهم يتخلقون: الطائع يخلق طاعاته، والعاصي يخلق معصيته، والله ليس له قدرة على هداية ولا على إضلال، بل العاصي يعصي الله ولو شاء الله أن يرده ما قدر على أن يرده.

إذا أراد العبد أن يفعل معصية، وأراد الله ألا يفعلها -غلبت قدرة العبد على قدرة الله، إذا أراد الله أن يفعل طاعة من العبد، والعبد أراد ألا يفعلها -غلبت قدرة العبد على قدرة الله؛ هذا بزعمهم سموه عدلًا حتى لا يعذب الخلق على الأمر الذي خلقه فيهم، هذا قول القدرية وهم المعتزلة.

أما الطرف الثاني: فيسمون "الجبرية" طائفة من الأشاعرة غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته وإرادته، وقالوا: ليس للعبد أية اختيار، بل العبد مجبور على فعله مقصور عليه، ليس له أية نظر ولا همة ولا إرادة. هذا قول الجبرية، وفيهم يقول أو يتمثل بعضهم بقوله:

ألقاه في البحـــر مكتوفـــا وقـــال لـــه إيـــــاك إيـــاك أن تبتـــــل بالمـــــاء

يقولون: إن الله هو الذي أوقعه في المعصية، وخلقها فيه وقدرها عليه وألزمه، ومع ذلك يقول له: لا تعص، لا تقرب معصية، لا تفعلها. فهو كمن كتف: كتفت يداه وألقى في البحر، وقيل له: لا تبتل بالماء، لا تبتل ثيابك، هل هذا ممكن؟! غير ممكن.

وذكروا أن يمكن أنه يهودي، ويمكن أنه قدري من هؤلاء الجبرية، جاء إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ورفع إليه أبياتا الأبيات التائية التي يقول في أولها:

أيـــا علمـــاء الـــدين ذمـــي ديـــنكم تحـــير دلـــوه علـــــى خـــــير ملـــة

ثم يقول:

إذا مـــا قضـــــى ربـــــي بطـــردي وإبعـــادي عــــن ديـــني فمـــا هـــي وشـــــــــــــــــكوتي شـــــــــــــــــــــيمتي

.... دعاني وســـــــد البـــاب دوني فمـــا ...... حـــــــــــــــــــــيلتي

فيقول: هو بمترلة من دعاني وسد الباب دوني، ولامني على ذلك. فأجابه شيخ الإسلام نظما وارتجالًا، جعل يكتب وهم جالسون يعتقدون أنه يكتب نثرا، وإذا هو يكتب نظما في المنظومة التائية الموجودة في المجلد الثامن من مجموع الفتاوى والتي أولهـــا:

ســــــــؤالك يـــــــا هـــــــذا ســــــــؤال معـــــــاند	مخـــــاصم رب العـــــرش بــــادي البريـــــــــــــــــــــــــة
وتـــدعي خــــصوم اللـــــه يـــوم معــــــــــــــــــــــادهم	إلـــى النــــار طــــرا معشـــــــــر القـــــــــــــــدرية
ســــــــواء نفـــــوه أو دعـــــوا ليخــــــــــــــــــاصموا	بـــه اللـــه أو مـــاروا بـــــه فـــــــي الخليقـــــــــــــــــة

زادت على مائة وثلاثين بيتا أو نحوها، وبين له أنك مخصوم وأنك تقر على نفسك بأنك مخصوم، وأن الذين يحتجون بالقدر متناقضون ولا بد، هم يقولون هذه المقالات حتى يحتجون على فعل المعاصي بوجودها، أنشد ابن القيم في بعض كتبه قول بعضهم:

وضعــــــــــوا اللحــــد للبــــزاة	علـــــــى ذروتـــــــي عـــــــدن
ثـــــــــم لامـــــــوا الــــــبزاة	إذ أطلقـــــوا لهـــن الرســـــــن
لــــــــــــو أرادوا صيــــــــانتي	ســــــــتروا وجـــــــهك الحســـــن

فيقول: إنهم يحتجون بالقدر كما يحتج الزاني -مثلًا- بأنهم دفعوه إلى الزنا؛ حيث أن النساء -مثلًا- تكشفت أمامهم، فلم يملك من الشهوة إلا أن اندفع.

يقول:

فهكذا يحتجون ولكن لا حجة لهم في ذلك؛ لأنهم متناقضون، ذكروا أن سارقا جيء به إلى عمر –رضى الله عنه– فأراد أن يقطع يده، فقال ذلك السارق: هذا مكتوب علي، سرقت بقدر الله. فقال عمر: وأنا أقطع يدك بقدر الله. يعني: أن هذا قدر وهذا قدر.

ولما توجه عمر –رضى الله عنه– إلى الشام، وأقبل عليه وذكر له أن الطاعون وقع في الشام عزم على الرجوع، فقال له أبو عبيدة: أفرار من قدر الله ؟ فقال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله. يعني: أننا فعلنا هذا مقدر، ولو فعلنا هذا لكان مقدرا.

فالقدر: هو ما نفعله، القدر هو ما يهدينا الله له. في الحديث: ﴿ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: هي من قدر الله ﴾ يعني: قدر الله هذا المرض، وقدر أن العبد يتعالج فيشفى، فهذه الأدوية مكتوب أنها سوف تحصل، فهي من قدر الله جعلها الله –تعالى– سببا.

وعلى هذا فلا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي؛ وذلك لأن القدر إنما هو موافقة الأمر والنهي؛ فالإنسان مأمور بأن يفعل، فإذا فعل فقد وافق القدر، وليس له أن يحتج بالقدر على ترك الفعل أو على فعل المحرم، ولو احتج بذلك فلله الحجة البالغة، فكما أن الله –تعالى– أمرنا بفعل الأسباب الحسية، وجعلها من القدر، فكذلك أمرنا بالأفعال المعنوية، وجعلها من القدر.

فنحن مأمورون –مثلًا– بأن نتكسب ونطلب الرزق، ويكون هذا بقدر كما قال النبي ﷺ ﴿ لو أنكم توكلون على الله حق توكله لزرقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا ﴾ فكما أن الطير لا تجلس وكرانها ولا في أوكارها، بل تغدو وتذهب وتتطلب الرزق حتى تجده، فالإنسان كذلك –

أيضا- يذهب حين يصبح، ويفعل الأسباب ويتكسب ويطلب الرزق، ويمشي في الأسواق ويبيع ويشتري ويحترف، ويكتسب ويطلب الرزق، وفعله هذا من قدر الله -تعالى- ومن قضائه المكتوب عليه.

وكذلك -أيضا- لا يقول: أسكت لا أتكلم؛ فإن هذا قدر. نقول له: انطق وتكلم، وذلك -أيضا- من القدر. ولا يقول: سوف أمسك عن الأكل ولا آكل، إن كان الله قدر أني أعيش عشت، وإلا فلا. نقول: لا، بل أطعم الطعام وغذ بدنك؛ فإن هذا مما أمرت به، وهو من الأسباب في حياتك، وهو -أيضا- من القدر.

ولا يقول: لا أتزوج، إن كان الله قدر لي أولادا حصلوا بدون زواج . نقول: لا، بل تزوج حتى يحصل ما قدر لك؛ فالله -تعالى- قدر لك أنك تتزوج، وأنك يولد لك كذا وكذا من الولد ذكورا وإناثا، ولكن لا بد من فعل السبب الذي هو الزواج ونحوه. وهكذا التعلم، وهكذا الدراسات وما أشبهها؛ كلها بقضاء وقدر، لا بد أن العبد يفعل هذه الأسباب حتى يوافق ما قدر الله وما كتبه.

نقول بعد ذلك: إن أهل السنة توسطوا في ذلك، فجعلوا للعبد قدرة، وجعلوا لله تعالى قدرة، وقدرة الله -تعالى- غالبة على قدرة العبد، وبقدرة العبد التي أعطاه الله والتي مكنه بها يحصل الثواب والعقاب على هذه القدرة، لا شك أن الإنسان معه قدرة ومعه تمكن، وأنه لولا هذه القدرة ما كلف؛ ولهذا في الآيات التي سمعنا ذكر الأدلة على ذلك: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ .

فلو لم يكن للإنسان قدره ما كلف؛ ولهذا لا يكلف المجنون ولا يكلف العاجز -مثلا-، ولا يكلف المقعد ولا يكلف المريض -مثلا- ولا فاقد القدرة، كذلك قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ أثبت للعباد استطاعة وقدرة يزاولون بها أعمالهم.

وهكذا الآيات التي بها الأوامر والنواهي التي وجهها الله للعباد: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ ﴾ ونحو ذلك. لو لم يكن للعباد قدرة ما

وجهت إليهم هذه الأوامر؛ فدل على أن الله أعطاهم قدرة يزاولون بها الأعمال، ويصح بها أن يكونوا مكلفين، ويصح أن تنسب إليهم أفعالهم فيقال: هذا هو القاتل فاقتلوه، هذا هو الزاني فارجموه، وهذا هو السارق فاقطعوه.

يقال: -مثلًا- هذا هو المصلي يستحق الثواب، هذا هو الصائم له أجر صيامه، هذا هو المتصدق يضاعف الله أجره، تنسب إليه أفعاله؛ لأنها صدرت منه، ولو كانت مقدرة ومقضية ومخلوقه لله أذلًا، ولكن لما أنه باشرها نسبت إليه فهي أفعاله.

فلا يجوز أن يقال: ليس للعبد أية قدرة أصلًا؛ فيكون هذا قول الجبرية، ولا يقال: ليس لله قدرة أصلًا؛ فيكون هذا قول الجبرية، ولا يقال: ليس له قدره أصلًا؛ فيكون هذا قول المعتزلة، بل لله قدرة عامة، وللعبد قدرة خاصة، وقدرة الرب غالبة لقدرة العبد، دليل ذلك في القرآن قوله -تعالى-: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾ ﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ونحو ذلك .

فالاحتجاج بالقدر قول المشركين الذين يقولون: ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡ ﴾ ﴿ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ ﴾ .

فهؤلاء الجبرية الذين يحتجون بالقدر قولهم موافق لقول المشركين، والغالب أنهم لا يحتجون به إلا عند أهوائهم؛ ولهذا يقول ابن القيم في ميميته:

وعند مراد الله تفنى كميت وعند مراد النفس تسدي وتلحم
وعند خلاف الأمر تحتج بالقضا ظهيرا على الرحمن للجبر تزعم

أي: تزعم أنك مجبور.

فحصل بذلك تقسيم الطوائف إلى ثلاث:

طائفة القدرية: الذين يقولون: إن العبد هو المستقل بفعله. وينكرون قدرة الله، ويدعون أن الله يعصي قصرا.

وطائفة مجبرة: الذين ينفون قدرة العبد أصلًا، ويقولون: ليس له شيء، حركته كحركة المرتعش الذي لا يقدر على إمساك يده، أو حركته كحركة الشجرة التي تحركها الرياح بدون اختيارها، فليس له أية قدرة.

وقول أهل السنة: أن له قدرة وإرادة، وأنه بحسبها يثاب ويعاقب، وإن كانت خاضعة لقدرة الله تعالى. نقف عند هذا.

س: هذا سؤال يتعلق بالفقه، يقول: نسب إليكم فتوى في جريدة المسلمون حول جواز رمي الجمار في اليوم الثاني عشر قبل الزوال، هل هذا صحيح، وما هو الحق في ذلك؟ .

ج: هذه الفتوى كانت هاتفية –ما نشر في الصحف عن الذين ماتوا في اليوم الثاني عشر في زحام الجمرات وعددهم– سألني صاحب الجريدة، فذكرت له أن هناك قول في الرخصة للمتعجل الذي سوف ينفر في اليوم الثاني عشر أن له رخصة، وهى قول في مذهب الإمام أحمد، وقول في مذهب أبي حنيفة، أو هو رواية عنه.

وذكرت بعض التوجيه لهذه الفتوى، ومعروف أن الصحف يبالغون في نشر مثل هذا، فجعلوا العنوان كبيرا كما قرأتموه أو قرأه بعضكم؛ يريدون بذلك لفت الأنظار، وأنا إنما ذكرت أن هذا قول من الأقوال، و لم أفصح أنني أختاره، أنا أقول إنه جائز للضرورة عندما يخاف الإنسان على نفسه، هذا القول خاص بمن يريد أن يتعجل، أما الذي لا يريد التعجل –الذي سوف يقيم إلى اليوم الثالث عشر– فليس له

أن يرمي إلا بعد الزوال.

وكذلك -أيضا- هذا القول مذكور في "المغنى" رواية عن الامام أحمد، ومذكور في الشرح الذي حققناه، الذي هو شرح الزركشي على مختصر الخرقي، مروي عن الإمام أحمد، مصرح فيه بأنه يجوز الرمي قبل الزوال، لكن هناك قولان: قول أنه يرمي قبل الزوال ولا يخرج إلا بعد الزوال، وقول أنه يرمي قبل الزوال ويخرج قبل الزوال، والرواية والقول المشهور أنه لا يرمي ولا يخرج إلا بعد الزوال، وهو الأحوط.

وأما ما ذكروه عن أبي حنيفة ففي كتب الحنفية أن هذا خاص باليوم الثالث عشر، والذي في "المغني" أنه في المتعجل في اليوم الثاني عشر، وصاحب "المغني" لا بد أن عنده معتمد يعتمد عليه، ولا بد أنه يوجد عن أبي حنيفة رواية: أنه يصح للمتعجل أن يرمي قبل الزوال، سواء خرج قبل الزوال أو رمى قبل الزوال، و لم يخرج إلا بعده.

وبكل حال في هذه الظروف الحج الماضي -كما تعرفون- حصل الزحام، وحصلت الوفيات، وذكر بعضهم سببا، وهو: أن كثيرا من المطوفين أكدوا على الحجاج الذين كانوا تابعين لهم قالوا: لا بد أن تأتوا إلينا في المكان الفلاني، في الساعة الثانية بعد الظهر، فمن لم يأت فإننا سوف نسير ونتركه.

فمئات الألوف تابعين لأولئك المطوفين مطالبون بأنهم يرمون، ومطالبون بأنهم يسيرون إلى مكة، وربما يصيبهم زحام وشدة زحام في الطريق، ثم يطوفون الوداع، ثم يرجعون إلى المكان الذي أعيدوا فيه، وقد لا يقدرون على ذلك في ساعتين؛ فلأجل ذلك حشدوا في الساعة الثانية عشرة، وامتلأ المكان وحصل الزحام الشديد الذي حصل فيه الوفيات الكثيرة بسبب ذلك.

وكان الأولى بهؤلاء المطوفين ألا يشددوا هذا التشديد، وأن يرفقوا بحجاجهم وينتظروهم ولو إلى الساعة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة حتى يتكاملوا، وحتى لايتكلفوا أن كلهم يرمون في الساعة الثانية عشرة والنصف في لحظة واحدة، ثم عند الساعة الثانية وجد المكان خاليا أو خفيفا؛ لأن كل أو الأغلب قد خرجوا.

فهناك نظر إما في التوسعة و الرخصة: أن يرمي المضطر قبل الزوال بساعة أو بساعتين، ولو لم يخرج إلا بعد الزوال، أو يلاحظ على المطوفين أنهم لا يشددون على حجاجهم هذا التشديد.

س: هذا سؤال يقول: ما صحة حديث: ﷺ لا يرد القدر إلا الدعاء ﷺ ؟ .

ج: الحديث صحيح، ولكن ليس المراد أنه يرد قدرا مقدرا محتوما مكتوبا، بل المراد أن الدعاء سبب في حصول ما حصل من الأمور، فكأنه يقول: إن هذا الدعاء أثر في حصول هذا الأمر لهذا العبد، ولو لم يدع لم يحصل له: دعا الله -تعالى- بوفاء دينه، ولو لم يدع ما أوفي. دعا الله بالتوسعة عليه، ولو لم يدع ما حصلت التوسعة.

دعا -مثلا- بسعة الرزق، دعا الله بأن يفتح عليه الفتح المبين، دعا الله بالنصر، ولو لم يدع ما حصل ذلك. فهذا الدعاء هو الذي أثر ذلك، فكأنه هو الذي حقق هذا القدر، مع أن الله كتب أنه يدعو وأنه يحصل.

وهذا يقول:

س: ما حكم قول بعضهم: "ليتنا ما خلقنا" لما يرى من الفتن في هذا الزمان؟ .

ج: قد روي هذا -أيضا- عن بعض السلف أنهم تمنوا مثل ذلك حتى قال بعضهم، أو قال أبو ذر: ليتني شجرة تعبد. وقال بعضهم: ليتني كبش سمن لأهلي، ثم ذبحوني وأكلوا لحمي وشربوا مرقي. يعني: كأنه تمني أنه لم يكلف؛ لأن التكليف عرضة للابتلاء، وقد لا يكون هذا الابتلاء ناجحا في حقه.

والإنسان عليه أن يرضى بما قدر الله -تعالى- وما قضاه، وألا يعترض على الله بقدره، ولا شك أن ما قدر الله فإنه سوف يحصل، وكونه يقول: يا ليتنا ما خلقنا. عليه أن يصبر على ما وجد من هذه الفتن ومن هذه المصائب، ويعلم أن الله ما أوجدها إلا للاختبار وللامتحان، كما في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ وقال -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي: للابتلاء والامتحان.

من صبر على هذا الابتلاء، ورزقه الله ثباتا عليه- فإنه سوف يجتاز هذا الامتحان وهذا الاختبار، ومن ضعف صبره حصل منه نقص وتقصير. والله -تعالى- أعلم وصلى الله على محمد.

السلام عليكم ورحمة الله:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهينا من الكلام على القدر، وفيه الرد على القدرية من إمامين شهيرين: الإمام الشافعي يقول في القدرية الذين هم نفاة العلم: "ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا به كفروا"، ويريد بهم الذين ينفون علم الله -تعالى- بالأشياء قبل حدوثها، وأما الذين ينفون قدرة الله -تعالى- على أفعال العباد- ويدعون أن الله لا يقدر أن يهدي ولا أن يضل -فرد عليهم الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله عليه- بقوله: القدر قدرة الله. أي: من آمن بأن الله على كل شيء قدير لزمه أن يؤمن بأن الله قدر الأشياء وأرادها.

ذكرنا أن القدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: "العلم" أي: علمه بالاشياء قبل كونها.

والمرتبة الثانية: "الكتابة في اللوح المحفوظ".

والمرتبة الثالثة: "الإرادة" أي: أن الله أرادها وشاءها.

والمرتبة الرابعة: "الخلق" أي: أنه خلقها وأوجدها.

وأن التقدير الذي هو العلم والكتابة قسموه إلى أربعة أقسام: التقدير العام: الذي في اللوح المحفوظ.

والتقدير العمري: الذي يكتب والجنين في بطن أمه.

والتقدير السنوي: في ليلة القدر.

والتقدير اليومي: كل يوم هو في شأن.

وأما المخالفة في قدرة الله فهم المعتزلة الذين ينفون قدرة الله على كل شيء، ويدعون أن العباد مستقلون بأفعالهم، وإن هناك طائفة من الأشاعرة غلوا في إثبات القدر، فسلبوا العبد قدرته وإرادته،

وجعلوه بمنزلة الشجرة التي تحركها الرياح، و لم يجعلوا له اختيارا.

فالمعتزلة نفوا قدرة الله علي العباد، والجبرية -غلاة الأشاعرة- نفوا قدرة العبد و لم يجعلوا له أية قدرة ولا أية اختيار، والقول الوسط: إن قدرة العبد حاصلة، ولكنها مربوطة بقدرة الخالق؛ لقوله -تعالي-: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وبهذه القدرة التي أعطوها يزاولون الأعمال، وتنسب إليهم الأفعال، ولله الحجة البالغة.

والآن ننتقل إلي ما بعده .

فصل في أسماء الإيمان والدين

تعريف الإيمان

الحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم وبارك علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.

قال -رحمه الله تعالي-:

فصل: والإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله -تعالي-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ فجعل عبادة الله -تعالي- وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين .

هذا موضوع آخر يقال له: "أسماء الإيمان والدين" ويتعلق به التكفير والتفسيق ونحوه، وهو الذي عند المعتزلة، يسمى المنزلة بين المنزلتين؛ وذلك لأن الأمة اختلفوا في مسمى الإيمان فتباينت فيه أقوالهم.

الإيمان في اللغة: هو التصديق. ولكن الشرع أضاف إليه إضافات، وأدخل فيه الأعمال، وأدخل فيه الأقوال، فأصبح الإيمان شاملًا للعقائد والأقوال والأعمال، أصبح مسمى شرعيا، وما ذاك إلا أن المسميات الشرعية نقلت من مسماها اللغوي إلي مسمى خاص كسائر المسميات الشرعية، فعندما -

مثلًا- أن العرب لا تعرف اسم الإيمان إلا أنه التصديق، ولا تعرف اسم الكفر إلا أنه التغطية، تغطية الشيء وستره يسمي عندهم كفرا في قول شاعرهم:

في ليلـــة كفـــر النجـــوم ظلامهـــا .....

ولا تعرف الفسق إلا أنه هو الخروج -فسقت الرطبة: خرجت من قشرتها- ولا تعرف النفاق إلا أنه الاستخفاء، ولا تعرف الشرك إلا أنه الاشتراك في التجارة أو نحوها، ولا تعرف التوحيد إلا أنه الواحد المفرد العدد الفرد، فجاء الشرع وجعل لهذه الألفاظ مسميات شرعية، ونقلها من المسمى اللغوي إلي المسمى الشرعي.

فالإيمان -مثل ما سمعتم-: قول باللسان، وعقد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان . هذا هو مسمى الإيمان في الاصطلاح أو في الشرع، في لغة الشرع أدخل فيه الأعمال وسماها إيمانا -كما ستأتي الأدلة عليه إن شاء الله- بعد أن كان الإيمان هو التصديق، أما الكفر: فإنه الخروج من الدين وجحد الرسالة، وجحد النبوة وجحد التوحيد.

وجحد وإنكار العبادة يسمى كفرا شرعا، أما اسم الفسوق: فهو المعصية؛ لأنها خروج عن الطاعة، أما النفاق: فهو مسمى شرعي يطلق علي إظهار الإيمان وإبطان الكفر، أما التوحيد فنقل من مسماه اللغوي إلي مسمى شرعي: أنه إفراد الله بالعبادة.

أما الشرك: فنقل من مسماه اللغوي إلى مسمى شرعي، وجعل اسما لدعوة الله ودعوة غيره معه - إشراك غير الله معه في نوع من أنواع العبادة- يسمى شركا. فهذه مسميات نقلها الشرع وجعلها لمسميات خاصة، والكلام الآن على الإيمان؛ ذلك لقدم الخلاف وقوة الخلاف فيه.

فذهب بعضهم إلى أن الإيمان هو المعرفة، من عرف فهو مؤمن، هل هذا صحيح؟ الله تعالى رتب على الإيمان الجزاء -رتب عليه الثواب- كثيرا ما يذكر الله الإيمان ويذكر ثوابه، فهل كل عارف يستحق الثواب؟ معروف -مثلًا- أن فرعون عارف، قال الله -تعالى- عن موسى: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

هل فرعون مؤمن؟ المؤمنون يدخلون الجنة، وكذلك إبليس عارف بأنه مؤمن بالله، عارف بأن الله ربه هو الخالق، فهل يقال له: مؤمن مستحق للثواب؟ كذلك -أيضا- المنافقون كثير منهم عارفون ولكنهم جحدوا عنادا، المشركون عارفون -أيضا- يقول الله -تعالى-: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

فهل يقال: إنهم مؤمنون يستحقون ثواب الإيمان؟ إذن عرفنا أن هذا القول باطل، الذين قالوا: الإيمان هو المعرفة، هناك من يقول: إن الإيمان هو التصديق مجرد التصديق. وهذا القول مشهور عند فقهاء الحنفية، أن مجرد التصديق هو الإيمان، وقالوا: إنه هو مسمى الإيمان في اللغة.

ولهم كلام طويل، ولكن نحن نقول: إن الله -تعالى- قد وصف المؤمنين بصفات زائدة عن التصديق، مما يدل على أنه لا بد من التصديق مع الأعمال، فلا يكون المؤمن مؤمنا إلا بتلك الأعمال.

الدليل الأول: قوله -تعالى- في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

فجعل المؤمنين حقا هم المتصفون بهذه الخمسة، ومنها: ما هو عمل بدني كالصلاة، وعمل مالي كالزكاة كالنفقة، وعمل قولي كالذكر، وعمل قلبي كالوجل: ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فدل على أن الإيمان يعم هذه الأشياء.

الدليل الثاني: قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ نفى الإيمان عن غيرهم هؤلاء، فأصبح من الإيمان الخرور: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ والتسبيح: التسبيح بحمد الله وعدم الاستكبار، والتجافي: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ والدعاء: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ إلى آخرها، فهذا كله من الإيمان.

الدليل الثالث: قوله -تعالى- في سورة الحجرات: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ فجعل من الإيمان الجهاد، وجعل منه ترك الريب: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾ وجعل منه العمل.

فلا شك أن هذا كله دليل على أن الإيمان شيء زائد على التصديق؛ إذن فيكون الإيمان مثل ما عرفه الموفق -رحمه الله- وهو قول أهل السنة، ذكروا أن البخاري رحمه الله يقول: رويت في هذا الكتاب عن ثلاثمائة من العلماء كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل.

يريد بذلك أن مشياخة الذين أخذ عنهم كلهم على هذا القول: الإيمان قول وعمل. بدأ البخاري كتابه بعد المقدمة التي هي في الوحي بكتاب الإيمان، ثم قال: وهو قول وفعل ويزيد وينقص. و لم يذكر الاعتقاد؛ لأنه لا خلاف في الاعتقاد، هو قول وفعل واعتقاد، +ولما لم يكن الاعتقاد فيه خلاف، أو فلا، وذكر ما فيه الخلاف وهو القول والفعل، أن الإيمان تدخل فيه الأقوال والأفعال، ثم يترتب على ذلك كمال الإيمان ونقصانه وزيادته.

كثير من الحنفية والأشاعرة ونحوهم يعتقدون أن الإيمان شيء واحد، وأنه لا يتفاوت وأن الناس فيه مستوون، وأن إيمان جبريل وميكائيل، ومحمد وموسى، وعيسى إبراهيم -مثل إيمان أطراف الناس، وهذا بلا شك فيه خطأ؛ ذلك لأنهم متفاوتون في العقيدة وقوة اليقين، ومتفاوتون في آثار تلك العقيدة على

العباد.

وإذا كانوا متفاوتين دل على أن الإيمان يتفاوت: فنحن نعرف أن هناك إنسانا رزقه الله علما وقراءة وتدبرا، وأقبل على السنة وأقبل على الحديث، وأقبل على القرآن وأخذ يتأمل، وقامت عنده الأدلة، ورسخت في قلبه أدلة الوحدانية وأدلة الربوبية، وأدلة البعث والنشور، وأدلة الأعمال والأحكام، وأدلة الرسل والإيمان بهم والملائكة ونحوهم رسخت في قلبه، وكان من آثار رسوخها أن انبعثت جوارحه، انبعثت بالأعمال فصار لسانه ينطق بالذكر، وصار سمعه لا يسمع إلا الخير، وصار بصره لا يبصر إلا ما فيه الخير، وكان سكوته ذكرا ونطقه ذكرا وعمله خيرا؛ كل ذلك من آثار ما رسخ في قلبه من تلك الأدلة.

هناك آخر: ما سمع إلا القليل، ولا اهتم إلا بالقليل من السنة، ولم يتعلم إلا أطراف المعلومات، ولكنه مع ذلك امتلأ قلبه بالزهو والسهو، امتلأ قلبه بزينة الدنيا وزهرتها والميل إليها، امتلأ قلبه بمحبة الشهوات، فإذا رأيته لا تسمعه يذكر الله إلا قليلًا، ولا ترى جوارحه تنطق ولا تنطلق إلا قليلًا بالأعمال الصالحة، بل هو ضد ذلك لا يذكر إلا ما يشتهيه، وما يميل إليه ولا ينطلق إلا إلى هوى نفسه، أعماله الصالحة قلة وقليلة، فهل يقال: إنهما سواء، هل يقال: إن إيمان هذا وإيمان هذا مستويان؟ الذي يقول ذلك ما معه فكر.

نعود إلى كلام الموفق، قوله: "إن الإيمان قول باللسان" يدخل في ذلك الأذكار هي من الإيمان، فإذا قلت: سبحان الله والحمد لله، والله أكبر وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا الله إلا الله، وأعوذ بالله وبسم الله والله ربنا. أليس هذا من الإيمان؟ هذا من الإيمان، وهو قول اللسان، وكذلك إذا دعوت إلى الله ودعوت إلى الخير وعلمت الناس الخير، وكذلك إذا قرأت كتاب الله وتلوته كل نطق تنطق به، وهو يدل على الخير فإنه من الإيمان.

يقال: هذه الكلمة إيمان، هذه التهليلة إيمان، وهذه التسبيحة من الإيمان، قول باللسان واعتقاد بالجنان -بالقلب-، الاعتقاد: ما انعقد عليه القلب، وتمسك به العقد، أصله انعقاد القلب على الشيء

وعدم التردد في ثبوته، فإذا اعتقد قلبك ثبوت البعث فهذا من الإيمان.

إذا اعتقد قلبك ثبوت عذاب القبر فهذا من الإيمان، اعتقد قلبك ثبوت الوحي فهذا من الإيمان، اعتقد قلبك ثبوت الحشر والنشر والجزاء على الأعمال وتفاصيل ذلك فهذا من الإيمان، اعتقد قلبك ثبوت الملائكة وكثرتهم فهذا من الإيمان، اعتقد قلبك ثبوت الرسالة وكثرة الرسل فهذا من الإيمان... إلى آخر ذلك.

كل ما يعقد عليه القلب فإنه من الإيمان، ولا شك -أيضا- أنه يتفاوت، كذلك -أيضا- عمل الجوارح: فالصلاة من الإيمان، والصدقات من الإيمان، والصيام من الإيمان، والطواف والحج والوقوف ورمي الجمرات، والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف، والدعوة إلى الله -تعالى- وما أشبه ذلك.

كل هذه من الإيمان؛ لذلك تجدون البخاري في كتابه -في صحيحه- يبوب على ذلك فيقول: باب الصلاة من الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، باب أداء الزكاة من الإيمان، باب الصبر من الإيمان... وهكذا يعدد خصال الخير ويجعلها من الإيمان؛ لأنها من الأعمال بالجوارح، والأعمال بالجوارح هذا +أعظم من الإيمان.

أما الأدلة على ذلك فمنها قوله -تعالى- الآية التي سمعنا في سورة البينة: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ الدين هو الإيمان، فجعل هذه الخمس من الإيمان، العبادة يدخل فيها أنواع الطاعة، وأنواع القربات كلها من الإيمان.

الإخلاص: إرادة وجه الله -تعالى- بالعمل وعدم إرادة غيره، هذا -أيضا- من الإيمان الحنيف، وهو المقبل على الله معرضا ما سواه، هذا من الإيمان، الصلاة من الإيمان، الزكاة من الإيمان، كلها من الدين، كذلك الإيمان ذكر أنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قد ذكرنا من ينكر الزيادة، وتبين لنا خطؤهم وبعدهم عن الصواب.

والأدلة واضحة على ذلك، قال الله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ "زادهم إيمانا" وفي الآية التي قرأنا في سورة الأنفال يقول -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ كذلك في سورة الفتح قوله -تعالى-: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم.

كذلك في سورة التوبة يقول الله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ والحاصل: أن هذا دليل واضح على أن الإيمان يزيد وينقص، وكل شيء قبل الزيادة فإنه يقبل النقصان، والدين اسم للإيمان، وتعرفون حديث جبريل المشهور سأل فيه عن الإسلام، ففسر بالأعمال الظاهرة، ثم سأل عن الإيمان، ففسر بالأعمال الباطنة.

يعني: لما أقول: إن مع الإسلام الإيمان، فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بأعمال القلب، ثم سأل عن الإحسان ففسر بالمراقبة والمشاهدة، ثم أخبر بأن هذا كله من الدين، قال: ﴿ يعلمكم دينكم ﴾ فصار الإسلام والإيمان والإحسان كله من الدين، وإذا قلت: هل هناك فرق بين الإسلام والإيمان؟.

فيه انتباه أو ترتيب، فيقال: إذا قرنا جميعا -ذكر الإسلام والإيمان جميعا- فإن الإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان أعمال القلب، وأما إذا اقتصر على واحد منهما فإنه يعم الجميع، لكن قد يشكل على الإنسان بعض الأدلة، مثل قوله -تعالى- في سورة الحجرات: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ .

قد كثر الكلام حول هذه الآية ولا إشكال فيها -والحمد لله-؛ وذلك لأن هؤلاء الأعراب أسلموا -يعني: استسلموا ظاهرا- والإيمان لا بد أنه يصير نابعا من القلب، وهؤلاء لم يصل الإيمان الحقيقي إلى

قلوبهم؛ لأجل ذلك قال: ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ فجعلهم مرتابين -في قلوبهم ريب- فأثبت لهم الإسلام ونفى عنهم الإيمان: ﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ ﴾ .

وذلك لأنهم استسلموا ظاهرا وقلوبهم مترددة -يعبدون الله على حرف، فإن أصابهم خير اطمأنوا به، وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم- فهؤلاء نفى الله عنهم الإيمان؛ لأن الإيمان ينبع من القلب ويؤثر على الأبدان: يؤثر على السمع، ويؤثر على البصر، ويؤثر على اليد، ويؤثر على الرجل، ويؤثر على اللسان، وهؤلاء إنما أعمالهم ظاهرة أنهم مسلمون ولكن ليس معهم دافع الإيمان.

أما قوله -تعالى- في سورة الذاريات: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦ ﴾ يعني: قوم لوط، البيت: هم أهل بيت لوط، لا شك أن لوطا وأهل بيته ما عدا امرأته أنهم جمعوا بين الوصفين -جمعوا بين وصف الإيمان والإسلام-: الإيمان الباطن، والإسلام الظاهر ولو كان أحدهما يكفي عن الآخر.

والحاصل: أنا إذا رأينا الإسلام مطلقا فسرناه بالإيمان وبالأعمال كلها، وإذا رأينا الإيمان وحده فسرناه بالإسلام وبالأعمال كلها، وإذا ذكرا معا فأحدهما أخص من الآخر، فالأعم هو الإسلام، وأخص منه الإيمان، وأخص من الإيمان الإحسان.

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما قوله -تعالى- في سورة الذاريات: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦ ﴾ يعني قوم لوط، البيت هم أهل بيت لوط، لا شك أن لوطا وأهل بيته -ما عدا امرأته- أنهم جمعوا بين الوصفين ، جمعوا بين وصف الإيمان والإسلام ، الإيمان الباطن والإسلام الظاهر ، ولو كان أحدهما يكفي عن الآخر.

والحاصل أنا إذا رأينا الإسلام مطلقا فسرناه بالإيمان وبالأعمال كلها، وإذا رأينا الإيمان وحده فسرناه بالإسلام وبالأعمال كلها، وإذا ذكرا معا فأحدهما أخص من الآخر ، فالأعم هو الإسلام،

وأخص منه الإيمان، وأخص من الإيمان الإحسان، فمثلا لو كان هناك حائط صغير مستدير حول عشرة أمتار، طوله عشرة، وعرضه عشرة ، ثم مِن ورائه حائط آخر، طوله عشرون طولا وعشرون عرضا، ثم وراءه حائط ثالث، طوله ثلاثون طولا وثلاثون عرضا ، وكل واحد في وسط الآخر، أدخلنا في الواسع ... أدخلنا فيه جمعا كثيرا من الناس، وقلنا: هؤلاء مسلمون، ثم أخذنا نتقي المؤمنين وندخلهم في الثاني، وأبقينا الذين هم على وصف الإسلام و لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، أدخلنا الذين إيمانهم قوي في داخل الحائط الثاني ، رجعنا إلى الحائط الثاني وأخذنا نتقي منهم خلاصة الخلاصة الذين بلغوا الذروة في الأعمال وأدخلناهم في الحائط الصغير الذي هو عشرة في عشرة، وقلنا: أنتم أهل الصغير المحسنون وأنتم أهل الثاني المؤمنون ، وأنتم أهل الثالث المسلمون ، فأصبحوا ثلاث مراتب: المرتبة الخاصة هم المحسنون، والتي فوقها هم المؤمنون ، والعامة هم المسلمون.

نقرأ .

بعض الأدلة على أن الأعمال من مسمى الإيمان

وقال رسول الله ﷺ الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فجعل القول والعمل من الإيمان وقال الله -تعالى-: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ وقال: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا ﴾ وقال رسول الله ﷺ يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال بُرّة أو خردلة أو ذرة من الإيمان وجعله متفاضلا .

هذه أدلة مثل الأدلة التي أشرنا إليها، واضحة الدلالة يستدل بها على أن الأعمال من مسمى الإيمان ، ويستدل بها على أن الإيمان يزيد وينقص ، ويستدل بها على أن أهل الإيمان يتفاوتون ، فالدليل الأول: قوله ﷺ الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى

عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان ﴿ .

والشعبة: هي القطعة من الشيء ، إذا رأيته متشعبا في هذا شعبة ، وفي هذا شعبة، وفي هذا شعبة ، يعني قِطَع فإذا اجتمع وتواصل صار كله إيمانا .

من هذا الحديث انطلقت أفكار العلماء في ذِكر شعَب الإيمان، وأخذوا يعددونها ويذكرون ما وصل إليهم، أوسع من كتب في ذلك البيهقي العالم المشهور، له كتاب مطبوع في نحو سبعة مجلدات اسمه: "شعب الإيمان" استوفى فيه ما وصل إليه من الأحاديث التي تتعلق بالإيمان.

وكتب في ذلك -أيضا- بعض العلماء رسالة مختصرة في شعب الإيمان أوصلها إلى سبع وسبعين خصلة، بدأها بالتوحيد أخذا من هذا الحديث: ﴿ أعلاها قول: لا إله إلا الله ... ﴿ وختمها بالأعمال التي فيها نفع للغير ، ومنها إماطة الأذى عن الطريق. وفيما بين ذلك ذكر: الصلاة من الإيمان ، والزكاة من الإيمان، والصدقات التطوعات من الإيمان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصِدْق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الخلق، ورد السلام، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز -مثلا- وكذلك إكرام الضيف ، وإحسان الجوار والرفق بالمملوك ، وأخذ يعدد من هذا حتى وصل إلى سبع وسبعين خصلة، رسالة مطبوعة مستقلة صغيرة عنوانها: "شعب الإيمان" كأنه أراد أن يطبق هذا الحديث

وهذا -بلا شك- رد صريح على فقهاء الحنفية الذين يجعلون الإيمان: هو التصديق فقط، ويجعلون الأعمال خارجة عن مسماه، ويجعلون الإيمان اسما لعمل القلب فقط، أو ليقين القلب فقط ، ويقولون: إن الأعمال ثمرة من ثمراته، والصحيح أن الأعمال داخلة في اسم إيمان، وأنها من جملة الإيمان، كما سماها في هذا الحديث وقسمها.

" الإيمان ": يعني خصال الإيمان، شعب الإيمان. وبكل حال متى استوفى المسلم هذه الخصال وعمل بها سميناه مؤمنا كامل الإيمان، وإذا نقص منها قلنا: ناقص الإيمان، مؤمن ناقص الإيمان.

والخلاف هنا مع المعتزلة ومع الخوارج: فالمعتزلة بمجرد ما يترك خصلة من خصال الإيمان ، يفعل

معصية ، يخرجونه من الإيمان، ولا يدخلونه في الكفر، بل يجعلونه في منزلة بين المنزلتين، هذا في الدنيا. وأما في الآخرة: فيخلدونه في النار، ويقولون: لا نحكم عليه بالكفر في الدنيا بحيث يقتل أو يسبى أو يسلب ماله، لا ... بل نقول: لا مؤمن ولا كافر ، بينهما.

أما الخوارج فيقولون: كافر ، مجرد ما ارتكب ذنبا وترك طاعة خرج من الإيمان، وحل دمه وماله. هذا معتقد الخوارج .

وأما أهل السنة فيقولون: إنه مؤمن، ولكن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، يسمونه مؤمنا، ولكن مع الإيمان يتصف بالفسق، لا مانع أن نقول: مؤمن فاسق ، أو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

لكن هنا مشكل: دليل استدل به المعتزلة ونحوهم ، الحديث الذي في الصحيحين: قول النبي ﷺ 🕮 لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهبة يرفع الناس إليها بها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن 🕮 كيف نجيب عن هذا الحديث؟ فإنه نفى عنه الإيمان.

لا شك أن الجواب عنه هو أن نقول كما يقول بعضهم: إن المراد: الإيمان الكامل، لا يؤمن الإيمان الكامل، بل معه إيمان ناقص، أو 🕮 لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن 🕮 يعني: أنه ليس معه الإيمان الذي يحجزه عن المعاصي، بل إيمانه مضطرب ومختل.

بعض الشراح يقولون: إن الإيمان يخرج منه، ويصير عليه كالظُلة مادام ملامسا المعصية، ما دام يزني، فالإيمان صار عليه كالظلة، أو مادام يسرق، يحاول السرقة، ما دام سكران، يشرب الخمر وعليه آثارها، فالإيمان عليه كالظُلة، فإذا أقلع عن المعصية أو انتهت المعصية رجع إليه الإيمان، ولكن لا يرجع إليها سالما، بل يرجع إليه مختلا وناقصا، وبكل حال دليل واضح على أن أهل الإيمان يتفاوتون.

وأما أدلة زيادته: فذكر منها ابن قدامة -كما سمعنا- بعض الأدلة كقوله: ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ ﴿

فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا ﴾ .

هذه أدلة على الزيادة لكن هل هناك أدلة على أن الإيمان ينقص؟ .

يقولون: كل شيء يقبل الزيادة فإنه يقبل النقص، فمثلا: هذا الكأس يقبل الزيادة الآن من الماء، ويقبل النقص، إذا أهريق الماء الذي فيه أو بعضه نقص الماء الذي فيه، فكذلك القلب، تتوارد عليه الأدلة وتتوارد عليه الأعمال فيزيد، ثم يذهب بعضها فينقص، تأتيه شبهة فتنقص اليقين الذي فيه فيبقى ناقصا.

ومن الأدلة أيضا قول النبي ﷺ 🕮 يخرج من النار من كان في قلبه دينار من إيمان، ثم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال بُرّة من إيمان، ويخرج من النار من كان في قلبه مثقال خردلة من إيمان، ومن كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان 🕮 أليس هذا دليلا على التفاوت؟ بعضهم مثقال دينار، قطعة من الذهب، وبعضهم مثقال خردلة، حبة صغيرة معروفة.

مثقال خردلة أو مثقال ذرة دليل على أنهم يتفاوتون، هذا أنقص من هذا، وهذا أزيد من هذا، فدل على أنهم يتفاوتون.

ومما استدلوا به أيضا قول النبي ﷺ مخاطبا النساء في خطبته يوم العيد: 🕮 ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي اللب من إحداكن، قلْنَ وما نقصان ديننا؟ قال: أليس إذا حاضت المرأة لم تُصَلِّ و لم تَصُمْ؟ فذلك من نقصان دينها 🕮 .

فجعل تركها الصلاة –وإن كانت معذورة– نقصا في دينها، فالرجل يزيد عليها بصلاته في تلك المدة، فدل على أن الإيمان يزيد بالطاعة، بالصلاة وبالصيام ونحوها، وينقص بترك الصلاة أو بترك الصيام وما أشبهه.

وعلى كل حال إذا عرفنا الأصل، وهو أن أهل السنة قالوا: إن المؤمنين يتفاوتون، فنقول: إنهم لا يُكَفِّرُون بالذنوب، بل يَعْذُرُون العاصي، ويقولون: إنه مؤمن، ولكنه فاسق أو عاص، ولو عمل أي عمل، ما لم يكن ذلك العمل مُخْرِجا من الملة.

والأحاديث التي أطلق فيها الكفر على بعض الأعمال يقال: إنه كفر عملي، مثل: قوله: ﷺ اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة ﷺ .

معلوم أن هذه لا تصل إلى الكفر الذي هو الكفر بالله، والذي يبيح الدم والمال، ولكنه كفر عملي، فيه شيء من التكذيب لبعض الشريعة.

والأحاديث التي فيها الوعيد على بعض الخصال تسمى: أحاديث الوعيد، تجرى على ظاهرها؛ لتكون أبلغ في الزجر، مع العلم بأنها لا تُخرِج من الملّة، ولو كان ظاهرها فيه الإخراج من الملة.

فإذا سمعنا قول النبي ﷺ ﷺ ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية ﷺ هل نقول: هذا ليس من المسلمين؟ ما عمل إلا هذا العمل، هل خرج بذلك من الإيمان؟ .

هذا من أحاديث الوعيد، نعتقد أنها لا تخرج من الملة ، ولكن نتركه على ظاهره ليكون أبلغ في الزجْر.

وكذلك قوله ﷺ ﷺ من غشنا فليس منا ﷺ ﷺ من عقد لحيته، أو تقلد وتْرا، أو استنجى برجيع دابة، فإن محمدا بريء منه ﷺ ﷺ بريء منه ﷺ هل يكون معناه: أنه خرج من الدين؟ تذكرون...هذه الأحاديث كثيرة؛ ولذلك الإمام مسلم –رحمه الله– بدأ بكتاب الإيمان، وأورد فيه مثل هذه الأحاديث التي فيها إشكال، وأمرك بأن تقول فيها برأيك، وأن تعترف بما تتضمنه .

وفيها –بلا شك– الدلالة على أن الإيمان يتفاوت، ولو لم يكن إلا مثل: قوله ﷺ ﷺ من رأى منكم منكرا فليغيرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ﷺ أليس فيه دليل على أن الإيمان يتفاوت؟ أن هنا إيمانا ضعيفا؟.

كل هذا رد على الذين يقولون: إن الإيمان شيء واحد، وإن نقصانه ذهابٌ له.

ومن أراد التوسع في هذا يقرأ ما كتبه العلماء في ذلك وتوسعوا فيه، وأوسع من كتب في ذلك شيخُ الإسلام ابن تيمية في كتاب "الإيمان" مجلد كبير، طبع في المجلد السابع من "مجموع الفتاوى" ومطبوع أيضا مفردا.

وكذلك كتاب الإيمان في "صحيح البخاري" . كتاب الإيمان في "صحيح مسلم". وفي أكثر كتب المُحدِّثين.

وكذلك كتب مستقلة: كتاب "الإيمان" لابن أبي شيبة صاحب "المصنَّف". كتاب "الإيمان" لأبي عبيد القاسم بن سلام اللغوي. كتاب "الإيمان" لابن منده. وكلها مطبوعة ميسرة . نعم.